لاشا بوجادزه

إكسبريس الأدب

ترجمة هرمس

رواية

@ketab_n
Follow Me
28.5.2016

إكسبريس الأدب

لاشا بوجادزه

ترجمة هرمس

Twitter: @ketab_n

إكسبريس الأدب
روايـــة
الطبعة الأولى : ٢٠١٥
رقم الإيداع : ١٩٥١٠ / ٢٠١٥
الترقيم الدولي : ٨- ٩٩-٦٣٠٦-٩٧٧-٩٧٨
الغـــــلاف : حاتم سليمان
جميع الحقوق محفوظة
الكتب خان للنشر والتوزيع ®
١٣ شارع ٢٥٤ - دجلة - المعادى - القاهرة.
تليفـــون : ٠٢٠٢٢٥١٩٦٥٦٩+ - ٠٢٠٢٢٥١٧٠٦٧٨+
بريد اليكتروني : info@kotobkhan.com
موقع اليكتروني : www.kotobkhan.com

© Bakur SULAKAURI 2009-2014
Published by arrangement with Agence Littéraire Astier-Pécher
ALL RIGHTS RESERVED

MINISTRY OF CULTURE AND MONUMENT PROTECTION OF GEORGIA

GEORGIAN NATIONAL BOOK CENTER

The book is published with support of the Georgian National Book Centre and Ministry of Culture and Monument Protection of Georgia

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب، بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي، والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة، أو استخدام أي وسيلة نشر أخرى، بما في ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطي من الناشر.

Arabic Language Translation Copy Right ® 2015 Al Kotob Khan for Publishing & Distribution The Moral Rights of the author has been asserted. All rights reserved.

الكتب خان للنشر والتوزيع

Twitter: @ketab_n

فهرسه أثناء النشر

الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية المصرية

بوجادزه، لاشا

إكسبريس الأدب : أدب جورجي : رواية / تأليف لاشا بوجادزه، ترجمة محمد مجدي محمد. — القاهرة : الكتب خان للنشر والتوزيع، ٢٠١٥

٣٧٢ ص ، ٢٠ سم

تدمك : ٨ -٩٩- ٦٣٠٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨

١ - القصص الجورجية

٢ـ القصص الروسية

أ ـ محمد، محمد مجدي (مترجم)

رقم الإيداع : ١٩٥١٠ الطبعة الأولى ٢٠١٥

Twitter: @ketab_n

١- تبليسي

الروس قصفونا في أغسطس. إيلين هجرتني في سبتمبر. في أكتوبر، ذهبتُ إلى لشبونة.

علمتُ أنني سآخذ إكسبريس الأدب بحلول الربيع، لكنني لم أكن لأتخيل أن الروس سيقصفوننا في أغسطس. ولا أخذتُ تهديدات إيلين على محمل الجد. لم أفطن قط أنها ستكون بذلك العناد. بدا أن كل شيء يحدث في نفس الوقت. في البداية، تم إخباري أنني سأسافر بصحبة مائة كاتب عبر أوروبا، ثم بدا أن قنابل الروس كانت على وشك قتلي وفي النهاية حدث أنني لم أكن ذلك الملاك عديم الأجنحة الذي ظنتني إياه إيلين قبلها. "أنا آسفة على الوقت الذي أضعته عليك" كان آخر ما سمعته منها. ثم أغلقت هاتفها. أرسلت لها رسالتين بائستين ثم استسلمت. لم أتوسل وأستعطف معها. قنابل

Twitter: @ketab_n

الروس استهلكت كل طاقتي. لكن قبل هذا اتصل بي أحد يدعى كوكا، وذكر إكسبريس الأدب ودعاني إلى وزارة الثقافة.

اتضح أن إكسبريس الأدب هو قطار بالفعل. مائة كاتب من عدة بلدان كانوا سيستقلونه ويعبرون أوربا لمدة شهر.

لسبب ما كانت الدعوات قد وصلت إلى وزارة الثقافة. اعترف كوكا بوضوح أنه فكر باسمي فقط عندما رفض الشاعر خافاتسي (أحد شعرائنا كبار السن). كانت هناك دعوتان. أخبرني كوكا أنهم في البداية عزموا على إرسال شاعرين (كما يبدو، فالوزير قد قال إن الشعراء سيضفون سحرا خاصا على الرحلة بأكملها)، لكن عندها قرروا أن يفسحوا لي مجالا، لكاتب نثر. في النهاية، كنتُ أنا وشاعرٌ من تم اختيارهم للرحلة.

الشيء الذي يحيرني إلى الآن هو كيف اختارني كوكا ورؤساؤه وليس شخصا آخر. من صاحب فكرة إرسالي إلى لشبونة؟ هناك آخرون ممن نشروا عشرات من الكتب بينما لدي مجموعة قصصية واحدة ... من الذي اعتبرني كاتبا مكرسا في منظمة فاسدة مثل الوزارة؟ أشكّ في كوكا (الذي أظنه كان شيئا كوكيل الوزارة)– فروي

Twitter: @ketab_n

مخنّث عدواني قليلا بسالفين. كما يبدو، فعندما فزت بالجائزة (كنت قد حصلت على جائزة أدبية محلية من أجل قصصي القصيرة)، كان كوكا في الحفل، واشترى كتابي في اليوم التالي واستمتع به للغاية. هذا ما أخبرني به.

في نفس اليوم كتبت لهاينز، منظم الرحلة الأدبية. وكرد، استلمتُ رسالة شبه رسمية مصحوبة بمخطط الرحلة. ابتدأت رسالته بـعزيزي السيد أو السيدة زازا. بدا أنه لم يكن متأكدا من كان يكاتب— ذكرا أم أنثى. وقد حيره اسمي الأول تماما. كتبت في الرد قائلا إنني ذكر وأن زازا هو اسم خاصٌ بالذكور في جورجيا. وغني عن الذكر أنني أضفت بعض الوجوه المبتسمة (كما تعرف، تلك الوجوه الشبيهة بالمؤخرات).

رحلة القطار أصابتني بحالة من الصدمة الخفيفة. فكرة إكسبريس الأدب المحشو بشعراء وكتاب يسافرون عبر سبع دول أوربية أذهلتني حتى بينما كنت أحاول تخيل الرحلة.

أذكر أنني أخبرت إيلين بمخاوفي، وهي نهرتني بأسلوبها الأمومي المعهود:

Twitter: @ketab_n

"لا تتفوه بكلمة! الله يعلم متى يمكن أن تحظى بفرصة أخرى كهذه. سيكون من الجنون التام أن تفقدها!"

أذكر أيضا إيلين وأنا بينما ندرس المسار على الخريطة. كنا قد أخذنا نموذج الكرة الأرضية القديمة الخاصة بجدي إلى السرير معنا، ووضعناه بيننا كما لو كان طفلا. نظرنا إلى المدن التي سيمر بها الإكسبريس عن كثب.

كان من المفترض أن يغادر القطار لشبونة ويمر خلال مدريد، وباريس، وبروكسل، وفرانكفوت، ومالبورك (التي فشلنا في إيجادها على الخريطة)، كالينينجراد، موسكو (التي ودعتها توًا لأنه لا يسمح للجورجيين بالذهاب إلى روسيا: كنا تأشيرات مرفوضة)، وارسو، وأخيرا، برلين. باختصار، كنا سنعبر نصف أوربا. "في المستقبل، نخطط لتنظيم رحلة أورو-آسيوية" أخبرني هاينز لاحقا. "هذه المرة يكفي المال لنصف أوروبا فقط"

وبطريقة عفوية، في الوقت نفسه الذي ألقت فيه الطائرة الروسية القنبلة على جبل ماخاطا، كنا في السرير أيضا.

كانت الخامسة صباحا. صحوت أنا وإيلين على صوت انفجار صم الآذان. ظننتُ أن برج إرسال التلفزيون قد تم تفجيره. كان

Twitter: @ketab_n

هناك، فوق منزلنا وتخيلت الوحش المعدني ساقطا على بيتنا الصغير في جحيم من اللهب . . .

فتحت إيلين النافذة ونظرت إلى الخارج.

قالت: "لا". "لا يزال قائما"

سألت بسعادة: "أين سقطت إذن؟"

خطت إلى الشرفة، وظللت عينيها بيدها لسبب ما ونظرت إلى الأعلى بهلع.

"لستُ متأكدة. لا يمكنني الرؤية"

ارتدينا ملابسنا، ورمينا جوازي سفرنا في حقيبة يدها، وجلسنا لنشاهد التلفزيون.

"لو تم قصفنا مجددا، سنختبئ تحت السلالم" قررت إيلين، ووضعت رأسي على كتفها.

قلت: "من الحيوي أن تعمل الهواتف المحمولة"

أذكر أنني حاولت جاهدا أن أظل هادئا: تثاءبت بضجة ومزحت، مخبرا إياها أنني لم أفكر أبدا أن بإمكاننا ارتداء ملابسنا بتلك السرعة. في الحقيقة، كان الخوف قد زاد انفعالي.

Twitter: @ketab_n

"وطوال هذا الوقت كنتَ أنت قلقا من أن تصاب بالتعب في القطار. يا لك من أبله!"

صحيح. لم يكن بحسباني أن يقتلني الروس في أغسطس . . .

لاحقا في ذلك اليوم علمنا أن القنبلة قد سقطت في الجهة الأخرى من النهر، بعيدا جدا عنا، في نواحي بحر تبيليسي.

في تلك الليلة كنت مؤمنا أن إيلين هي أغلى شخص في العالم بالنسبة لي. وهكذا غفونا أمام التلفزيون المفتوح. كانت حقيبة يدها الصغيرة في حجرها. كانت رأسي على كتفها.

افترقنا بعد شهر.

في العادة لا أشرب، لكن حين أفعل، يكون هذا مما يثير الانتباه. لا أغضب أو أصبح شريرا. فقط أضحك كثيرا ولا أريد لليوم أن ينتهي. باختصار، ومن العبث كما يبدو، فقد كنت أتكلم في نومي.

في الصباح كانت إيلين تنتظرني في المطبخ. جالسةً بجوار النافذة، رمقتني بمزيج من القرف والسخرية.

"من هي ماكا؟"

Twitter: @ketab_n

ظننتُ أنها قرأت رسالة أو شيئًا من هذا القبيل.

كنت قد تعرفت على ماكا عبر سكايب خلال حرب أغسطس. كانت متجمدة من الفزع ولكن لعوبةً بشكل هستيري في الوقت ذاته. لم أمر بشيء كهذا في حياتي. كانت تكتب لي رسائل من قبيل: "عندما يزحف الروس على تبيليسي، سأنتحر ... لكن لا تخبرني أنك لست مهتما بزرقاوات العيون. بالمناسبة، ما هو لون عينيك؟" بدت بسيطة بشكل ما وخاما، لكنها كانت بارعة الجمال.

بإيجاز، مارست نوعا من الجنس الحزين العلاجي مع ماكا المسكينة. صحيح. كانت على وشك الدموع طوال الوقت، بينما شعرتُ بوخز الضمير لمعاملة إيلين بهذه الطريقة البشعة.

على أية حال، تقابلنا أنا وماكا ثلاث أو أربع مرات. ومهما حاولت، لم أستطع أن أجعلها تصل لأورجازم واحد. ربما لهذا السبب كانت تريد البكاء. لست واثقا.

اعتادت أن تقول مرات ومرات: "نحتاج أن نتعرف على بعضنا أفضل من ذلك، أفضل كثيرا"

لأي درجة أبعد من هذا كان علي أن أتعرف عليها؟

لو لم أتحدث في نومي، لم يكن لأحد أن يعرف ما فعلته. وإلى حد علمي، فلم يحدث ذلك مسبقا. كما يبدو فإنني كنت ثملا للغاية

Twitter: @ketab_n

لدرجة إجابة كل أسئلة إيلين – أي شيء أسهل من حملي على الكلام؟ أنا لست وسيطا روحانيا. لسوء الحظ، فشلت في أن أعرف أين كنت ومن كان يدير الاستجواب القاتل.

في البداية وجدتُ أنه من الصعب تصديق أنها لم تعرف عن طريق أحدهم. ربما رأتْ رسالة تدينني في هاتفي. ثم توقفتُ عن الاهتمام. وقلتُ ليحدث ما سيحدث. وفي العمق كنت أعرف أن كارثة علاقتنا لم تسببها ثرثرة تلك الليلة.

"لقد سأمتُ وتعبت من جرّك ورائي،" قالت ذلك قبل سنة، على الساحل. لا بد أنها فكرت في الانفصال في تلك اللحظة. ما وجدتْه جذابا في شخصي في البداية (غرابتي المعتادة في كاتب، أسلوب عيشي، صبيانيتي المحببة) كان قد تحول وقتها إلى واقع كئيب وممل. البعض ينتجون أكواما من الكتب ومع ذلك لا يجنون ما يكفي من المال، بينما نشرتُ أنا كتابا واحدا وبيع منه أربعمائة نسخة فقط. كيف إذن بحق الله يمكنني أن أجني المال؟ " ينبغي أن تُباع ألف نسخة على الأقل لتحصل على ترتيب في الأحسن مبيعا" أخبرني ناشري بذلك. كان راتبي كافيا بالكاد لأشتري السجائر (قبل أن أُقلع). حصلتُ على جائزة أدبية بالفعل، لكنني ما زلت أعيش على إعانة والديّ. أنام في الرابعة صباحا وأستيقظ في منتصف النهار، ولكن فقط من أجل اللياقة، لأنه يمكنني بسهولة أن أنام أكثر. ناظرا في عيني إيلين أجد

Twitter: @ketab_n

ذلك صعبا، لكن هذه الرواية هي ما أجده محرجا. أذهب إلى العمل مرتين في الأسبوع، أكتب عدة إعلانات، أعبثُ قليلا، وأعود. والآن، علاوة على كل شيء، فأنا في إثر إحداهن اسمها ماكا. باختصار، بدت تلك مشكلة معقدة لإيلين. أو بالأحرى لم تعد كذلك.

"طالما شعرت بالإحباط معك" اعترفت في ذلك الصباح، "لأنك دائما ما يكون لديك مشكلة ما أكون مضطرة لحلها من أجلك. أنت لست ملاكا، لأكون محددة، لذا فأنا لست مضطرة للتضحية بحياتي"

المنزل الذي كنا نستأجره حينها (اخترته أنا ودفعت إيلين الإيجار) صمد في قصف أغسطس معنا. لكنني تركته بعد أسبوعين من هجرها لي.

"يمكنك البقاء لو أردت" أخبرني المالك. "يمكنك أن تجد من يدفع الإيجار"

لم أرد أن أبقى لأن كل ما فيه ذكرني بإيلين، لذلك انتقلت للعيش مجددا مع والديّ، في زنزانة مراهقتي.

أرسلت لها رسالتين فقط. وتوقفت.

Twitter: @ketab_n

وفي أكتوبر طرت إلى لشبونة مع الشاعر زفياد مايارياني.

جلب معه جريدة أدبية حقرنا فيها ناقد شعري بشكل عنيف. انتقد الكاتبُ كوكا (وأشباهه) من وزارة الثقافة لاختيارهم لنا، واستمر هاذرا: أي نوع من الكتّاب يكونون على أية حال؟ لماذا تم اختيارهم ولم يتم اختيار كتاب آخرين أكثر قيمة من أجل المؤتمر؟ ادعى أن أمي ساعدتني (هي رئيسة اتحاد الشطرنج الوطني)، ولكنه لم ينتقد زفياد بشدة: ليس سيئا، لكن هناك آخرين، شعراء أحسن بمليون مرة. باختصار، هاجمني بشغف، مسميا إياي "كاتب الكتيّب عديم القلب"

"نحن لا نعبأ بهذا، صح؟" اقترح زفياد بحكمة. "نحن في الطائرة بالفعل، بينما يمكث هذا المغفل في مكتبه البغيض"

لم أكن مصابا بأدنى اضطراب على أية حال ولم أحتج لتشجيعه. وخمنت للتو أنه كان قلقا من الموضوع بأكمله وكان يحاول تشجيع نفسه بالكلمات.

لاحقا اكتشفت أنه لم يكن منزعجا من المقال بالمرة. في الحقيقة، كان متجمدا من رعب الطيران، ومثل أي جورجي في موقف مشابه، جرع الخمر حتى أغمي عليه. كنت متأكدا أنه سيقيء في وجهي عند الهبوط، لكنه لم يفعل. ولم يقع ما يجدر بي ذكره في الطائرة بهذا الخصوص.

Twitter: @ketab_n

لو لم أكن مخطئا، فقد قررت أن أكتب رواية مذكرات في التو واللحظة. أردت أن أحتفظ بتسجيلٍ لانطباعاتي. بما حدث وبما كان على وشك الحدوث. كان علي فقطً أن أجد مكانا للحرب ولإيلين. زفياد كان قد أصبح شخصية بالفعل.

ما لم أكن أعرفه حينها أن هيلين أخرى في حياتي كانت لتصبح الشخصية الرئيسية لروايتي.

هذه هي مذكرات مطاردة استمرت شهرا لهيلين.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

٢- الطائرة

كانت هيلينا بعيدة. بينما كنت معلقا في الهواء في مكان ما، ربما كانت تقود سيارتها إلى أثينا مع زوجها.

كان الماء تحتي: البحر الأسود.

المعتاد أن تقلع الرحلات الجوية المغادرة إلى خارج البلاد في الفجر. أظن أن مغزى هذا هو حقيقة أن سماء الليل أرخص من سماء النهار، الأمر الذي كان سببا كافيا لتكره كل الخطوط الجوية مصاصة الدماء الطائرة إلى بلادنا ضوء النهار بعمق. رحلتنا لم تكن استثناءً: كنا سنقلع في الرابعة صباحا.

زفياد أصر على الحضور إلى المطار قبل ثلاث ساعات من موعد الرحلة. ليس ساعتين، بل ثلاث ساعات كاملة. لقد رسخ في عقلي منذ الطفولة أن على المرء أن يكون هناك قبل الرحلة بساعتين ولم يكن

Twitter: @ketab_n

لدي شيء ضد التقليد القديم ذاك. أنا مع الساعتين تماما، لكن ثلاث ساعات كانت بشكل ما غير متوقعة، ولأقول الحقيقة، منذرة بشيء. حينها شككت في أن الرجل كان مثالا على نكد الرجل الجورجي الكلاسيكي، ما يعني قضاء الشهر بأكمله في محاربة همومه الأليفة. أيمكن لتلك الساعات الثلاث أن تكون إشارة إلى شيء أكثر شراً سيحدث؟

علي أن أعترف أيضا أنني أميل إلى أن ينتابني نوع من هستيريا ما قبل السفر. أحيانا ما أظن أنني قد أتوه في مطار كبير، أو الأسوأ من هذا، أنني قد يتم اعتباري إرهابيا مطلوبا بالخطأ، وأظل أحاول إقناع سلطات المطار بإنجليزيتي الركيكة أنني شخص آخر.

أمقت تلك الثواني التي يفحص فيها الضباط الأجانب جواز سفري (لا أخاف من أبناء بلدي). أكره الدقيقة التي أضطر فيها إلى الوقوف خلف الزجاج في انتظار تأشيرة الجنة من كائن فضائي بزي أخضر.

في أوقات كهذه، أحاول أن أبدو مهذبا قدر المستطاع، وتعبير وجهي يقول: للأسف أنت لا تعرفني. لن أوذي أحدا. أنا ملتزم بالقانون مثلك تماما.

Twitter: @ketab_n

أظن أن الأوربيين لا يعرفون بوجود عقد كهذه. على المرء أن يكون قادما من الاتحاد السوفيتي السابق أو يكون ناجيا من الثمانينات لكي يفهم تلك المخاوف. خوف الوقوع في الخطأ. خوف الجنوح. الخوف من أن تتبول في حمام مطار فيينا المخصص للمعاقين وتُضطر لدفع غرامة من المبلغ البائس الذي استطعت أن تجمعه من أجل رحلتك إلى الخارج. لماذا تبولت في الحمام المخصص للمواطن المعاق؟

لأختصر الكلام، أشعرُ أيضا ببعض من القلق قبيل السفر، لكن الشاعر ز. مايباریاني بالغ في هذا بالتأكيد: اتصل بي خمس أو ست مرات، وقارن البيانات على تذكرته بتلك التي على تذكرتي، ردد مرة تلو المرة أن نسيبه سوف يقلّنا إلى المطار. في النهاية، عندما سمع أنني سوف أغفو قليلا قبل الرحلة، قام باعتراف يمزق نياط القلوب: لم ينم طيلة أيام وفقد أي رغبة في الاستمرار بالعيش. كان عمره ستة عشر عاما عندما سافر بالطائرة لآخر مرة– كان أعمامه قد أخذوه إلى موسكو ليعيدوا جثة عمة أبيه. ولا عجب أن ذكرياته المرتبطة بالسفر الجوي كانت أبعد ما تكون عن السعيدة. وفي ذلك الوقت، في حمام الطائرة، كتب قصيدته الجادة الأولى. "كان شعورا غريبا" أخبرني. "كنا هناك بالأعلى في الهواء، ومعنا عمة أبي في صندوق"

بدأ زفياد بالشرب في المطار، لم يجد جواز سفره في جيبه عندما احتاجه، وبشكل ما اصطدم بمضيفة حيوية تبتسم بنفاق وتشبه الدمية،

Twitter: @ketab_n

وبعد وصوله إلى مقعده، دك بركبتيه المقعد المقابل. "هذا الرجل سيغضب الجميع" فكرت وقلبي يغوص عميقا، نادما على قبول الدعوة لإكسبريس الأدب. لم أستطع أن أمنع نفسي من التفكير أن زفياد كان مجرد حلقة صغيرة في سلسلة من المصائب.

عادةً ما أكون مكتئبا في الصباح، لا عجب إذن أن الرابعة صباحا ليست أسعد ساعاتي. الحرب منذ شهرين، هجر إيلين لي، ركابٌ محرومون من النوم، سترات نجاة قابلة للانتفاخ وإجراء نجاة غير واقعي بالمرة يتم شرحه من قبل المضيفة، مع أكياس القيء وزفياد السكران، كل ذلك زاد من كآبتي إلى درجة أن بدوت في نوبة من القلق المميزة لكل الرجال الجورجيين– الخوف من الأشياء الجديدة.

"أكاد أختنق" أذكر أنني فكرت في هذا بينما أضع جبهتي في خط تيار الهواء النقي الآتي من الأعلى.

لم أكن متأكدا من سبب ذهابي، ولا السبب الذي من أجله سيتم اقتلاعي من روتيني اليومي المريح لمدة شهر، ولا سبب وجودي هناك فجرا مع كل هؤلاء الغرباء – عصبة من المعاتيه العدوانيين.

نعم، انتابني شعور سيئ، سيئ للغاية، لكن على الأقل كان هناك شيء واحد واضح وضوح الشمس – كان النوم هو المهرب

Twitter: @ketab_n

الوحيد من زفياد السكران والمضيفة التي تبتسم بنفاق. الخلود إلى النوم كان الطريق إلى الهرب. من أجل البقاء.

"زازا، هل أقلعنا؟" أدار زفياد وجهه الأحمر المتفخ ناحيتي. أجبت: "ليس بعد".

كان ظني أنه لم يستطع احتمال النظر من النافذة.

"نحن البشر كائنات بائسة" تمتم بيأس الملك لير وغاص في رهاباته الشخصية: بعينين مغمضتين، بدأ بإصدار أصوات غريبة من شفتيه وبالإيماء برأسه على طريقة محبي الجاز اللعوبين. رمقني أجنبي بشعر مصبوغ يجلس بجواري بنظرة مرتعبة (كان أجنبيا بالطبع بسبب عينيه الجاحظتين بغرابة وابتسامته المتوترة). لم يكن لديه تفسير لسلوك زفياد.

باختصار، كان الجميع مرعوبا: أنا من المستقبل المجهول، الأجنبي من زفياد، وزفياد من الطيران. زميلي المسكين كان يجهل أنه قد أصبح هلع شخص آخر. هل كان من غير المفهوم تماما أن تكون تلك الهمهمة المريبة إشارة إلى خطر أكثر شرا يقبع أمامنا؟ ألا يمكن أن تكون شيئا آخر غير مجرد صلاة؟ لكنه ليس سرا كيف أن الأنجلوسكسونيين المنظمين يتجمدون من الرعب عند سماع الصلوات

Twitter: @ketab_n

خلال الرحلات الجوية. ماذا لو كانت الطائرة قد غادرت أرضا مسيحية – أتكون الصلاة جهرا شرًا أكيدا؟

ما هي المشاهد التي ربما قد عبرت بمخيلة الأجنبي: رجلٌ بشعرٍ أسود (الشاعر ز. مايباریاني) يقفز من مقعده بمجرد استقرار الطائرة، طاعنًا المضيفة (تماما في اللحظة التي كانت تقدم فيها عصير التفاح بمخارِج حروف مزعجة : "مع التششششلج؟") ثم تتجه الطائرة ناحية بلد عربي. أو ربما، إلى أقباط أفريقيا.

كان يسترق النظر إلى زفياد مهموما. ظننتُ أنه كان على وشك إرسال رسالة وداع إلى هاتف زوجته تقول: لقد تم اختطاف الطائرة. أحبك. أتمنى لو كنت أخبرتك بهذا من قبل.

"زفياد." وكزتُ الشاعر المومئ.

"ماذا؟" فتح عينيه.

"هل تتلو صلاة الآن؟"

"لا. لماذا؟"

"ماذا تفعل إذن؟"

"لا شيء، أريد بشدة أن أتبول."

"الرجل يظن أنك إرهابي، توقف عن هذا لو سمحت."

"من؟" ونهض واقفا.

Twitter: @ketab_n

" ذلك الرجل. " أشرتُ إلى الراكب الذي بجواره. ابتسم الرجل لنا بعيونه الزجاجية.

" ما الذي أفعله؟ " ابتسم زفياد للرجل.

" تومئ وتصدر أصواتا بشفتيك "

" أنا أكتبُ قصيدة" ضحك. "ليست لدي شجاعة كافية للإرهاب! "

فك حزام المقعد ونهض.

" لا يمكنك أن تترك مقعدك الآن " أمسكتُ ذراعه.

كان الأجنبي خائفا بشكل واضح من حتى النظر إليه. حدق في المقعد الذي أمامه وتحول إلى راكب حجري.

" سأنفجر إن لم أبل الآن " قال زفياد وقام تقريبا بسحق الرجل المسكين، فعليا، ضغط مؤخرته في وجهه وخطا من فوق ركبتيه. ثم تطوح إلى الحمام.

أنا شخص أناني بالأحرى. هربت إيلين من أنانيتي وليس مني. لكن تلك حكاية أخرى. "لن أعبأ بما يفعله" فكرت، ناظرا إلى الأعلى إلى اللوحة ذات السيجارة والهاتف المحمول المشطوبين وعلامات حزام المقعد المضاءة بالأحمر.

Twitter: @ketab_n

وصلت المضيفة ذات الأرجل السميكة إلى زفياد من قبل أن يصل إلى الحمام. في الأثناء وضعتُ سدادات مطاطية بحجم الأظافر في أذني، وقلت لنفسي إنني وحدي. ليس هناك زفياد.

لم تحتج إعادته إلى المقعد كثيرا. بضع كلمات صارمة قالتها المضيفة ذات الأرجل السميكة قامت بالواجب. أنا متأكد للغاية أنه لم يعترض فقط لأنه لم يكن على طائرة شركة جورجية، وإلا كان سيتمحك بكل راكب وربما كان سيدخن في الحمام أيضا.

"ليتني لم أشرب" قال وهو يجلس في مقعده.

تظاهرت بالنوم. لم يكن لدي أدنى اهتمام بما كان يجب أن يفعله وما كان لا يجب أن يفعله. وراضيا بنتائج سياسة تجاهله، خلدت إلى النوم.

على أية حال، استيقظت بسرعة على وقع رجة. "مجرد مطبات هوائية" طمأنتُ نفسي ونظرت إلى الشاب البائس. كان نائما بفم مفتوح. ولعله قد تبول على نفسه. بدا أن الأجنبي ذو الشعر المصبوغ لا يزال متجمدا بفعل ساحرة شريرة. وفاحت رائحة الطعام في الطائرة. أرحتُ رأسي على النافذة وتطلعت إلى الأسفل. كنا نطير فوق البحر الأسود.

Twitter: @ketab_n

قبل أن أغفو ثانية أتذكر أنني فكرت أنني بحاجة لكتابة شيء عن البحر. هل يمكنك استدعاء العديد من الكتاب الجورجيين الذين كتبوا عن البحر، وأنتجوا قصصا بحرية، روايات، مسرحيات، أو قصائد؟

كان هناك فراغٌ أدبي لمدة ساعتين بالأسفل.

وكما يحدث غالبا في لحظات الفراغ التام، بدأت في التفكير بحبكة جديدة. أردت أن أؤلف حبكة بحرية، ولكن ما سبب لي إزعاجا كبيرا هو أنني وصلت إلى صورة وحيدة من كل الصور المتعلقة بالبحر الأسود. ربما ثقلت رأسي من النعاس وأنا أتخيل امرأةً متوسطة العمر من قرية ساحلية تدخل الماء بردائها الخفيف. لقد شاهدت تلك العادة الأخلاقية الغريبة عدة مرات: نساء القرية يملن إلى التحمم في أرديتهن الصيفية الخفيفة، ودائما ما يبقين قريبات من الشط، ويمسكن أحفادهن العراة بقوة، ويطرطشن ويضحكن بصوت عالٍ في المياه الضحلة.

أتذكر بوضوح غضبي من نفسي بسبب حساسية كهذه: البحر واسع، وأنا علقتُ مع تلك النساء.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

٣- لشبونة

وها نحن وصلنا، الشاعر ز. مايبارياني وأنا، عند مخرج المطار، نبحث عن أحد يحمل لافتات عليها أسماؤنا. حضر المئات من الناس، والعديدَ منهم كانوا يحمِّلون لافتات في أيديهم، لكن لم تكن أسماؤنا على أي منها. كلها أسماء غريبة.

أولئك الركاب الذين وصلوا معنا وجدوا أنفسهم (أو أسماءهم) بسهولة، بينما وقفتُ أنا وزفياد، عند المخرج، تائهين وكما يبدو عالقين.

عرفتُ خطوتي التالية: لدي رقم تلفون هاينز، أيضا لدي رقم أحدهم اسمه إيليكو (تم إخباري أنه طالب جورجي يعيش في ألمانيا، ومن المفترض أن يكون مرشدا لنا بشكل ما). نويت أن أتصل بهما إن ساء ما هو سيء أصلا.

Twitter: @ketab_n

"هل تخلوا عنا؟" يسأل زفياد سؤالا بلاغيا. ونبرته تشي بأنه ليس قلقا على وجه الخصوص بما أنني معه. "لا يفعل الألمان ذلك أبدا، " أقول. "بلا شك. هل نحن مشوشون إذن؟"

"وصلنا في المكان الخاطئ، زازا؟" بعد أن هدأ، يريد زفياد أن يمزح.

في الأثناء، أسجلُ حقيقة كوميدية وفي الوقت ذاته (لو نظرت إليها بعمق) حزينة: أن الكلمات التي يحملها على لافتة أحد الشباب الذين يلبسون أحذية ملمعة بعناية، هي فعلا أسماؤنا أنا وزفياد، وليست أسماء أحد الأغراض المنزلية الغامضة.

السيد شاشا، السيد جفياض، أهلا إلى ليسبوا!

نعم، ليست لديك أدنى فكرة كم هو مهين أن تمشي إلى رجل برتغالي بأحذية ملمعة جيدا تخبره أنه أنت شاشا، أنه كان واقفا هناك في انتظار شيء مثل شاشا وجفياض؟

"أليس لديهم حرف ز؟" يسألني زفياد بدهشة بينما أصافح الشاب وأعطيه ابتسامة مرائية(أكرهه بالفعل).

"هاي، أنا شاشا."

Twitter: @ketab_n

"زدراستفويد،" زفياد يحييه بالروسية، كاشفا عن واقع بسيط وهو جهله بالإنجليزية.

الحافلة التي قادنا إليها عكست أزمات ما بعد السوفييت في التسعينات: الكتاب الأرمينيون، أنابيت، امرأة مسنة، والسيد أرتور زيتونتسيان احتلا المقعدين الأماميين؛ السيد إلدار أليف من أزربيجان (كنت سأندهش بالفعل لو كان له اسم أب مختلف) جلس في المنتصف، بينما احتل الشاعر الشيشاني راؤول ألدَاموف مقعدا مرتفعا في آخر الحافلة. تسلق الروس بعدنا، وحيوا الجميع "هاللو" بلكنة روسية ثقيلة. أحدهم كان شابا (سميناه لاحقا بالروسي الصغير)، يلبس نظارات وله لحية، والآخر كان بوجه أحمر وأكبر سنا (لاحقا، الروسي الكبير)، كان مع الأخير ترموس في يده.

منحنا الأرمينيان ابتسامات أبوية وتبنيا موقفا متحفظا محببا، وتكلما بأسلوب متأن. لم أستطع أن أتوصل إلى العلاقة التي تجمعهما: هل كانا زوجًا وزوجة، محبين، أم مجرد زميلين؟ بدت على كليهما أمارات الشيخوخة الكريمة، لكن لم تكن لتقول أنهما عجوزين. قررتُ أن المرأة انتمت إلى نمط نخبوي من الأرمينيين— وشاح فضي ملفوف مثل العمامة على رأسها وجينز ضيق على فخذيها الممتلئين.

Twitter: @ketab_n

وصلتني رائحة أوروبا بمجرد مغادرتنا للمطار. أحد معارفي كان قد أخبرني أن البرتغال هي مياه أوروبا الراكدة، المعلومة التي صدقتها في التو وبحماقة. وبجو من الحنكة الذابلة شاركت تلك المعرفة مع زفياد الذي لم يكن مثقلا بتجربة السفر الغنية.

لا أثر للمياه الراكدة مع ذلك: كانت جنة على الأرض إننا نحن من يعيش في مؤخرة المؤخرة. في مرة صحبت إيلين إلى تكيبولي في رحلة عمل. ذهبتُ من أجل المتعة ووجدتُ نفسي في جحيم حقيقيّ! التلال الجافة كانت مغطاة بعمارات عديمة النوافذ ومحترقة. سكن الناس الأدوار الأرضية فقط لهذه العمارات ذات الطوابق العشرة. كان الانطباع أن الهياكل العالية كانت قد بنيت في ما قبل العصر الجليدي. لم أكن لأندهش إن وجدت بيض ديناصور في إحدى الشقق المهجورة. تشايتورا، بلدة أخرى، كانت أسوأ: بدا المكان كما لو أن قنبلة نووية قد ألقيت عليه قبل عدة أسابيع. حافلات ترولّلي صدئة بدت وكأنها معلقة في الهواء. في الماضي كانت هناك عربات معلقة تربط البلدة بالجبال المجاورة. الآن تتدلى الكابلات في كل مكان، وبعضها امتد بعيدا حتى المنازل نصف المدمرة على قمم التلال. الأشجار والحشائش برزت مثل القرون من أسقف مصانع عصر ستالين، أو ما تبقى منها بالأحرى. بدت كامتداد للأرض. وأحيانا كان ما أظنه أرضا ليس إلا هيكل شاحنة أو حافلة ترولّلي صدئة

Twitter: @ketab_n

ونصف مدفونة – شيء تحور إلى أرض طبيعية مريضة، امتداد مرضي للطبيعة.

البرتغال كانت رائعة. حتى الطريق السريع الذي استطعت رؤيته من نافذة حافلتنا المتأزمة عرقيا، كان رائعا.

الأرمينيون معسولو الكلام كانوا عالقين بوضوح مع ركابٍ غير ثرثارين ولا متحمسين جسدناهم نحن. كان كلانا نعسان للغاية، ولم نحاول أن ننطق بكلمة أو اثنتين. روح زفياد وروحي كانتا عالقتين في تبيليسي البارحة.

لاحقا نما للعلم أن الأزيري[1] إلدار ألييف كان أشهر كاتب بين أولئك القادمين من القوقاز. حتى زفياد قرأ إحدى رواياته البوليسية. المحقق كراوس (أو ما شابه) كان قد خلقه زميلنا الأزيري، مؤلفُ أكثر من ثلاثين رواية. فكرة أن ذلك الرجل الذي يلبس زي عضو بالبرلمان كان يؤلف القصص البوليسية أدهشتني. فقد بدا كعضو كبير بحزب شيوعي كنت قد رأيته في طفولتي. كان أنيق الملبس وعامل النساء باحترام مبالغ فيه.

---

1 الأزيري تعني الأزربيجاني. (مترجم)

Twitter: @ketab_n

في الحقيقة، أي أوروبي محترم كان لينتحر لو اضطر لاستقلال حافلتنا. الهواء نفسه كان يرتعش بينما ارتفع عاليا أكثر توتر خاطئ سياسيا.

مريع كيف أننا نجد أشخاصا لا نعرفهم حتى مزعجين. ليس لديك أدنى فكرة عن نوعية الكتب التي يكتبونها، أي ميزات يحوزونها، سواء كانوا كريمين أم حقودين. لكن لو حدث وكنت أنت مثلا أرميني والشخص الآخر أزيري، فمن المتوقع منك أن تكرهه بشكل آلي. لم يكن لدي أدنى علم بالصفات الشخصية للروس على الحافلة، لكنني وجدتهم كريهين. قاذفوا القنابل. ألم يكونوا يقتلونني أنا وإيلين منذ شهر مضى؟

باختصار، لولا بلداننا، كانت الأجواء في حافلتنا لتصبح حسنة كتلك التي في الحافلة التي تحمل الإسكندنافيين.

قابلنا إيليكو، الطالب الجورجي، في صالة الفندق. قام طلاب آخرون شبيهون بإيليكو بالترحيب ببقية مجموعتنا. تخيلت ولدا نحيلا يدرس ويعمل بنصف دوام بوظائف غريبة. كنت محقا بشأن المعلومتين الأخيرتين، لكن تخميني لم يصب بخصوص عمره ومظهره: كان إيليكو عازبا ضخما بالأحرى ومنهكا وبرأس تتجه إلى الصلع. كان يرتدي سترة بالية، النوع الذي تتوقع من شخصية فيلم خيال علمي

Twitter: @ketab_n

شاذة أن ترتديه، تم شراؤها بلا شك في أحد تلك التخفيضات الأسطورية.

لم يتآلف إيليكو وزفياد في التو. أنا، من جهة أخرى، أعجبت بهذا الرجل الغريب كلي المعرفة. أحب أن أتلقى النصائح فيما يخص الأشياء اليومية العملية. وأكره أن أكون في وضع التأهب. لهذا وقعت في حب إيلين. كانت هي المسئولة، اتخذت القرارات. هكذا استمر الأمر بيننا.

لا يمكنني أن أقول أن إيليكو ذكرني بها، لكنه كان جيدا في إعطاء الأوامر للناس. زفياد كما يبدو كان منزعجا من نفس المميزات التي وجدتها أنا جاذبة في شخصية إيليكو.

"سيتم إعطاؤكم المفاتيح الآن" قال بحدة بعد مقدمة ترحيبية قصيرة. "نقطة التسجيل هناك. أنتم بحاجة إلى تسجيل أسمائكم ثم بعدها اذهبوا إلى غرفكم. هناك وجبة عند الساعة الثالثة. لقد أعطونا خراء لنفطر به، لكن انزلوا على أية حال. من الجيد أن نراكم ويمكنكم أكل أي شيء."

كان سريع التوتر لكنه حاول أن يمزح. كان هذا أسلوبه في الحديث.

Twitter: @ketab_n

"إن كان هذا هو ما يطعموننا في البرتغال، فأنني لا أريد أن أتخيل كيف سيكون الأمر في بولندا" ضحك وقادنا إلى طاولات التسجيل الموضوعة عند المصاعد.

في أحد أركان صالة الفندق كان هناك نقطة تسجيل منصوبة لركاب إكسبريس الأدب. امرأة مبتسمة ولكن صارمة عبأت حقائب متوسطة الحجم ونبحت بمعلومات علينا (كانت ألمانية تتحدث إنجليزية غاضبة):

"يمكنكم أن تجدوا مسار الرحلة والخرائط في حقائبكم، أيضا ألبوم صور المشاركين، المال، ومفاتيح غرفكم. يجب أن نجتمع في الصالة في الساعة الخامسة مساء اليوم لنتعارف."

كان اسمها إرميل. كانت شقراء بنظّارات دائرية.

إيليكو حدثها بألمانية طلقة بل جعلها تضحك. في المصعد أخبرنا:

"إنها بنت طيبة، لكنها عصابية للغاية. أعرفها من برلين. كانت معجبة بتاجر شاي تركي" ثم تنهد بأسف. "لم أمارس الجنس منذ ثمانية أشهر. ربما تستحق أن أضعها بالاعتبار..."

Twitter: @ketab_n

تم تسكيني أنا وزفياد في غرفتين في الطابق التاسع، إيليكو كان في الحادي عشر. نوافذ زفياد أطلت على لشبونة القديمة، وأنا: الجزء الجديد.

سرعان ما طرق إيليكو بابي.

سألني: "هل لديك نعلان في غرفتك؟"

كنت قد أخذت جولة في الغرفة، ووجدتُ زوجا من النعال تحت شمّاعات الملابس.

"الأوغاد! ليس لدي أي منها. قد يكون لديك برنس للحمام أيضا" قال وهو يسترق النظر إلى الحمام ولا يجد ما يثير اهتمامه.

"لا بد أنهم أعطوها للكتاب فقط، أليس كذلك؟" قال متبرما وهو ينظر إلى الأسفل إلى نعلي الفندق الخاصين بي.

"يمكنك أخذها لو أحببت" قلت. "لقد أحضرت نعلين معي"

"حقا؟" لمعت عيناه.

"لا أغادر تبيليسي من دونها أبدا"

"نعم، تلك جيدة حقا" قال وهو يحشوهما في جيب سترته ذات المربعات. "ليست مصنوعة من أجل الاستخدام لمرة واحدة كما

Twitter: @ketab_n

تعرف" شرح لي. "يمكنك استخدامها لفترة، لماذا إذن نتركها، أليس كذلك؟"

"أوه" استدار عند الباب، "استرح قليلا، الوجبة بعد ساعتين"

بمجرد أن أغلقت الباب خلف إيليكو اتصل بي زفياد.

"كيف أتصل بتبيليسي؟"

فكرت أنني محاطٌ بالمعاتيه. ومسيطرا على امتعاضي، أمليتُه بصبر كل رقم يجب أن يطلبه من أجل المكالمة.

الوجبة التي ذكرها إيليكو كانت مجهزة في صالة إفطار الفندق.

قدمنا إيليكو إلى هاينز ورودي:

"هؤلاء هم رؤساؤنا"

هاينز كان رجلا ذابلا غير محدد العمر. رودي كان قنطورا طويلا بأربع حلقات في أذنه اليسرى.

ذكرني هاينز ضاحكا بخطئه وهو يصافحني.

"السيد زازا!"

Twitter: @ketab_n

ضحكت بصوت عالٍ لمزحته وانضم إلي آخرون.

"يقولون أن القوقاز لا يغفرون بسهولة أخطاء كهذه،" تابع بابتسامة: "أخبرت رودي أنني قمت بخطأ قاتل وسوف يقتلونني بسببه. لكنه هدأني قائلا إنك كاتب وستنسى الأمر."

ضحكنا كلنا بصوت أعلى عند هذه النقطة.

ومثل رجل آلي: بعيون خاوية، وفم مغلق، بينما يصدر الصوت مباشرة من رئتيه. أصبح هاينز جديا مرة أخرى: "هل التقيت بزملائك؟" سأل، ومجيبا نفسه في التو: "بعضهم لم يصل بعد. نتوقع وصول المزيد غدا."

"من الجيد أنك لا تزال حيا" ساهم رودي في الحوار. "الكثير من الحديث دار عن حربكم."

هكذا قالها تماما: حربكم.

"نعم، عندما قصفكم الروس، كنا قلقين للغاية" وافق هاينز على كلام رودي. "كان أمرا مريعا" قال هازا رأسه بشفقة.

"نخطط للانتقام من الروس هنا" قلت ضاحكا.

يضحك هاينز أيضا، لكن رودي يبدو متوترا. يشعر أنني أمزح لكنه لا يثق بي تماما. من يعرف ما الذي أنا قادر عليه؟

Twitter: @ketab_n

"الأمور هادئة الآن، أليس كذلك؟" يسأل هاينز.

جفل إيليكو قائلا " أي سلام ذلك الذي تتحدث عنه؟ لقد أحضروا جيوشهم إلى أبخازيا وجنوب أوسيتيا! هل تعرف أين أوسيتيا؟ في قلب جورجيا. أخلجوري . . . إنها بلدة"

تطوع هاينز "أعرف جوري، إنها مسقط رأس ستالين."

"لا، لا،" انفعل إيليكو. "جوري مختلفة. لقد تم قصفها أيضا، لكن أخلجوري أعلى قليلا،" ثم بدأ برسم خريطة خيالية في الهواء. "الأوسيتيون لا يعيشون هناك، فقط الجورجيون . . . لكن الروس قد احتلوا البلدة الآن، الأمر الذي يعني أنهم احتلوا الإقليم بأكمله. هل تفهمني؟ الآن، تبيليسي، العاصمة، على بعد أربعين دقيقة بالسيارة من هناك. وإن أرادوا، يمكنهم أن يكونوا في تبيليسي في أربعين دقيقة. يستطيعون بسهولة أن يسحقونا في أربعين دقيقة."

يتنهد إيليكو "كم هو مخيف" لكن همّه هو أن يكون متحضرا: نظراته تندفع نحو ضيوف آخرين. من جهة أخرى، ينصت رودي إلى إيليكو بانتباه، وبتعبير غاضب. على أي حال، لست متأكدا إن كان غضبا من الروس، أم الجورجيين، أم من مستشاره.

"لقد تم احتلالنا عمليا" يضحك إيليكو من دون سبب واضح.

Twitter: @ketab_n

"أظنه خطأ جورج بوش" ينهي رودي الحديث.

"وما علاقة بوش بهذا؟" يبدو إيليكو مندهشا. "بوتن هو من قصفنا وليس بوش! دعنا نترك مسبة بوش للعراقيين. إن بوتن هو من يقتلنا" ويضحك ثانية.

"كفاكم سياسة!" يمد هاينز ذراعيه كمذيع تلفزيوني. "هلا تركنا السياسة وراءنا ولنناقش الأدب فقط على القطار؟" يستدير ناحيتي، "لم تخبرني بعد إن كنت قد التقيت بزملائك".

"لقد فعلت" وأشير إلى زفياد. "هناك في تبيليسي،" أقهقه.

"هل تضحك علي يا رجل؟" يبدو زفياد في حيرة. يجد أن من الصعب تصديق أنني قادر على خيانته وأخذ صف الناس التي تتكلم بلغة أجنبية.

يقدر رودي مزحتي قائلا: "ها."

هذه هي ضحكته.

"استمتعوا" يأمرنا هاينز ويمشي بعيدا. يتبعه رودي كعبد.

وأسأل إيليكو "هل هما حبيبين؟"

"رودي جديد" يوضح لي. "كنت أعرف الشخص السابق"

أشير إلى زفياد. "أترى ما يحدث هنا؟"

Twitter: @ketab_n

وينفجر "هل هما ولداي أم ماذا؟ لا أهتم البتة!"

"لنلق نظرة على الطعام الذي قدموه" يتحرك إيليكو ناحية الطاولة الطويلة.

وقف الأرمينيان بعيدا وتناولا طبقا من اللحم، وقد بدا عليهما البؤس. الروسيان قد ارتديا صنادلهما فعليا. الروسي الكبير يلبس سروالا قصيرا أخضر، يظهر ساقيه البيضاوين (تماما كساقي جدة)— ذابلة وعديمة الشعر. لا أثر للشيشاني والأزيري. رجل يشبه البلشون (الشاعر البلجيكي) يبدو الأكثر نهما: يمد عنقه الطويل، يفحص كل الشطائر على كل الأطباق، ثم يأكل بعضها بتعبير ممتعض وشك عظيم.

لم تكن بي رغبة للقاء الجميع. بل إنني ندمت على اضطراري لقضاء شهر كامل في النظر إلى تلك الوجوه. ومنهكا من قلة النوم، حشوت فمي بتشكلية من الطعام الملون.

"أهلا أيها الجورجي!" اندهشتُ لسماع الأرميني زيتونتسيان موجها كلامه لي بلغتي الأم. بفم ممتلئ، لم أرد، لكنني قمت بالإيماء بأنبل طريقة استطعتها. إيليكو كان يحادث امرأة عجوز ونحيفة، بينما كان زفياد يضع شطائر السلمون الصغيرة في منديل. فكرت أنها

Twitter: @ketab_n

اللحظة المثالية للتسلل إلى الخارج، وهكذا بمجرد أن نفد كوب البرتقال الخاص بي، انحرفت ناحية المخرج. في طريقي ابتسمت إلى هاينز ورودي وأشرت لهما بإبهامي لأعلي. كان هذا تقييمي للعشاء.

من الصعب الآن أن أتذكر في أي مكان رأيت هيلينا للمرة الأولى: عند المصاعد، أم عند باب الصالة. أين بالتحديد اكتسبت رحلتي التي استمرت لشهر مغزى؟

. . .

Twitter: @ketab_n

٢ أكتوبر. لشبونة

نجحتُ في فعل الأمر على طريقتي. نحن في لشبونة.

يظن أنني طفلة. يقودني هذا إلى الجنون. هل سيكون من الأحسن: أنا في أثينا، هو هنا؟ "افعلي ما يحلو لكِ. لا يهمني" ظل يكرر طيلة سبع سنوات مضت . . . لكنه لا يزال يَحزن عندما أفعل ما يحلو لي. تكلمنا نوعا ما في أثينا. "أنا عجوز، وكل هذا الهراء. . . " الحفلة في هيروديون. موتسارت. السيمفونية على صول الكبير. أوركسترا مهلر لموسيقى الغرفة. بالكاد استطعت كتابة صفحة ونصف. لا أذكر حتى ما الذي كتبته. دخنّا. ماسيك شرب في المطار. إنه "يعاقبني". يقول: "كنت تغازلين يوجين. لكن هذا أمر طبيعي" ويقصد بهذا شابا مثليا! أقول، "لستَ متأكدا مما تريده. أنا أعرف ما أريده: أنا معك وهذا هو الأمر." أرسل بعض المال لابنه الأكبر. ومازحني: "أنت تصلحين لتكوني زوجته، وليس زوجتي" ظل الأمر هكذا طوال الشهر الماضي. كان عكر المزاج منذ تكلم مع ماما. "وعدت أمك أنني لن أقف في طريقك" اللعنة عليكما! وصلنا أمس إلى لشبونة. هذا هو المؤتمر الثالث في هذا العام الذي أصحبه فيه. سنكون في القطار لمدة ٣٠ يوما. لم أكن متأكدة إن كانت فكرة صائبة

Twitter: @ketab_n

أن أحضر معه. هل أنا عنيدة؟ يتركني بسهولة وحيدة. يعتقد أنه يتحكم في الأمر أيضا. "هذا في مصلحتك. أنت مهووسة فقط." أرفض تصديق أنه بهذه الغطرسة. تناول الشراب وأصبح غيران من يوجين. يصبح حقيقيا حينما يشرب. كم كان الأمر جميلا في نانسي! بعد غد سنكون في مدريد. توجد أنواع عديدة من الناس هنا. لكن نفس الشيء، بطريقة ما. لدي حدس ما أنهم نفس الناس الذين قابلناهيم في نانسي والقسطنطينية: مفكّرات، سراويل قصيرة، نظارات، غلايين، لحى . . . (حتى النساء!). الرئيس ألماني. بمؤخرة مستديرة. لكنه مثليّ. كلهم مثليون! لهذا يطمئن لتركي وحيدة. لم يكن يجب أن أحضر الفستان الأسود. كل النساء يلبسن مثل متسلقي الجبال هنا. ماسيك يتظاهر بأنه لا يهتم.

أنا أكسل من أن أكتب هذا.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

٤- القطار

هيلينا. أستمتع بكتابة اسمها بحروف لاتينية. أتذكر أولى الثواني، والدقائق والأيام التي قضيتها معها. كتابة اسمها تذكرني بانطباعاتي الأولى عن هيلينا.

هيلينا. غريبة. جذّابة للغاية. لم أظن أبدا أن الحروف اللاتينية قادرة على إثارتي إلى هذا الحد.

هيلينا تذكرني ببطنها المستديرة قليلا، الخط من سرتها إلى صدرها، طعم شفتيها، الثديين اللامعين بشكل استثنائي، الحلمات المنتصبة لمجرد لمسة، شعرها الأسود منسدلا على ظهرها، ركبتها عند فمها والطريقة التي عضتها بها حين دخلتها.

حين دخلتها.

كم هي لا جنسية لغتي الأم! ما تكون "حين دخلتها" بحق الجحيم؟ اللغة الجورجية لا تحتمل فعلا جنسيا. لو قررت أن تصف

Twitter: @ketab_n

النيك في لغتي، يصبح مبالغا فيه وفضفاضا بشكل لا يحتمل، أو عدوانيا بشكل مدهش. لا شيء بينهما. عندما أدخلها، أو عندما أنكحها. يجب أن تختار إما هذا أو ذاك، لكنني لا أحب كليهما. الأول غير مثير للاهتمام وميت، الأخير عديم حب وحانق. لا جنس في الجورجية – فقط تلميح له. لكنني أرفض أن ألمح إلى ما أريد وصفه. أفضل أن أكون مباشرا فيما يتعلق بمشاعري وعواطفي. أحب أن أقول كيف عضت هيلينا ركبتها حين مارسنا الجنس. لكنني أفقد كل اهتمامٍ بتلك الحادثة بسبب الكلمات التي تأتي إلى عقلي. أين الشغف حينَ يضطر المرء لكتابة: مارسنا الجنس؟

حسنا، نعم، هناك إمكان آخر، على سبيل المثال: بينما كنا نتنايك. يبدو ذلك كمسبة في حق الشخص الذي تحبه. على أي حال هناك مصطلح طبي أيضا: الجماع. لكنه ليس طبا ولا جنسا – كلمة بلهاء. وطيلة الوقت كل ما أريده هو أن يقع الجميع في حب هيلينا وهي تعض ركبتها أثناء الفعلة . . . أكره أن أفسد فترة جميلة بشيء منفر إن تبنيت الاصطلاح الجنسي المدّعي المتحجر في لغتي الأم.

ككاتب فأنا لستُ راضيا عن الكتابة اللاتينية لهيلينا. هيلينا اختيار إنساني، وليس اختيار الكاتب. البربرية تزعجني كثيرا – الكتاب عديمو المذاق فقط من سينحون إلى كتابة أسماء حبيباتهن باستخدام الحروف اللاتينية. هذه قناعتي، لسبب غامض. لكن لا

Twitter: @ketab_n

يزال شيء يحدث بداخلي عندما أكتب HELENA . اسمها مكتوبا بالجورجية يذكرني فقط بافتراقنا وليس بالعاطفة التي شعرنا بها تجاه بعضنا. هيلينا بالكتابة الجورجية تصيبني بالاكتئاب. بالحزن. تجعلني أدرك أنني تركت شيئا ثمينا ينفلت من أصابعي.

صحيح أنني لا أستطيع أن أتذكر أين رأيتها لأول مرة (قرب المصاعد أم عند مدخل البهو؟)، لكنني سأذكر دائما ما كانت ترتديه. لاحقا، عندما وصفت ملابسها بالتفصيل، بدت متأثرة وليس هذا من صنع خيالي. لم أرد أن أرتكب أخطاء، لذا جمعت تركيزي وجئت بوصف دقيق للملابس التي كانت ترتديها في ذلك اليوم. إيلين السابقةً(آسف، إيلين، لذكرك على هذا النحو) كانت تجد هذه أشياء فاتنة. النساء لا يرتدين ملابسهن أبدا بشكل 'عارض' – دائما ما يأخذن السياق في الاعتبار، لهذا فهن دائما ما يتذكرن ما كن يرتدينه لهذه المناسبة أو تلك ولماذا. كل شيء مختار بحرص ووعي، المشكلة في تفسير المعنى. عندما أخبرت إيلين السابقة أنها كانت ترتدي أحذية ركض خضراء في وقت لقائنا، كان ردها الصارم أنها لم تكن تهتم بي وأرادت أن تعبر عن هذا بالتحديد. هل تفهم؟ لن يخدعني هراء كهذا! فقد أرادت فقط أن تبدو كفتاة ملّت من اهتمام الذكور. هذه كانت الرسالة المرسلة وهكذا كنت سأفسر أحذية الركض الخضراء.

Twitter: @ketab_n

بدت هيلينا كنجمة أفلام. خطرت إلى البهو كشبح سينمائي . . . كانت تمسك بيد زوجها.

تجره إلى الأمام كما لو كان طفلا عنيدا.

ما الذي أتذكره؟

فستانها الأبيض، أسنانها البيضاء، عظام وجنتيها، عيناها السوداوان وسلسلة فضية لامعة معلقة من رقبتها ومرتاحة على صدرها المدبوغ.

لم ألاحظ وقتها، لكن لاحقا عرفتُ شفتيها بلون النبيذ القرمزي، الشكل البيضاوي المثالي لوجه شبيه بالثعلب، والذقن الدقيقة نوعا، أصبح هذا شديد الأهمية.

لم تنظر هيلينا إلي وقتها.

لا يبدو أنني موجود بالنسبة للنساء الأجنبيات. إنهن لا يرينني وهذه حقيقة. أنا مجرد شبح أجنبي يعيش حياته الخاصة: خارجا تماما عن اهتماماتهن الجنسية والجمالية.

نظرتُ إليها، وظننت أنها جذابة ونسيتها في التو واللحظة.

في خلال ساعة كنت في سريري بالفندق، أحاول النوم وأدعو ألا يأتي زفياد ويطرق بابي ("تريدُ مشروبا، يا صاح؟"). على ما يبدو،

Twitter: @ketab_n

لقد سمعتني السماء، ففي هذا اليوم لم أُضطرّ إلى صحبة غير مرغوبة. كنت آمنا.

لكننا أمضينا النهار التالي بأكمله متجولين في شوارع لشبونة كثيرة المترفعات.

أخبرَنا إيليكو: "في القرن الثامن عشر، سويت المدينة بالأرض بسبب زلزال، لكنني لستُ مهتما بلشبونة الملكية، المدينة الحقيقية هناك، خلف تلك البيوت. البارحة مررتُ بكرة قدم شوارع"

اتجه إيليكو إلى حاناتٍ صغيرة من دون نية لدفع المال هناك.

"دعونا لا نجلس هنا، دعونا نلق نظرة فحسب" اقترح. " فكروا في المصروف الزهيد الذي أعطوه لنا" استدار ناحية المنظمين. "هل من المفترض أن نجوع أم ماذا؟ كل الألمان الذين أعرفهم بخلاء"

زفياد كان يحمل حقيبتين صغيرتين اشتراهما من أجل أولاده. كان قد حصل على حِقيبتين على شكل دبين صغيرين صناعة صينية من كشك في الشارع.

"كان يمكنك شراؤها في تبيليسي" حاول إيليكو إقناعه.

كان تعليقا معقولا. طوال شهر ظل زفياد يشتري أشياء يمكنه أن يجدها بسهولة في أسواق تبيليسي. كانت لديه ملكة العثور على

Twitter: @ketab_n

المتاجر والأكشاك الكئيبة، الأمر الذي أصبح واضحا لي في لشبونة. وبالعكس من إيليكو لم يزعجني الأمر على الإطلاق

"لماذا يحق الله يضيع أمواله؟" صاح، "لو مشى عدة خطوات إلى الأمام لكان وجد أشياء أحسن! ربما علينا أن نتركه لبائعي السوق السوداء، سيكون سعيدا بحق. ليس بكاتبٍ! أمثاله يشعرون بالتعاسة هنا"

قال لزفياد محذرا بصرامة معلّم: "سنزور مدنا أخرى كما تعلم. لا تنفق كل ما لديك هنا. لن يعطونا المزيد"

لم أكن متأكدا إن كان زفياد تعيسا في أوربا. كل ما أعرفه أننا شعرنا بالرعب عندما أخذونا إلى القطار. لا، لم يكن القطار نفسه مخيفا: أحبطنا عدد الكتاب والشعراء! كنا قد رأينا عشرهم فقط في عشاء الليلة الماضية. العديد منهم وصل والأدهى من ذلك، كانوا كلهم سكارى. وقع قلبي. كرهت فكرة لقائهم، تذكر أسمائهم ورؤيتهم كل يوم. كم كنت أكره أن أكون مع أناسٍ لا أعرفهم!

أذكر أنني اعترفت بخوفي لإيليكو.

"لا تقلق." طمأنني بطريقته المعتادة، "إنهم يكرهونك أيضا."

الشاعر الإستوني بدا أكثرهم شؤما: رأسٌ حليق، سكسوكة، سترة جلدية والعديد من المعدن يتدلى من رقبته. والأهم من ذلك، أنه كان سمينا بشكل مُنذِرٍ ويترجرج بشكل مزعج.

Twitter: @ketab_n

"أتمنى أن لا نكون في نفس الكابينة" منحتُ إيليكو ابتسامة مرتعبة.

لم أكنُ منفعلا بالقطار – إنها ميزتنا كسواح: نحن الجورجيون لا نتأثر بسهولة من النظرة الأولى. توقعتُ هيكلا حديثا، فولاذيا يشبه سمكة القرش، لكنني كنت أحدق في قطار بخاري ملون. العربات كانت مدهونة بالأصفر والبني و"إكسبريس الأدب" مكتوبة عليها كلها: أفقيا، رأسيا، وفي دوائر.

سرعان مع اكتشفنا أننا نحن فقط، الجورجيين من كنا مغتمّين. الآخرون كانوا يضحكون، يتحدثون بصخب، يصرخون، يشربون، ويقابلون بعضهم بطريقة متحمسة. كان هاينز في إحدى العربات يحدث الصحفيين. أحدهم حمل كاميرا ضخمة على كتفه، بينما دفع صبيّ عجوز الميكروفون باتجاهه. لاحقا رأيت ذلك الفيديو على "الشبكة" وعندما لمحت هيلينا في الخلفية، أخطأ قلبي في النبض، ثم أسرع بينما أشاهد خمس دقائق من التغطية لعشر مرات على الأقل.

الجورجيون أناس تعساء للغاية! نتوقع الخطر من كل الجهات، لذا نميل إلى العبوس مقدما. بهذه الطريقة ندافع عن أنفسنا. مشكلتي أنا وزفياد يمكن شرحها بسهولة: كلانا من منتجات موطننا تبيليسي، مرعوبون لدرجة التجمد من الخوف من الغرباء، نرمقهم بشك وانعدام ثقةٍ تام. لكن ماذا أصاب إيليكو؟ تصرف تماما مثلنا في ذلك

Twitter: @ketab_n

الوقت. لكن، الحمد لله، ليس لوقت طويل. أحد منظمي الرحلة، ميلينا الشقراء، جاءت راكضة وأعطت إيليكو رقم عربتنا ومقاعدنا.

إيليكو زير نساء حقيقي. يجري وراء أي امرأة بغض النظر عن هيئتها. وبالطبع، لن نذكر حتى شخصيتها. لا يؤمن بالعلاقات الطويلة فلا يظهر أي اهتمام بالتعرف على ما تريده المرأة حقا أو تحتاجه. يهتم فقط بتلك النساء اللواتي من السهل التودد إليهن، الأمر الذي يوفر عليه الجهد في أخذهن إلى السرير.

لن تتصور كيف تحول عندما ظهرت ميلينا. مازحها، وضحك بصوت أجش بل ولامس ذراعها المليء بالنمش بيده.

في هذا اليوم لاحظت شعرا أشقر تحت إبط ميلينا. طويل جدا. لاحقا اكتشفت شعرا طويلا ثانيا على فخذيها الأبيضين.

"أحبها هكذا" قال إيليكو. "إنها ابنة الطبيعة بلا حاجة للحلاقة!"

كنت مستعدا لأجادله لكن في تلك اللحظة رن هاينز جرسا فضيا عتيق الطراز وأفلت ضحكة عالية وعصابية.

"علينا أن نمضي!" صرخ إيليكو.

Twitter: @ketab_n

أحضر بعض الركاب كاميراتهم والتقطوا صورا لهاينز وهو يرن الجرس.

أوريجينال جدا: هاينز يرن الجرس. ظريف للغاية.

وجدنا عربتنا، رقم ستة، ووصلنا إلى مقاعدنا، متعرقين قليلا. لم تكن هناك كبائن، ما يعني أننا نجونا من أن نتشارك في واحدة مع الإستوني غريب الأطوار. لم نستطع أن نرى سوفييتيين سابقين غيرنا. كنا وسط أناس غير مألوفين، نبتسم لهم من دون أن نقول شيئا.

"ما هي المسافة إلى مدريد؟" سألت إيليكو.

"من المفترض أن نقضي شهرا على متن القطار، لماذا إذن تهتم بالساعات؟" هكذا أتت إجابته الفلسفية.

سرعان ما خرجنا من المحطة. أصدر القطار إشارةً تشبه العواء قبل أن يغادر. ضحكنا كلنا. لو كنا وحدنا لم نكن لنفعل، ولكن لكوننا غير متأكدين مما يجب أن نفعله، ضحكنا. بهذه الطريقة، أولا، انفعلنا بصوت العواء، وثانيا، عبرنا عن ألفتنا ببعضنا: أليس من الرائع أن رحلتنا ابتدأت؟

Twitter: @ketab_n

بعدها شهدتُ عرضا كوميديا: في لحظةٍ تحول الجميع إلى كُتّاب.

كل القوالب الجاهزة عادت إلى الحياة بشكلٍ تلقائي.

استل كل منهم نوتةً، فتحوا اللاب توب، فرشوا الورق على الطاولات، وضعوا الأقلام الرصاص في أفواههم، وتأملوا في المناظر المتغيرة بالخارج بإعجاب صامت. الرجل الصغير ذو السكسوكة الجالس قبالتي أخرج صحيفة كانت صورته على صفحتها الأولى، ووضعها على ركبتيه وشرع يقرأ. اسمه باولو تيشايرا، كاتب صحفي برتغالي، ومصور صامت، راقب زملاءه بعينين دقيقتين، وماكرتين، كأنه عميل سري.

جدة فرنسية ترتدي الجينز (مدام روجيه) كانت تدون أفكارها في نوتة عتيقة؛ شابٌ ملتحٍ بحلقان طويلة (فايتاس من ليتوانيا) كان ينقر لوحة مفاتيح اللاب توبِ الخاص به، بينما التشيكي الذي يتحدث لغة العفاريت(وصف إيليكو لألمانيته) كان يكتب في نوتة مسطرة. آفة الكتابة قضمت كل من على إكسبريس الأدب. هؤلاء الناس استمتعوا بلعب دور الكاتب بشكل كبير: حماستهم للأدب كانت تدير الرأس! أمن الممكن أن يكون هذا النوع من السلوك طبيعي وأنا هو الشخص الناقص؟ أنا ذو التعبير المحتار الساخر المشدوه؟ أكان علي أن أسحب نوتة أنا الآخر، وآخذ دقيقة تفكير وأنقل انطباعاتي وعواطفي إلى الورق، مثل الجميع؟ نعم، كنت متأكدًا أنهم يسجلون انطباعاتهم عن

Twitter: @ketab_n

تلك اللحظة تحديدا. شعروا بالراحة- مثل الكتاب أو الشعراء الحقيقيين أو أيا كان. شعروا بالعظمة باختصار، وحاولوا تسجيل تلك اللحظة الرائعة، لحظة الراحة الرومانسية الاحترافية الروحية. هناك، تكونت أمام عيني، كومة ضخمة من المسودات. معُادلات أدبية بكميات ضخمة- نصوص لا تستحق قرشا! لم يكن لأحدَ علىً وجه الأرض أن يقنعني في هذا الوقت- على القطار الذي غادر المحطة للتو- أن لدى أحدهم أي شيء فاتن أو ذي قيمة ليقوله. لم يكونوا إلا ثلة من المخادعين! تولد لدي إحساًس أن المكان كله امتلأ بحبكاتهم المصطنعة، الصالحة للعمل لمرة واحدة ... كنت لأشاركهم كصيدلاني أو طبيب حنجرة - أي شيء إلا ككاتب. شغفهم الأدبي أفقدني حرفتي في غضون ثوانٍ قليلة.

غامزا إياي، صب إيليكو دلوا من المياه المثلجة عليّ بقوله:

"أترى الآن لماذا هم ناجحون؟"

سألته مندهشا: "لماذا؟"

"لأنهم يعملون!"

"لا تقل لي!" ضحكت، كان كلامه يفتقد أي معنىً.

Twitter: @ketab_n

لم أكن متأكدًا إن كان رد فعلي هو ما وتّره لكنه وفجأة هاجم الكتاب الجورجيين والأدب الجورجي عامةً. كان محتدمًا للغاية لدرجة أنني وزفياد تبادلنا النظرات المندهشة، وكأننا سُبِبْنا.

بدأ قائلا: "ما الذي يجري في الأدب الجورجي على أي حال؟ لم أقرأ أي شيء جورجي منذ عشرين عامًا."

ماذا يمكننا أن نقول للرد على هذا؟ كان يسألنا بنبرةٍ أعلمتنا في التو أنه لا طائل من أية إجابة.

أعلن: "أنتم أمة منغلقة، الأدب الجورجي برمته ما هو إلا قطعة كبيرة من الخراء القروي! في البداية كانت المشاكل الريفية، ثم كل هؤلاء المدمنين وخراء التسعينات! هل تنسخون بعضكم أم ماذا؟ وتلك الذاتية المقرفة! لم أقرأ كتابا جورجيا واحدا أستطيع فيه أن أنسى أمر الكاتب. إنني أقرأ ذلك الخراء بينما يطاردني الكاتب اللعين، بلحيته الخفيفة المريعة وجيبه الفارغ، ورائحة السجائر تفوح منه."

"هل تعرف أي كلمة أخرى غير خراء؟" ضحك زفياد، ولكن وجهه كان محتقنا.

لم أنطق بكلمة. وافقتُ إيليكو على كل نقاطه عمليا.

Twitter: @ketab_n

"الشعرُ عديم الذوق!" علا صوته وقد أزعجه تعليق زفياد.
"قروي، بائس، وممل، تقليد محض! من بحاجة إلى هراء من هذا النوع؟ من سيهتم بهذا الخراء؟"

سأله زفياد بسذاجةٍ طفولية: "هل تعتبر كافة الشعر الجورجي قرويا وبلا ذوق؟"

"نعم، كلهّ!"

"متضمنا روستافالي؟ أحسن!" ضحكَ زفياد بصوتٍ عالٍ ولكنه كان غاضبا للغاية.

وجه إيليكو حديثه إلي: "ما لهؤلاء هو عملية ديناميكية، ولكن ما الذي يجري في جورجيا؟ وهمٌ بأن شيئا ما يحدث . . . في الواقع، لا شيء على الإطلاق. كل شيء ميت، أليس كذلك؟"

"هل تكتبُ في وقت فراغك بأي حالٍ من الأحوال؟" سأله زفياد، مسترقًا نظرةً إلي. "تبدو لي كشخصٍ يعرف ما يتحدث عنه، ولا تبدو كشخص قد قرأ أي كتابٍ جورجي في العشرين سنة الماضية."

"من يمكنه القول أن لدى الجورجيين أية كتب؟" لم يعد يبدو كلامه ساخراً. صب إيليكو الكراهية ممتزجة بالاستهزاء. "لو أنها

Twitter: @ketab_n

كتب حقيقية، لماذا لا تُباع هنا؟ لماذا يرفضون أن يقرأوا كتبكم عن المدمنين هنا؟ "

" القليل جدا يتم كتابته. " قاطعته عند تلك النقطة. " لا يمكنك مقارنتنا بالألمان والفرنسيين. يوجد في بلدنا خمسة أشخاص قرأوا كتبا بينما يكتبها اثنان. "

" وهذان الاثنان يكتبان إما عن نفسيهما أو عن المدمنين. "

" توجد ثيمات أخرى. أنت متأخر عن الزمن الذي نحن فيه. "

" الخراء القديم ذاته، أراهنك! "

لم أظن أن الأمر يستحق الجدال معه. كنت أكثر كسلا من أن أفعل. بجانب أنه كان محقًا بشكلٍ جزئي. لابد أن تخمين زفياد كان صحيحا: كان يبدو ككاتب غاضِب، وليس كقارئ محبط. البعض يخافون النشر، أو يخافون بالأحرى من فشل النشر. لا بد أنه كان يعمل على شيء، نص ظل يحرره، يمزقه، يعود إليه وبينما يمر الوقت أصبح مقتنعا أكثر فأكثر أنه أبعد ما يكون عن الكمال. لهذا السبب كان متوترا باستمرار: كان يأخذ الأدب على محمل الجد بينما أمثالنا من أنصاف الكتاب، كانوا بالوقاحة الكافية لنشر قمامتهم الأدبية.

Twitter: @ketab_n

وعظنا إيليكو قائلا: "التجريب لا يساعد أيضا، كنت أظن أن التجارب ضرورية، لكنني لم أعد أفعل، ليس الآن. . . لأن كل شيء يتحول إلى تجربة في جورجيا. إنكم لا تستطيعون تجاوز التجريب. . . "

"انتظر لحظة" قاطعته. "انظر إلى أولئك الناس. هل هم أحسن حالا؟ إنهم يكتبون ذات الخراء الذي نكتبه. متى كانت آخر مرة قرأت فيها كتابا جيدا؟ "

"لم أقرأ أي شيء في الخمس سنوات الماضية"

سأله زفياد: "ألم تقل عشرين؟ "

"عشرون سنة من عدم قراءة الكتب الجورجية، خمس سنوات للبقية. " أجابنا بملامح جادة حد الموت.

لأنك أبخل من أن تنفق المال على الكتب، قلت لنفسي ولكنني لم أقل شيئا.

"آه" تنهد زفياد، "سأذهب لأدخن. " نهض واقفا.

"أين؟ " بدا إيليكو مستنفرا. "لا تدخن في الحمام، إن ذلك غير مسموح به. "

Twitter: @ketab_n

"لماذا سأفعل هذا؟ سأجد ركنا للمدخنين. لا بد من وجود واحد" بدا زفياد شاعرا بالإهانة.

"لستُ متأكدًا من هذا" قال إيليكو بجدة. "سيكون عليك أن تقلع عن التدخين."

"والكتابة أيضا، ها؟" قهقه زفياد ناظرًا إليّ. دائما كان ينظر إلي عندما يقوم بالمزاح. "سأجد مكانا." تحرك بعيدا.

سألني إيليكو: "هل هو صديقك؟"

"تريد أن تنتقده؟" ضحكت.

"هل تحب قصائده؟"

"ليست سيئة."

"هل أستطيع إيجادها على الشبكة؟ هل نشر هذا التافه شيئا على الإطلاق؟"

"ليس تافها. لديه جيش من المعجبين."

"من البنات القبيحات؟"

"لكن مثيرات."

Twitter: @ketab_n

"لا أصدق" كشر إيليكو قائلا: "لم أسمع عن قارئ متحمس في جورجيا وكان بنتا جميلة. القارئ يجب أن يكون مثيرا بما يكفي من أجل الجنس."

فكرتُ أنه معتوه وأحببته أكثر. لم يعد لدي أي شك في أنه كاتبٌ في السرّ. وحده كاتبٌ حقيقيّ يمكنه أن يحلم بالنوم مع قارئة جميلة. لم يكن ذلك خيالا مناسبا لقارئ.

"لكن ليس هذا هو مربط الفرس" كان يبدو منهكا في تلك النقطة. وكما كانت عادته، سرعان ما تحول إلى شاب يائس. " ما زلتُ أفضّلُ الكتاب الجدد عن القدامى. التافه، أنا متأكد، يكتب بشكلٍ أجمل من كتاب السبعينات."

اعترضتُ: "ليس تافها!"

"لا يهم، إنه أحسن من كتاب السبعينات، أليس كذلك؟"

"لا أعرف" رفعتُ كتفيّ. "لا يهمني ذلك في شيء"

فجأة أنهكتني الترّهات التي أسمعها. وكأنما قد تم دفعي من مقعدي بقوة خفية، نهضتُ واقفا، مخيفا إيليكو بينما أفعل.

"هل ستذهب لتدخن؟"

"لا ذاهبٌ لأتبول، أنا لا أدخن"

Twitter: @ketab_n

بعد أن كنت قد عبرتُ عربتين، وصلتُ إلى أن أكثر الكتاب حماسةً ونشاطًا شغلوا عربتنا. الآخرون كانوا أكثر تحفظا بشكل واضح، مقارنةً بجيراننا من المسافرين.

كانت هيلينا في العربة الثامنة. كانت ترتدي الأبيض مرة أخرى (بنطالا وتيشيرت) وكانت تكتب (!) في دفترها الصغير.

بمجرد رؤيتها تذكرت أنها أعجبتني في المساء الماضي.

هيلينا نظرت إلي كأنني لم أخطئ (كنا قد تبادلنا النظرات، لا ضرر، صحيح؟) وبشكل غريزي استرقت نظرةً إلى الرجل الجالس بجوارها.

لم تكن هيلينا ترتدي حمالة صدر. برز التي شيرت بشكل كاشف. هل لاحظ الرجل ما لاحظته؟

كان الأمر غريبا، في العادي تتجاهلني النساء الأجنبيات، لكن تلك نظرت إلي.

لا أذكر ما فعلته. أعتقد أنني ابتسمت لها وانصرفت. لا شيء سوى هذا في تلك المرة.

Twitter: @ketab_n

٥- مدريد

هذه هي مدينة الميادين والأحباء الذين يقبلون بعضهم. لم أر أبداً هذا العدد من الشباب يقبلون بعضهم. أينما نظرت، ترى حبيبين يقبلان بعضهم بشغف.

ولدٌ بشعر قصير علق بذاكرتي بشكل خاص وساطع. لم يمنح فتاته المسكينة فرصة للتنفس. كنت جالسا في مقهى أمام الفندق ولم أكن مهتما بأي شكل بالنظر إليهما، لكنني لم أستطع ألا أفعل. كان من المستحيل إطلاقا ألا تلاحظ ما كان يحدث. وبشكل عام فإنني لن أتعود أبدا على تجاهل الناس للذين يقبلون بعضهم في مكان عام. أعرف تماما أنني يجب أن أتعود على ألا يكون لي رد فعل، يجب أن أتعلم ألا أظهر الاندهاش وآخذ الأمر بشكل هادئ، لكنني لم أستطع ألا أحدق وأشعر بالتوتر: ألا يشكل وجودنا عائقا؟ ألا يجدوننا زائدين عن الحاجة؟ طالما شككتُ (وسأظل أفعل) في إخلاص الذين يقبلون

Twitter: @ketab_n

بعضهم في مكان عام. حسنا، أتفهم ألا يستطيع شباب وقعوا في الحب للتو أن يؤجلوا مشاعرهم – فهم منجذبون إلى بعضهم كالمغناطيسات. لكن ما الذي يجده الرفقاء ذوو العلاقات الطويلة ممتعا في التشهير بشغفهم؟ أم أن التقبيل الاستعراضي هو الشيء الوحيد الذي يثيرهم؟ لو تُرِكوا وحيدين، ربما لن ينظروا حتى إلى بعضهم؟

ذو الشعر القصير ورفيقته بالتأكيد كانا معا لوقت طويل. لم يكونا مجتاحين بحميا الحب: كان تقبيلهما أشبه برياضة، مشابه جدا لما يفعله الممثلون الإباحيون. كان الولد مستندا على الجدار، شاداً الفتاة بالقرب منه وممسكا بمؤخرتها بقبضة محكمة. بدا أنهما ينويان أن يحطما الرقم القياسي: عشر دقائق من التقبيل المستمر بعيون مغمضة.

وبالرغم من انزعاجي، فإنني أظن أنه وأثناء مشاهدة جهدهما فكرت إنه سيكون من الجيد أن أحظى بإحداهن، أن أحظى بفرصة تقبيل تلك الفتاة في الزي الأبيض.

عندما وصلنا إلى مدريد، أخبرنا إيليكو بأمر هاينز الجديد.

"غدا ستذهبون كلكم لكي تقرأون عملكم على الملأ. هل جلبتم كتابتكم؟ يمكنكم أن تختاروا جزءا للقراءة."

سألت مندهشا: "هل من المفترض أن أقرأ بالجورجي؟"

Twitter: @ketab_n

"نعم كل منكم سيقرأ بلغته"

"لن يمكنهم أن يفهموا كلمة واحدة!"

"لا يهمني!"

"أُفضّل أن يقرأ الشعراء بصوت عالٍ. أكره ذلك"

"الشعراء أيضا سيقرأون، لا تقلق"

"لا يهمني إن فعلوا أم لا" يمكنني أن أكون عنيدا أحيانا. "لنتظاهر أنك لم تخبرني بأي شيء"

"إنه أمرٌ مهين ألا تقرأ. لن يفهم أحد السبب" بدا غاضبا. وفي تلك الدقيقة لا بد أنني أزعجته بشكل عميق: لم يمكنه تحمل الكتاب الجورجيين المتمركزين حول ذاتهم عديمي المسؤولية. كنت أتصرف كأحدهم في تلك اللحظة.

أخبرني زفياد: "ما الذي يقلقك؟ إنها مجرد قراءة عامة، أليس كذلك؟"

بعكسي كان يشعر بالنشوة لمنحه فرصة ليظهر موهبته. كنت قد سمعت أنه ماهرٌ بشكل استثنائي في قراءة شعره الخاص. بشكل عام

Twitter: @ketab_n

أحب سماع الشعر المقروء ممن كتبوه. الجيدون يكونون مدهشين حقا. في الوقت ذاته، أكره الممثلين الذي يقرأون مقتطفات أدبية.

ولكي أقصّر من هذه الحكاية الطويلة، فإنني نمت في تلك الليلة وقد اتخذت قرارا بعدم قراءة أي شيء، لكن، كما هو متوقع، كنت متوترا للغاية. قد يحلو لك ألا تصدق ولكنني كنت مرتعبا من هاينز. مرتعبا بالتأكيد، الوصف الذي ينطبق تماما على شعوري ناحيته. بشكل ما استطاع أنْ يحولنا إلى عبيد عديمي المقاومة وفعل هذا بشكل حاذق وحكيم. أمسكت بنفسي في هذا الوضع وبالآخرين أيضا: لسبب غامض حاولنا جميعنا أن نسعده ونطري عليه. من دون أن نعرفَ حتى لماذًا شعرنا بالحاجة لفعل ذلك. أيمكن أن يكون السبب هو أنه أعطانا المال؟ في العادة يشعر الناس بالامتنان والتعاطف مع من يمنحونهم المال. أو ربما الأمر هو أنه وكألماني حقيقي، كان هاينز خبيرا في التحكم في العقول البشرية بتطبيق أساليب نفسية متعددة؟ لا أزال غير متأكد إن كان التنويم المغناطيسي أم شيء آخر، لكننا كلنا حاولنا- بدرجات مختلفة- أن نحظى ببسمة دافئة أو نظرة طيبة منه.

وبمجرد استيقاظني في اليوم التالي، اتجهنا إلى البرادو[٢]، بالرغم من أن إيليكو رفض أن يصحبنا.

---

2 البرادو هو متحف الفن القومي الأسباني. (مترجم)

Twitter: @ketab_n

قال: "أكره المتاحف. أفضل البشر الأحياء"

كان يكذب. كنت متأكدا تماما أنه قضى أياما وأياما في متاحف برلين... شابًا، مفلسا، ومتسائلا.

وبشكل مثير للفضول، نحن فقط – الكاتب البوليسي الأزيري، والأرمن، والروس، وبلغاري— ذهبنا إلى البرادو. لم يكن من أثر لـ "المعسكر الغربي" في المتحف.

كنت مرتديا نعْلَي شاطئ لأنني شعرتُ أكثر بالراحة وأقل كسائح. بدا الروس كالمهرجين في قبعاتهم متعددة الألوان وكاميراتهم الكبيرة.. كان الروسي الكبير مرتديا صندله التقليدي.

كان يمكنني أن أستشعر عدم ارتياح زفياد إلى نعليّ. نظر إليّ عدة مراتٍ وفي النهاية قال شيئا لم أتوقع أن يقوله:

"أنت طفولي" كان هذا هو تقييمه لشذوذي.

الروسي الصغير احتذى مثال بعض السواح اليابانيين وأخذ لقطة لجحيم بوش[٣]. صاح عامل المتحف بأعلى صوته أنه من الممنوع التقاط الصور. وبشكل غريب لم يمنع أحد اليابانيين.

وصل زفياد إلى أن: "الروس مكروهون في كل مكان"

---

3 هيرونيموس بوش هو رسام هولندي والجحيم هي من أشهر لوحاته. (مترجم)

Twitter: @ketab_n

أعطاني كاتب الكتب البوليسية الأزيري شطيرة وعصيرا. وبفم مملوء بالطعام العالق بأسنانه سألني بنبرة أبوية: "هل أنت شاعر؟"

لا بد أنه من المزعج أن تُضطَّر إلى إعطاء رد بالإيجاب لو أنك واحد. أليس من الفكاهي قول، نعم، أنا شاعرٌ؟ أن ترد بلا، أنا أكتب القصص، هو أكثر تواضعا للغاية.

رد بفرحة: "كلنا زملاء إذن!"

"نحن كذلك بالفعل"

"أظن أنني سأسمعك اليوم إذن" ابتسم لي.

كان سيسمع لكن هل سيكون ممكنا له أن يفهم؟ هل ظن أنني أنوي القراءة بالإنجليزية، الروسية، أو الأزريبجانية؟ أم أنه يعرف الجورجية؟

جفلت قائلا: "لا أظن أنني سأقرأ، لا أحب أن أقرأ إلى الكثير من الناس"

"ألا تفعل؟" كان إلدار مندهشا. "يا للخسارة!"

"نعم" ثم أردفت، محاولا أن أقنع نفسي قبل أي شيء: "لا أفترض أنني سأقرأ"

Twitter: @ketab_n

ومخالفا لمبادئي، في تمام السابعة في ذلك المساء، كنت في القاعة، أنتظر دوري لأقرأ بصوت عالٍ إلى الزملاء المجتمعين.

لا أدري ما الذي حثّني على المشي إلى تلك القاعة أو ما الذي جعلني أغير رأيي في ذلك المساء. هل كان تجاوبي كعبد مع هاينز، أم اللياقة، أم خوف أن أؤخذ على أنني مشاركٌ غير ملتزم، أم أنه الزهو- دافعٌ قوي وراء طموحي؟ أنت أيضا كاتب ويجب أن تكون بين زملائك. ماذا لو كان زفياد وإيليكو فقط هما من سيفهمان؟ الأمر المهم هو أن يراك المنظمون هناك، ليعرفوا أن جهدهم ومالهم لم يذهبا سدى.

أم أن الأمر كان أبسط وأكثر جلالا؟ هل من الممكن أنني أردتُ أن أرى الفتاة التي رأيتها في لشبونة ثم رأيتها في العربة الثامنة؟

مهما كانت الأسباب، وجدتُ نفسي في بابل الأدب. الكتّابُ كانوا يقرأون قطَعَهُم بلغاتهم الأصلية، يتضرجون خجلا، يشيحون بأذرعتهم، يتململون ويعوون، لكن، للأسف، لم يمكنهم حملنا على الفهم. الله وحده يعلم كم رغبنا في أن نُسمَع، كم تمنينا أن يقدّر المستمعون عملنا! صحيح أننا فقط من فَهِمَ لغاتنا، لكن هل كان من

Twitter: @ketab_n

الممكن أن يُعملَ الجمهور حدسه، سمعه، أو أي حواسٍ فائقة ليدرك أننا كنا نتلو نصَوصا فوق العادة؟

ها هو، ألباني، يمنح إلقاءً عاطفيا، متموجا كأغنية، لقصيدته أو أيا كان ما يقرؤه. أنا متأكدٌ أنني كنت أعرف الألبانية، وأنني استمتعتُ ببعضها. لكن كل ما سمعته في ذلك الوقت كان سيلا من الأصوات الخشنة، غير المحببة، تندفع في لكنة إيطالية—سلافية غريبة. ولا شك أن إلقائي سيترك نفس الانطباع على المستمعين— لغتي الأم كانت ستبدو بغيضةً، مجرد تداخل من الأصوات الحلقية. لكن مقدمة بالإنجليزية كانت لتساعد على أي حال: لطفا أنصتوا بحذر فالرب سيمتحنكم بهذه اللغة. لغتي الأصلية هي لغة يوم القيامة. لو كنت أكثر جرأة لكنت جلبت سلطةَ أيوان—زوسيمي[4] المعصومة...

وخلال القراءة، بدت أمارات البهجة على وجه هاينز. كان ينصت من دون أن يفهم كلمة واحدة! وطوال الوقت، وبعروق نافرة، أجهد الكتاب أنفسهم، متعرقين، مشيحين بأذرعتهم، موترين عضلاتهم في محاولة لإثبات موهبتهم وفرادتهم.

فجأة لمعت فكرة في رأسي: لم يكن هاينز ورودي إلا محتالين. قاما بالتخطيط لتلك القراءة العربيدة فقط ليدعيا لاحقا وبفخر: "لقد

---

4 أيوان زوسيمي— جون زوسيموس، كان كاهنا وكاتبا دينيا وخطاطا جورجيا من القرن العاشر الميلادي، اشتهر بمجموعة من الصلوات والمدائح الشعائرية. (مترجم)

Twitter: @ketab_n

أتحنا الظروف المناسة لكل الكتاب ليعرفوا بعضهم. الأمسية كانت ممتعة للغاية وذات دلالة للجميع" ما الممتع؟ الطريقة التي عوينا بها وهذرنا لكن ظللنا صمّا بكما؟

على أية حال، أمكنني أن أفهم الروس، وإلدار أليف من أزربيجان(فقد كتب كتبه بالروسية) ودنماركيًّا قرأ قصيدته بالإنجليزية وجداً محبّبًا من بلجيكا (الذي ظننته إنجليزيا في البداية) ومهما يكن فإن الرَجل الشبيه ببرنارد شو، ذا اللحية البيضاء تحدث بالإنجليزية بلكنة قوية لدرجة أنني لم أفهم معظم مقاله الشعري الفلسفي.

لو عشتُ في أوربا القرون الوسطى وكنت أحد مفتشي محاكم التفتيش الذي يطاردون الهراطقة، كنت ابتكرت التعذيب التالي: كنت جعلت الهراطقة يستمعون إلى نص بلغة لا يعرفونها حتى يعترفوا بأنهم مذنبون بالتعاون مع الشيطان. وبَعد أن جلستُ طوال أمسيتنا الأدبية الدولية، لم يعد لدي شك في أن هذا الأسلوب سيكون فعالا للغاية في الاعتراف بكافة الخطايا الممكنة والمستحيلة. كيف كنت ستشعر لو كنتَ مهرطقا ألمانيا محترما بمعرفة تامة بالألمانية واللاتينية، وبعض اليونانية القديمة أيضًا، ولكن تم إخضاعك لسماع القرآن بالعربية؟ كنت لتعترف بأي شيء، أليس كذلك؟

لا بد أنه صوت لغتي الأصلية ما أبهجني أو أن قصيدة زفياد كانت جميلة جدا، فالحقيقة أنني كنت صاحيا للغاية وقد بدأت في أن

Twitter: @ketab_n

أعجب بذلك الرجل. فجأة أدركتُ أن زفياد ماياريياني لم يكن شاعرا مغمورا وأصبحت غاضبا من نفسي— لماذا ظللتُ أكرهه وعلى أي أساس؟ زفياد بدا كشمّاس يقرأ صلاة. وحاول أن يشير بإيقاعات قصيدته إلى الجمهور، ليجعلّهم على نفس الموجة وبكل المقاييس فقد نجح في ذلك: وفي المقابل من الآخرين، لم تكن جهوده بلا طائل. أنصت الجميع. لا أصواتَ مزعجة، لا جلبة أو همس. استطاع زفياد أن يحظى بانتباههم الكامل. وفي أثناء ذلك، اجتاحتني أكثر الترّهات عاطفيةً: ها هو، شاعرٌ من بلد تم قصفه بشكل غير إنساني، حزنه أصيلٌ وحاد. ما هو ذلك البلد؟ أوه، جورجيا؟ نعم، روسيا رمتهم بالقنابل منذ بضعة شهور... من الواضح تماما سبب كون قصيدته تشبه الرثاء. لكن هل نشعر بالحزن، هل نشعر بالرغبة في البكاء؟ بالطبع نشعر، لقد نجح في جعلنا نبكي...

يا للبراءة الإلهية! يا للدموع، يا للحزن! قدمي! من ذا الذي يذكر القنابل؟ لكن ألسنا كذلك تماما؟ هل أهتمّ بما يحدث، قل، في باكستان؟ نحن باكستان أخرى بالنسبة لهم.

حظي زفياد ببعض التصفيق. محمرًا وراضيا، خطا نازلا من المنصة. حبات من العرق لمعت على شفته العليا.

قلت له: "أنت جيدٌ فعلا"

Twitter: @ketab_n

" أعرف " ابتسم بسعادة.

ثم كان دوري.

التمشية بين مقعدي والمنصة بدت لا نهائية. كانت مجموعتي القصصية في جيبي الخلفي (كتاب صغير، لا يتعدى المائة صفحة) يداي كانتا ترتعشان وكأنني مصاب بالشلل الرعاش. مريع! أردتهما ألا تفعلا لكنهما ظلتا ترتعشان وكأنها كانت إرادتهما الخاصة. وبينما أرتعش، وجدت قصة الغابة الحمراء، حييتُ الجمهور بالإنجليزية، مضيفا أنني لم أكن جيدا في القراءة بصوت عال، لذا فقصتي ليست بهذا السوء. حاولت أن أمزح، لكن لم يضحك أحد. هاينز فقط كان مبتسما. أظن أن هذا كان جزءاً من موقفه الدمث تجاه الحدث ككل. كالعادة، فقدت توازني عندما سمعت صوتي وقد شوهه الميكروفون. لماذا بحق الله يبدو صوتنا مختلفا من الداخل؟ أتساءل إن كان لدى علماء الإنسانيات أي شرح. منذ سنوات عديدة، تم تسجيل حفلة عيد ميلاد واحد من زملائي في الفصل ودار الشريط على جميع عائلات الأطفال. لا أزال أتذكر انصعاقي عندما سمعتُ صوتي... رفضتُ أن أصدق أن تلك الأصوات الحادة الغريبة تصدر مني. ذلك الصوت الغريب غير المألوف– الذي أملكه بلا شك– لا يزال يحيرني. لست متأكدا إن كان ذلك فقط لأخضع قلقي أم بسبب الخجل المحض، لكنني بدأت في القراءة بصوت بالكاد أعلى من الهمس. كل ما أردته كان أن أنهي

Twitter: @ketab_n

فقرةً تامة وأعود إلى مقعدي بعد أن أكون قد أديت واجبي. سرعان ما سمعت جلبة الضجرين والمنهكين (الجلبة التي صنعتها بنفسي عندما كان الآخرون واقفون عند الميكروفون) وهكذا أسرعتُ، وقتلت الفقرة الطويلة تماما بجملها المعقدة بكبرياء عظيم وكراهية عميقة.

تلك الفتاة، هيلينا، كانت جالسة في الصف الأول. عندما رفعتُ رأسي من الصفحة التي كنت أقرؤها كانت هي من رأيتها. وبشكل غريب، لم ألحظ وجودها في طريقي إلى المنصة. لا يمكنني القول إنها كانت تنصت بانتباه شديد، لكنها كانت تشاهدني باهتمام لا يمكن تجاهله. حتى أنني بدأت أتساءل إن كانت تفهم الجورجية. جالسة هناك بساق على ساق وبوجه مقطّب باتجاهي، كانت يداها على بعضهما في حجرها، تنظر بمزيج من الخوف والتركيز. في تلك اللحظة كانت كحيوان صغير: عينان داكنتان، أنف طويلة، وذقن حادة.

كان من المستحيل ألا ألاحظ ساقيها. لاحظتهما. ما لم أجزم به هو إن كانت هذه سمرة اكتسبتها أم أنها بشرتها السمراء الطبيعية. فخذها اليمنى كانت مقسومة بخط طويل في المكان المناسب المثالي تماما. سميتها عضلة الجنس.

منذ وصولي، كانت تلك المرة الثالثة التي أمر فيها بعيني هيلينا

Twitter: @ketab_n

الداكنتين. وحتى ذلك الوقت، قبل أن أنزل عن المنصة، كنت أظنها جذابة، ولا شيء أكثر. لم أذهب أبعد، حتى في خيالاتي. تغير كل شيء في تلك الأمسية. أعتقد أنني في تلك اللحظة أصبحت مهتماً بها بشكلٍ جاد.

أتذكر بوضوح حشر كتابي في جيب بنطالي الخلفي، والنزول عن المنصة، والابتسام لهيلينا. لم ترفع ناظريها عني— بل إنني أظن أنها أدارت رأسها لتتابعني بينما أبتعد عنها. مع ذلك لم تبتسم. كنت حائرا. تبتسم إلى أجنبية وتحظى بابتسامة كرد؟ أشياء كهذه لا تحدث في أوربا.

Twitter: @ketab_n

٥ اكتوبر. مدريد.

اشتريت يرقة وردية لإياكو. ٨ يورو. باربي تبيع الآيس كريم وقميص أزرق لبيزو وأنتوشكا. ١٢ يورو و٨,٤ . قداحة لزاؤور ـ ٣ يورو. رأيت حذاء لإيكونا، لكن ظننت أن ٣٥ هو ثمن باهظ. سأجد شيئا آخر. ثم أنه احتوت خطا فضيا عند النعل، لذا قد لا تحبها أصلا. ونعم، اشتريت لنفسي صديرية رمادية ـ ١٥ يورو. ارتديتها في القراءة هذا المساء. ونسخة من جحيم بوش ـ يورو. وواضعا بالحسبان كل شيء فقد أنفقتُ ٥٤ . مصروفنا اليومي حوالي ٦٠٠ يورو. ٥٠ البارحة يجب أن تخصم أيضا. يجب أن أنفق بشكل أكثر حرصا. الآخرون ينظرون إلى نصبات الشوارع باحتقار.

زازا هادئ، رجل حقيقي. الآخرُ معتوه. يرتدي ثياب مهرجين. أعطانا محاضرة عن الأدب في ذلك اليوم. اليوم أخرست فمه اللعين بقصتي "الساعات الميتة"! قرأتُ بطريقتي القديمة، ونهاياتي. ثمة امرأة من كرواتيا هنا. صافحتني قائلة أنني كنت جيدا بحق. وعامة، فإن المستوى عال جدا. ثمة شعراء جادين. أحببتُ الروسي والإسباني، ميجيل. كسَّر القافية، مثل رسام القلب. ظننتُ ذلك

Twitter: @ketab_n

رائعا. جعلونا نقرأ قصيدة واحدة فقط أو كنت لقرأتُ "صلاة الديك" أيضا. شجعتُ ميجيل بـ"رائع، رائع!" الآن نحن أصدقاء. أعطاني ألبوما فيه قصائده وصور زوجته – وهي عارية. لا حمالات صدر، لا سروال داخلي. كانت موجودة وعرّفها عليّ. تبدو أحسن بكثير في الصور. كما يبدو فهما كبيران في السن. شعرها يبدو الآن مختلفا أيضا. تحدثنا بأيدينا. كان يقول "روبرت برنز" مثلا، فأقول "آه!" ثم ينفخ قبَلا في الهواء، وأفعل. تواصلنا بالأسماء، هذا ما أقصده. شددنا ذائقة كل منا. استطعت أن أجعل نفسي مفهوما. ثم مشيتُ مع زازا عبر الشوارع. أنا منبهر بمدريد! ذهبنا إلى البرادو (اشتريت باربي لبيزو من مكان ما هناك). زازا شخص محافظ للغاية. يبدو أنه بحاجة إلى رفقة امرأة. أشار إلى كل رفيقين يقبلان بعضهما. لم أجد مدخلًا إليه بعد. فهو يبقى ساكنا ويشاهدك عن كثب. اندهشت أن أمه، امرأة بخصيتين كالرجال، يمكنها أن تلد ولدا بذلك الهدوء واللياقة. لا يمكنه احتمال إيليكو ويتبعني. مثل أخٍ صغير. لو أعجبه شيء ما، فإنه يعود إلي أنا. أقول له أنها مرتي الأولى في أوربا، ألا يمكنه أن يجد شخصا أكثر خبرة؟ في العام الماضي ساند الجميع مينابدي وقصصه القصيرة لكن الجائزة ذهبت إلى كتاب زازا. كنت قد فكرت أيضا أن مينابدي استحقها. عندما تعرفت إليه، غيرت رأيي. لم يأخذ عن أمه شيئا، لا شيء مشترك بينهما. طيب القلب وبشكل ما مثير للشفقة. شابٌ لكن لديه خيوط رمادية في رأسه. إيليكو مقرفٌ

Twitter: @ketab_n

تماما، دائما ما يضايق الصبي. لا يجرؤ على أن يفعل ذلك معي. لا بد أنه خائف. كما يبدو، فإنه من شلة تسرتسفادزه. قال إنه كان يكتب تشهيرا بالآخرين للحزب. سأخبر تسرتسفادزه عن سمعته في الاتحاد الأوربي. في وقت ما سيحطمه زازا. إنه يثير أعصابنا وسيتوقف هذا عندما نضيق ذرعا. كنت أحمل "رقصة إفرينوما" معي طوال الأسبوع، لكنني لم أكتب أكثر من ثلاثة سطور. للشعر فرص قليلة هنا مقارنة بالنثر. وهذا أمر طبيعي. كيف ستترجم "رقصة الديك" إلى الإنجليزية؟ وهم ليس لديهم الصوتان [دج] و[خ] لو لم أكن مخطئا. لو استطعتُ تبني الجدول المناسب سيمكنني أن أكتب. أنا جالسٌ في غرفتي بالفندق، عند النافذة، أنظر إلى الخارج إلى سماء الليل، محاولا أن أقنص انطباعاتي عن اللحظة وأضع عواطفي على ورقة. أتمنى لو كانت جميلتي خاتونا تكيمالادزه هنا معي!

نحن ذاهبون إلى باريس غدا.

Twitter: @ketab_n

٦- تحت ماسيك

كنا سنغادر إلى باريس في اليوم التالي. كانت الساعة الواحدة صباحا. شعرتُ بالملل في غرفتي وقررتُ أن أنزل إلى اللوبي. لو كان البار مغلقا، يمكنني أن أجلس في أي مكان. لم أكن مصمما على الخروج. لا أحب تبيليسي الليل، لماذا إذن سأحب مدريد الليل؟ تسعينيات مدينتي المخيفة جعلتني أتخلى عن قضاء الليالي بالخارج. أشعر بالأمان أكثر في اللوبي.

"عفوا، هل يمكنك مساعدتي؟ لا يمكنني إيقاظه"

كانت هي مرة أخرى (المرة الرابعة) من قابلتها بالصدفة. هذه المرة عند المصاعد.

تحدثت الإنجليزية بلكنة. في البداية ظننتها إسبانية. كانت قلقةً بشكل ملحوظ، وشفتاها شاحبتان.

Twitter: @ketab_n

لماذا أنا؟

لم أفهم حتى ماذا تريد، من هو الذي لا يمكنها إيقاظه؟

"نعم، بالتأكيد" أجبت بتردد، منتظرا حركتها التالية.

ردت هيلينا. "شكرا"

رقد زوجها ممددا في أحد تلك المقاعد الحمراء الضخمة التي زادت من دفء اللوبي والتي كنت أريد أن أستلقي في أحدها. بمجرد أن رأيته، أدركتُ أنه ثملٌ للغاية. موظف الاستقبال كان واقفا بجواره.

فكرت: إذن فقد طلبت مساعدة آخرين غيري.

"يجب أن نحمله" قالت لنا هيلينا بيأس ولكنها ابتسمت في التو لتسهل المهمة. "آسفة جدا للإزعاج ... إنه زوجي، ثمل جدا"

عرفتُ أنني يجب أن أقول شيئا. لو قابلت فتاة جورجية جميلة في موقف مشابه، كنت سأقول بالطبع، لا توجد مشكلة، لا داع للأسف. أو شيءٌ أقصر من ذلك: أوكي. لكن لأنني كنت في أوربا، كان علي أن آتي بشيء أوربي وحده يستطيع أن يقوله. شيء مثل:

"هل نستدعي الطبيب؟"

"لا، لا!" بدت هيلينا مندهشة من الفكرة. "لقد شرب كثيرا، هذا أمر وارد"

Twitter: @ketab_n

كان يمكنني أن أسأل، هل أنت متأكدة؟ كما يفعلون في الأفلام الأمريكية، لكنني لم أفعل. كنت قد أعجبت بها بالفعل وكنت على وشك التظاهر. وفي هذه الظروف، مجرد هل أنت متأكدة؟ كانت لتبدو بلا أية جدوى.

دخل زوج من العجائز بنشاط إلى اللوبي في تلك اللحظة فتركَنا الموظف بسرعة.

"عذراً" قال وهو يتجه لخدمة الزوجين، الذين لم يمنحانا ولا نظرة.

عضت هيلينا على شفتيها. لم تكن سعيدة باحتمال فقدان يدِ مُساعدة.

قلت لها: "لا تقلقي، نستطيع أن نفعلها نحن"

كنت قد بدأتُ في التظاهر.

في البداية، لم تكن لدي أي فكرة عن كيفية البدأ. ها هو، غريبٌ عني تماما، أطول مني بقدمين، هامد الحراك وليست لديه أية نية في النهوض على قدميه. لم تكن لدي أدنى فكرة عن كيفية حمل ذلك الجسد الضخم: هل يجب أن أمسك يديه وأشده، أم يجب علي أن أحاول وضع رأسي تحت إبطه ورفعه على ظهري؟ فعلت الشيئين.

Twitter: @ketab_n

شددته إلى وضع قائم تقريبا، وضعتُ ذراعه اليمنى حول عنقي، ووضعت ذراعي اليمنى تحت ظهره وحاولت حمله. نسخت هيلينا كل حركاتي كتلميذ مجتهد: انثنت، وضعت ذراع زوجها اليسرى حول عنقها ورفعته بكل قوتها. بلا طائل. كان أقرب إلي، فكان من الأسهل بالنسبة لي أن أشده على قدميه. وفجأة وجدت نفسي قريبا جدا من وجه رجل غريب. رأيت حتى دمامل حمراء على رقبته غير الحليقة. شممتُ نبيّذا أيضا— زفر الكحول مباشرة في فتحتي أنفي. فقاقيع صغيرةٌ تكونت على شفتيه بينما يتمتم بشيء. لم أر أبدًا رأسا بهذا الحجم— لا بد أننا بدونا مثل داوُد وجالوت. على أية حال يمكنني أن أقول شيئا واحدا في صالحه: عندما شددته لم يقاوم (الأمر الذي قد يكون الفارق الوحيد بين أوربي مخمور وجورجي مخمور) استطاعت هيلينا أيضا أن ترفع يسار وزن زوجها الحديدي وتمكنت من مناداة موظف الاستقبال الذي كان قد انتهى من زوج العجائز. ولكي نوفيه حقه، فقد ركض قادما للمساعدة في جرّ ماسيك (كان هذا اسم زوج هيلينا) إلى المصاعد. وعند تلك النقطة اعتذر وانصرف، موضحا أنه لا يستطيع أن يترك اللوبي ثم ركض إلى مكتبه.

انتضح أن وجودنا في المصعد هو أصعب مراحل المهمة. مال ماسيك بكل ثقله عليّ، وذراعه مستريح بخفة فقط على كتف زوجته.

Twitter: @ketab_n

كانت ساقاي ترتعشان ولم أستطع التوقف عن الخوف من أن يقيء عليّ. ظلّت هيلينا تعتذر كل ثانية، وأصابتني بالجنون بتهذيبها الزائف. لم أقل "أبدًا" بهذه الكمية في حياتي. أظن أنني قلتها مرةً حتى بالجورجية.

لا أذكر أنني كنت أستطيع أن أستقبل جمال هيلينا في هذه المرة. فقد كان العملاق المخمور يسحق رأسي وكتفيّ. كنت لأصبح إحدى شخصيات دو صاد[5] المريضة لو استطعت أن أقدرها حسيًا تحت تلك الظروف، أن أُثار وأتظاهر في وقت واحد.

لكنني كنت مشغولا بها بشكل سيء بالفعل: كنت أنظر إليها، وقد أغرقتني مشاعر متضاربة بشكل متناغم، الحزن، السخط، والإثارة. لم تكن من حاجة للتفكير بشفتيها القرمزيتين، اللتين أصبحتا رماديتين، أو ذقنها الحادة، ورقبتها الطويلة، وضلوعها الداعية للتقبيل، وبطنها المجوف، وثدييها الصغيرين المدورين تحت التي شيرت... ما كان محبطا حقا كان إدراك الفشل المحتوم، وليس مهمة حمل ماسيك السكران.

كانت للرجل زوجة رائعة.

---

5 الماركي دو صاد، كاتب فرنسي إليه تنسبُ السادية. (مترجم)

Twitter: @ketab_n

عندما انفتح باب المصعد، ندت عني تنهيدة ارتياح، وابتسمتُ لهيلينا وبدأت في تفريغ ماسيك. خمنتُ أنه علي أن آخذه إلى غرفته وأضعه في السرير. وتمنيت أنها ستنزع عنه بنطاله وجواربه بنفسها، هكذا فكرت بينما أنظر إليها. قبل أن أغادر كان علينا أن نتبادل حديثا قصيرا. لم أكن لأدير ظهري وأغادر، أليس كذلك؟

"أنا آسفة جدا. شكرا جزيلا" قالت للمرة المائة ومدت يدها لتصافحني.

أردتُ أن أقول أنه "سينام ويصحو ويكون بخير" لكنني فشلت في إيجاد الجملة الإنجليزية الصحيحة. فضلا عن أنني لم أرد أن أخطئ، الأمر الذي كان سيضعنا في موقف محرج. الجميع يعرف كم هو صعب الحديث مع الفتيات الجميلات اللاتي لا تعرفهن. على المرء أن يكون وجيزا.

لا أزال أذكر موقفا حدث منذ ثلاث سنوات.

وقعتُ في حب فتاة رأيتها على الشاطي. كان لها جناحان صغيران موشومان على كتفيها. في البداية بدا كأن كل شيء كان على ما يرام، وبدا أنها تتجاوب معي بالطريقة نفسها. ثم فجأة، كما لو أنني قد أصبحت منحوسا، كان كل ما أفعله أو أقوله مخطئا. الأخطاء أو زلات اللسان قادت إلى أخطاء أخرى. لم أعرف سبب فشلي إلا

Twitter: @ketab_n

لاحقا - كان السبب هو عدم توافقنا اللغوي. بالرغم من أننا تحدثنا اللغة نفسها، فقد استخدمنا كلمات مختلفة. علمني ذلك درسا: لا يمكنك أن تتحدث بالجورجية الأدبية إلى فتاة. كلما كانت لغتك رفيعة كلما أخذت هي مسافة في البعد عنك. أستطيع أن أقول أيضا: لا يمكنك استخدام أية فواصل في رسائل الهاتف التي ترسلها إليها! لو كتبت فاصلة، أو نقطة عليها فاصلة، أو نقطتين رأسيتين، اعتبر نفسك مريبا بالنسبة إليها. علامة تعجب وعلامة استفهام ستجعلك مهينا في عينيها، بينما ستدفنك ثلاثة نقاط متتابعة إلى الأبد. لو استخدم ولد علامة تعجب وأنهى رسالته بثلاث نقاط، ستظن الفتاة أنه شخص غريب، على أقل تقدير. أما لو صمم على استخدام نحو صحيح بشكل مميت، فسوف يُعتَبَرُ بلا أمل. قد تغفر مرةً أو اثنتين، لكنها ستتجاهل حتما رسالتك الثالثة. سينتهي بك الحال مع علامات الترقيم ولكن وحيدا، من دون فتاة أحلامك! وبالحديث عن الرسائل - لا بد أن تكون مكتوبة بجمل بسيطة من ثلاث أو أربع كلمات، ويفضل أن تكون فوضوية، عامية، وفوق كل شيء، من دون أية علامات ترقيم. سيكون من المثالي أن تتخلص تماما من أي تعقيدات، وتختار الأسماء القصيرة فقط. ستصل هي بنفسها إلى المعنى. لكن لا تنس استخدام الكثير من الوجوه الضاحكة وهذه الأشياء. مهما فعلت، انس النقاط الثلاث، الفواصل، النقاط الرأسية، وكل علامات الترقيم الأخرى! علامات الترقيم المناسبة والإملاء الصحيح

Twitter: @ketab_n

تقتل الحب. الكلام نفسه صحيح بالنسبة لحديثك: النجاح يكمن في المفردات المحدودة. يجب عليك فقط أن تكون اقتصاديا ومحددا. يمكنك أن تكون مصطنعا، لكن حاذر من أن تبدو غير طبيعي. فتاة عمرها ١٨ عاما ليس لديها صبر كاف لولد عمره ٢٨ يتحدث بلغة جورجية أدبية. نقطة وانتهى. ستقدّر مفرداتك الغنية عندما تكون قد تزوجت مرتين وملّت من زوجيها.

على أية حال، لم تكن مفرداتي فقط ما دمرني. صنعتُ أخطاء فادحة أخرى. من الحقائق الأخرى المعروفة هي أنك يجب أن تكون جاهزا للقيام بالتنازلات لو أردت أن تحافظ على علاقتك بفتاة. أقصد بجميع أنواعها - جمالية، اجتماعية، وحتى حلول وسط أخلاقية. يجب أن تتظاهر بأنك سطحي، في أي حال آخر ستخسر جاذبيتك. اعتدتُ أن أقول إنني أحب الموسيقى التي كرهتها في الحقيقة لكن كانت هي تحبها؛ اعتدت أن أذهب إلى أماكن معها لم أكن لأحب أن أكون فيها واستحسنت أشياء كنت أظنها بلهاء من أعماق قلبي. باختصار، كل شيء كان على ما يرام في البداية - تخلصت من مبادئي، لألبي رغبتي في جسدها ذي الثمانية عشر عاما... لكنني بدأت في القيام بالأخطاء. العديد من زلات اللسان. مرة ظهرت في إعلان. كنت أشاهد التلفزيون وكانت هي، فتاتي. كنت مندهشا وسعيدا لأنني لم أكن أعرف عن الأمر. فأمسكت بالهاتف وأرسلت

Twitter: @ketab_n

إليها رسالة في التو واللحظة (لا أزال أتذكر الكلمات المستخدمة): "رأيتك في التلفيزيون وكنت رائعة" رسالة عادية ومحايدة - ولا علامات ترقيم! لماذا لم أقنع بهَا؟ لكن لا، لم يمكنني، كنت الشخص (إيلين، هل تسمعينني؟) العنيد الذي أنا عليه. أردتُ فقط أن أبدع! لذا أرسلُ رسالة ثانية: "تعرفتُ على صوتك" وما الذي حصلت عليه كرد؟ هزيمة تامة. "لم يكن صوتي كان مدبلجا" وثلاثة شموس مبتسمة. هل فهمت؟ عوقبتُ على كذبتي: صوتها، يا رجْلي! لم يكن أحدٌ يتحدث في ذلك الإعلان. ما الذي يمكنني كتابته بعد هذا؟ بالتأكيد ليس: "حقا؟ لا تقولي لي!" أرسلتُ أربع شموس مبتسمة وبعار ثقيل، اختفيت من حياتها.

في يوم ما (هذه الحكاية فقط وننتهي من تلك الفتاة) ذهبنا إلى مقهى مع صديقتيها الغبيتين. ولا حاجة للقول، فقد أخبرت نفسي (واعيا للمبادئ المذكورة أعلاه) أنني سأساهم في الحوار في حالة الضرورة القصوى فقط. يجب أن تظل صامتا لو أنك بصدد اصطياد ابنة ثمانية عشر عاما. التزم الصمت، فائضا بالقسوة المعتدلة والغموض. وكما قلت، فإنهن يبدأن بتقدير النوع الثرثار بمجرد بلوغهن الخامسة والعشرين.

وهكذا، كنت مصمما على إبقاء فمي مغلقا. جلستُ هناك، منصتا لهذرهم الأبله. ويا للدهشة، كن يتناقشن في السياسة— نعم كن

Twitter: @ketab_n

صغيرات وغبيات، لكنهن تجادلن بحماس كبير. وفجأة، وكأن السماوات سخرت مني، ذكرت إحداهن برنامج الحوار السياسي المعروض في الليلة الماضية. في نهاية أدائها الغبي والغامض للبرنامج قالت بفخر: "كان ممتعا" ولسوء الحظ، كنت قد شاهدته أيضا. لا أعرف ما الذي جرى لي لكنني نسيت تماما إستراتيجيتي العاقلة وهاجمت أحد المتحدثين الضيوف بامتعاض عميق: "وغدٌ جورجي بامتياز! " أتمنى لو أنني لم أقل بامتياز على الأقل. وقبل حتى أن أنهي الجملة، عرفتُ أن ضررا غير قابل للإصلاح قد تم. احمر وجه الفتاة، بينما ابتسمت التي كنت أريدها، بشكل متوتر، ورمقتني بنظرة لائمة وقالت من خلف أسنان مُطْبَقة (للمرة الأولى أرى ذلك التعبير اللغوي حيا أمامي): "جيا رجّل عظيم. وهو أبو أنانو" ما يدور بعقلك صحيح: جيا هو السياسي، وأنانو هو أقرب أصدقاء صديقتي ذات الجناح الموشوم. وضاعت إستراتيجيتي العاقلة. ولا عجب أن الفتيات رمقنني بكره دفين وغادرنا المقهى في خلال خمس دقائق. محاولتنا للتعارف كانت فاشلة تماما. صحيح أنني اعتذرتُ لاحقا بإرسال عدة رسائل (بدون علامات ترقيم) لكنني لم أتلقَ ردّا. ظننتُ أنها ستغضبُ كطفلة أو تعطيني محاضرة عن الأخلاق تتماشى مع نزق المراهقين، لكن لَم يحدث شيء. في العادة تحاضر وتجادل مع من تهتم لأمرهم، أليس كذلك؟ مع شخص تهتم به بعمق وتتمنى أن يتغير للأحسن. لكنها لم تهتم. لا بد أنها محتني من حياتها في اللحظة التي

Twitter: @ketab_n

غادرت فيها ذلك المقهى ذلك اليوم. أنا متأكد أنها هدّأت صديقتها التي شعرت بالإهانة بقولها: "انسي أمره، إنه مجرد أحمق" والأخرى، شاعرة بالإهانة كانت ستقول: "لا يهمني في شيء، أعدك" هكذا كان ليصبح حكمهن- رصينا، موجزا، وحلوا.

كان علي أن أتجنب زلات مشابهة مع هيلينا. لهذا كنت موجزِاً.

صافحتها، وقد وضعت نصب عيني مهمة ترجمة "سينام ويصحو ويكون بخير" إلى الإنجليزية. كان عقلي يعمل بسرعة.

كنا واقفَين عند السرير، نتصافح مثل الرؤساء بينما استلقى ماسيك على ظهره، متحشرجا.

في النهاية اخترت جملة أبسط:

"لو احتجت شيئا، أرجوك أن تتصلي بي. أنا في الغرفة ٤٠٢. أرجوك، لا تترددي"

ثم أضفت بابتسامة:

"اسمي زازا"

"أنا هيلينا" ابتسمت بالرد.

Twitter: @ketab_n

كان هذا عندما سمعت اسمها. لم تكن لدي أدنى فكرة عن كونها هيلينا. ثاني إيلين في حياتي. كم هو مريع ألا تستطيع الفكاك من الإيلينات.

باغتتني تلك الفكرة لاحقا. في اللحظة ذاتها كنتُ متفاجئا بشكل محبب، وليس أي شيء آخر. بالطبع كان يمكنني أن أقول أن صاحبتي السابقة كانت تسمى إيلين أيضا، لكنك لا يمكنك قول كل ما يخطر على بالك. كنت قد تعلمت درسي قبلها بثلاث سنوات عندما كنت أواعد الفتاة ذات الكتفين الموشومين بجناحين.

إدراكي المفاجئ أنني كنت أبحث عن عُذر لأبقى أصابني بالذعر. أردتُ أن أبقى معها، واكتشاف ذلك كان مُنذرًا. لو بقيت، سأبدأ بالوقوع في الأخطاء، لذلك ودعتها بسرعة وغادرت.

أنا أخاف الجميلات...

Twitter: @ketab_n

٧- باريس

كنا سنقضي الليل في القطار. كنا سنصل إلى باريس في الصباح.

وقع قلب إيليكو:

"هل سنقضي الليل في تلك المقاعد؟ لو لم أنم جيدا الليلة فلن أكون نافعا لأحد في اليوم التالي"

لم تكن هناك أسرّةٌ معلقة في جدران كبائن قطارنا. هذا هو سبب توتر إيليكو. لكن لم يكن من داعٍ لتوتره. كان قطارٌ آخر ينتظرنا في المحطة: أكثر راحة، بأسرةٍ وخلافه.

كانت تلك هي المرة الوحيدة التي لم نسافر فيها بإكسبرس الأدب الأصفر البني.

تغير مزاج إيليكو في التو:

Twitter: @ketab_n

"أحب هذا القطار أكثر! أتمنى لو كان لنا طوال الرحلة"

ثم فتح حقيبته وأخرج برنسا مزغبا جميلا. رأيت شبيهه في غرفتي بالفندق.

"هذا البرنس قد يصل سعره بسهولة إلى أربعين يورو" قال وأضاف: "برنس ضائع لن يدمر خوان كارلوس[6]!"

"هل سرقته؟" بدا زفياد غير مصدق.

"إنه أسلوب شائع" أجاب. "عندما كنا في بازل منذ خمس سنوات، أخذ هاينز نفسه خمس مناشف من الفندق. وردية. من نوعية ممتازة. أشعر بالندم لأنني لم أفعل بالمثل." ثم أضاف بقسوة "سأنام على السرير السفلي، العلوي يصيبني بالدوار."

قلت لنفسي، يمكنه أن يفعل ما يشاء. هناك الكثير من الأسرة.

"لا بد أننا سنحظى براكب رابع" تمتم بنوع من المتعة السادية. "الألمان لا يمكنهم تحمّل الأماكن الخالية"

نظر ثلاثتنا بشكل غريزي إلى المكان الشاغر. تدنت معنوياتنا أنا وزفياد بشكل ملحوظ: علمنا أن راكبا رابعا، غريبا تماما، سيضنينا بالتأكيد. هذه هي طريقتنا: الجورجيون يتوترون في حضور الغرباء.

---

6 ملك أسبانيا وقتها. (مترجم)

Twitter: @ketab_n

"أتمنى ألا يكون الإستوني في بنطاله الجلدي" ضحكت. كانت غريزة بقاء أخرى: الضحك لدفع القلق.

"لو كانوا روسا فلنضربهم" قال زفياد متسلقا السرير العلوي.

"روسي واحد وليس اثنين!" صحح إيليكو كلام زفياد. "يمكنه أن يكون واحدا فقط، توجد أربعة أسرّة فقط، لذلك لا يمكنهم إحضار شخص زائد"

"يمكنهم" أتى صوت زفياد من الأعلى "فهم ينامون معا"

لم تكن مزحة جيدة لكنني ضحكت لكي لا أهينه.

قال إيليكو متثائبا: "لو تركوني أنام مع إرميل، لن تسمعوني حتى نصل إلى برلين"

سألته: "أنت معجب بها كثيرا أليس كذلك؟"

"أحبهن بيضاوات، بيضاوات تماما ببظر أحمر متوهج" أجاب بجزم.

كان هذا دور زفياد ليضج بالضحك، ولكن بسبب الإحراج أكثر من أي شيء آخر.

ندت عن إيليكو ضحكة خافتة. كان في مزاج يتيح الحديث:

Twitter: @ketab_n

" إنهن يحببن الاستمناء وأنا أستمتع برؤيتهن يفعلن ذلك. إرميل إحداهن. لديها عينان مبللتان وأنامل وردية. مؤخرتها صغيرة نوعا، لكن لا بأس بذلك. المهم أنها ليست مسطحة أو مجعدة من الأسفل. لا أحتمل المؤخرات المجعدة! "

" هيا نبحث عن عاهرات باريس " اقترح زفياد.

" أكره العاهرات. إن لم يكن باستطاعتها الوصول إلى الذروة، أفقد اهتمامي " كشر إيليكو. ثم وجه كلامه لزفياد " سآخذك إلى بوا دو بولونيه لتنيك زوجا من المتحولين جنسيا. إنهم الأعلى سعرا. بما أنك شاعر، عليك أن تجرّب ذلك أيضا "

" لا، أشكرك مع ذلك! " ضحك زفياد.

" ثمة امرأة أخرى هنا " استطرد إيليكو. وفقد قلبي نبضة مخافة أنه قد يأتي على ذكر هيلينا ويبدأ بوصفها التشريحي، مثلما فعل مع إرميل ذات الأنامل الوردية.

لكن إيليكو تكلم عن شخص آخر:

" ميلينا. لا ترتدي ملابس داخلية. أعرف ذلك "

" من هي؟ "

Twitter: @ketab_n

"وصلت البارحة. حدثتها قبل أن نصعد إلى القطار. حلم نكروفيلي[7]"

كانت كذلك بالفعل – نحيفة وشاحبة، بهالات سوداء تحت عينيها. لم أستطع أن أفهم لماذا هو معجب بها. ظننت أنه ليس معتوها في النهاية. كان فقط يخادعنا. لذا سألته:

"لماذا تحب تلك الرمّة؟"

"هذا بالضبط ما أحبه فيها. إنها حارة من الداخل. لا يمكنك حتى أن تخمن كم مرة ستصل إلى الذروة. إنها من نوع الذروات المتعددة"

لم أرد أن أجادل. تمددت على السرير السفلي عارفا أنني لن أستطيع التوقف عن التفكير في هيلينا. كنت رهينة لتخيل ممارسة الجنس معها. حتى الآن لم يكن التفكير فيها ضاراً. بل إنني فكرت أنني أستطيع أن أخرجها من عقلي لو أنني اخترت ذلك.

لم يكن من داع لمخاوف إيليكو: لم نحصل على راكب رابع.

ميجيل فقط فتح باب كابينتنا وقال "أوه" التي كان مقصودا بها إبداء الدهشة، كما افترضت، واختفى.

---

7 النكروفيليا: ممارسة الجنس مع الجثث. (مترجم)

Twitter: @ketab_n

"أغلقها" أخبرت إيليكو.

"سيجعلونا نفتحها على أية حال" أجاب بحزن.

ثم وجه لي سؤالا غير متوقع:

"هل معك نسخة من كتابك هنا؟ هل يمكنك أن تعطيه لي؟ سأنظر فيه ولو أصابني بالنعاس فسيكون كتابا جيدا"

"لا أتحمل أن يقرأ أحدهم كتابي في حضوري"

"بربك! إنه مؤتمر أدبي، أليس كذلك؟ يجب أن تعتاد على ذلك"

لم أكن أكذب. لا أتحمل أن أكون حاضرا بينما يمسك أحدهم بكتابي. بل إنني في مرة تعاركت مع أمي. كنا نشاهد التليفزيون عندما رأيت أنها تحمل مجموعتي القصصية. طالبتها أن تقرأها عندما لا أكون موجودا. في أوقات كهذه لا يمكنني أن أركز على أي شيء إلا رد فعل القارئ. مراقبا إياهم عن كثب، أحاول أن أفسر الانطباعات المتبدية على وجوههم. الأمر الذي يسبب لي الكآبة والإهانة. ربما هي قلة الخبرة. من جهة أخرى، لم أرد أن ينتهز إيليكو الفرصة ليهزأ من عقدي النفسية، فلم أصمم، وأخرجت كتابي من الحقيبة وناولته إياه مع ابتسامة:

Twitter: @ketab_n

"يمكنك أن تشرع في القراءة فور أن أنام"

وبتعبير يدل على الامتعاض العميق، قلب صفحات كتابي وخار قائلا:

"جودة النشر هنا مشكوك فيها: لا يمكنني أن أقرر إن كان كتابا أم كراسة"

ثم عدّل من وضع وسادته ونظر إلى الفهرست.

تساءلت أيها يا ترى سيختار أن يقرأ أولا؟ كانت هناك عشرة قصص فقط: أقدمها وأضعفها كانتا في النهاية. بدأ إيليكو بالأولى.

ما الذي سيجده قارئ مثله مثيرا في قصصي؟ ما الذي يمكن أن أكتبه ويدهش منحرفًا مثله؟ لم أعتمد أبدا على تقدير شاكلة إيليكو لأعمالي وكانت تلك المرة الأولى التي أبدأ فيها بتأمل قُرّائي.

بدا كتابي صغيرا بشكل لا يحتمل في يد هذا المواطن—من—العالم[8]، هذا المأفون متعدد الثقافات، هذا التلميذ - المُفكّر الأبدي والمنحرف المنحوس. لم يوفر كتابي حيزا كافيا لنوع إيليكو الكوزموبوليتاني ليناور من خلاله.

---

8 المواطن—من—العالم: يعني هذا شخصا يعتبر نفسه منتميا إلى الإنسانية كلها وليس إلى بلد محدد. (مترجم)

Twitter: @ketab_n

أمي تحب قصصي، لكنها ليست مواطنة—من—العالم فقط، بل وهي ليست حتى قارئة، لنكون واضحين. إنها تقرؤها لأنني ابنها وهي تحبني. وهي قد سمعت عن زفياد وشعره قبل أن نغادر بفترة قصيرة. رافقتني بينما كنت أستخرج التأشيرة وسمعت اسمه مني كثيرا.

في الواقع، زفياد يعتبر معروفا بشكل جيد بين القراء الجورجيين. لكن هناك فقط خمسة آلاف متبقين من هؤلاء. الغالبية قد ماتت في هذه الحرب أو تلك. ليسوا جمهورا عريضا.

وكأنما تعمد أن يضايقني، خلا وجه إيليكو من أي تعبير. استند رأسه إلى ذراعه، وكان يشد شحمة أذنه.

كان يقرأ القصة الأولى، عن معرض رماية. عن رجلٍ ماهر في الرماية ويحصل على العديد من اللعب كجوائز. فرد كي جي بِي سابَق ويعاني من العصاب. أظن أنها قصة مضحكة، لكن إيليكو لم يضحك...

إيليكو، ابن بلدي، لا يجد ذلك مضحكا، لماذا إذن قد يجده هاينز أو رودي مضحكا؟

منذ وقت مضى كانت قصصي قد هربت من محبسها في مكتبي، ومرت عبر الممر الصغير والصالة، ثم خرجت من المبنى، إلى الشارع، ثم إلى شارع آخر ورشحت إلى بيوت متحدثي اللغة الجورجية. هي

Twitter: @ketab_n

ومائة ألف أخرى من البرمائيات الأدبية، لا بد أنها لا تزال تضرب الحوائط.

نحن كتُاب الشُقَق الجورجية.

لو كنت أصغرَ سنًا، لكنتُ كتبتُ قصّةً عن قصص يمكنها، تماما مثل حيواناتنا الأليفة، أن تشعر بالأمان والراحة في الأماكن المألوفة فقط. كنت سأسميها قصصا منزلية. كم كانت قصصي آمنةً في يدي أمي ويدي إيلين! تخرخرُ برضا، لم يكن كتابي محتاجا لهواء أو مساحةً أكثر. لكن مع إيليكو، بدا منكوشا ومتعبًا، خاصةً عندما قورنَ بكراسة.

على الأقل كان بإمكانه أن يبتسم، على سبيل التحضر، أو حتى أن يهمهم بهمهماتٍ راضية، لكن لا، لم يفعل! شابٌ مُريع...

ومصابًا بالضيق، التقطتُ الكتابَ الذي كنت قد بدأت قراءته في حمامٍ في لشبونة.

"لقد أصابني بالجوع!" تمتم إيليكو بصوت منخفض ورمى كتابي. هبط الكتاب على طاولة صغيرة بين أسرتنا.

رد الفعل: صفر. لقد جعله فقط يشعر بالجوع!

Twitter: @ketab_n

لم أرد، محاولا التركيز على الرواية، لكنني لم أتمكن من اجتياز الجُمَل الأولى. لو أن ذاكرتي لم تخنّي، فقد كانت شيئا من هذا القبيل: "الطفل المقتلع من جسدي كان واقفا على قضبان القطار. جسدٌ صغير، شفاف.. ولم تكن تلك هلوستي."

لكم أكره الروايات النسوية الجورجية!

أتساءل إن كانت الجُمَل الافتتاحية لقصصي تثير حفيظة قُرّائي بنفس الطريقة. وآخذا رد فعل إيليكو في الاعتبار، فإنها تفعل. وضع الكتاب جانبا من دون أن ينطق بكلمة تشجيع واحدة.

لم يعجبه، هكذا فكرت.

لا أذكر إن كان إيليكو وزفياد قد أكلا أي شيء. لم أفعل أنا الآخر. غفوت عابسا ولم أشغل عقلي بأفكار حول هيلينا. طموحاتي المهنية أزاحت خيالاتي الجنسية جانبا.

Twitter: @ketab_n

أهلا هاينز،

أعتذرُ عن عدم الرد بالأمس. لم يكن الكمبيوتر الخاص بي معي و"مركز الأعمال" الخاص بفندقنا كان مشغولا من قِبَلِ بعض زملائنا؟

باختصار، أتمنى أن تقبل اعتذاري :))).

ولأكون صريحا، فإن طلبك قد فاجأني. أعتقد أن بإمكانك تكوين فكرةٍ عن المجموعة الجورجية بنفسك، من دون مساعدتي. لكن إن كنتَ ترغب في سماع انطباعاتي مباشرة مني، فإنني سأقوم بكل سرور، ولو بشكل مؤقت، بوظيفة عميل سريّ للإستاسي[9] (لا تنس أن بيريا، مؤسس الكي جي بي، كان ابن بلدي:))))!). كما أن بإمكانك أن تدفع لي بشكل خاص لهذه المهمة بالذات، فلا يصبح لدي أي سبب أخلاقي للرفض:))). أنت الرئيس(كما هي الحال دائما! راجع: أنتورب ٢٠٠٤، وزفيكاو ٢٠٠٦:))!) وأنا سألزمُ الطاعة. يمكنني فقط أن أتساءل عن أسباب حاجتك لتلك "المعلومات". هل السبب أنك لا تملك الوقت الكافي لتعرفها بشكل أفضل شخصيا وتحتاج ملاحظاتي السريعة؟ هل أنت مهتم بمعرفة إن كان لديهم الجاذبية والقدرة الكامنة اللازمين للكتاب؟ هل أنت مهتم

9 وزارة أمن الدولة أو الإستاسي، جهاز أمني من أجهزة جمهورية ألمانية الديموقراطية السابقة المعروفة باسم ألمانيا الشرقية (مترجم)

Twitter: @ketab_n

بمعرفة إن كانوا راضين عن الرحلة؟ هل أنت مهتم بمعرفة إن كانوا قد قاموا بالتواصل مع كتاب آخرين؟ هل أنت مهتم بمعرفة إن كانوا يُعتبرون ناجحين في بلادهم؟ هل أنت مهتمٌ بأي نوع من الناس قد يكونون؟ لا أعرف تحديدا ما هو نوع "المعلومات" التي تتوقعها مني، لذا سأعطيك إجاباتٍ قصيرة للأسئلة عاليه:

١) أعتقد أنه من المبكر جدا أن نشير إليهما كمحترفَين. كلاهما في طور تكوين الكاتب. زفياد شاعرٌ من السهل ترجمته. وهو يذكرني بشكل ما بصديقنا المشترك (راجع برلين ٢٠٠٢)، الشاعر ماكس كجيجانيفسكي: ثيمات الموت، الصلاة والعاهرات. زازا يكتب قصصا قصيرة. ويقع في الكثير من الأخطاء النحوية والأسلوبية في لغته الجورجية، لكن مترجما قديرا باستطاعته أن يحسن من لغته بسهولة. حبكاته أصيلة. ستعجبك قصته "تَحَدّث عبر الحبل السري". لو أنك مهتم، لن أعترض على ترجمتها بنفسي. أنت تعرف أنني مُتاح.

٢) لقد قمتُ بتقييمهما ككاتبين (راجع السؤال ١)، لذا فسأنتقل إلى الثالث.

٣) إنهما سعيدان للغاية بوجودهما هنا، بالرغم من أنهما يواجهان صعوبة في التكيف. إنها مشكلة مشتركة مع كل الجورجيين. يفضلون الالتصاق ببعضهم، بسبب قلقهم من الغرباء. على أي

Twitter: @ketab_n

حال، فإن هذه الرّهابات سرعان ما تتنحى جانبا بعد المرحلة الأولى. وإني لآمل أنهما سيبدآن بالتواصل بعد وقت قليل. إنهما يحبان المكان. وقد قاما بتمشيات طويلة في لشبونة ومدريد. وقد زارا برادو في مدريد.

٤) الكاتبان الإسباني والكرواتي سرعان ما كسرا حاجز الصمت مع زفياد. زازا لا يزال يمنع التواصل. لم يتعد تحية زملائه.

٥) في وطننا، هما ليسا معروفين إلى الجمهور العريض. لكنهما شعبيان بشكل أو بآخر في دوائر أصغر نسبيا من القراء. وكما قال لي زفياد بنفسه فإن لديه إحدى عشرة(!) مجموعة شعرية منشورة، زازا – واحدة فقط: قصص قصيرة (حائزة على جائزة بنك جيو- يونيفيرسال في الأدب).

ونهايةً، شيءٌ عن نمطهما النفسيّ:

٦) زفياد يذكرني بشخصية روديارد كيبلينج الشهيرة(عقدة ماوجلي أو [مرة أخرى] الشاعر ماكس كجيجانيفسكي، قادمٌ حديثا من بولندا الشيوعية). إنها مرته الأولى في أوربا وهو يحاول أن يخفي قلقه من خلال [دفاعا عن النفس] العدوانية. إنه يحتاج القليل من "الحب والاعتناء". سرعان ما سيكون مرتاحا. بالطبع أنت تعرف ما يحتاجه الشاعر: بعض المدح. إنه ينتظر أن يُمتَدَح. لا أقوم بتدليله بهذا الخصوص:))). أنت تعرف أنني "سادي" ولا

Twitter: @ketab_n

أؤمن بالحلول الوسط. لدي وسائلي لترويض أمثاله. الجورجيون (حوالي ١٠٠ شخص!!!) يعتبرونه موهوبا. ليس رجعيا. لم أره يقرأ مرة واحدة. مثل معظم الشعراء فهو جاهلٌ للغاية (وكما تعرف فإنني لا أحترم كثيرا الكتاب الأحياء). لديه زوجه وطفلان.

زازا ذكي ومفكّر، ولكنه خائف قليلا بالرغم من ذلك. ليس اجتماعيا ويميل إلى أن يكون ساخرا. أظن أنه يتمزق داخليا بخصوص فكرة المؤتمر. كان ذاهلا عندما وجد أن الجميع يكتبون في قطار لشبونة – مدريد. تماما مثل زفياد، فإنه لا يكتب في حضوري. ذلك مرض جورجي قحّ آخر. لا يمكنهم العمل أثناء الرحلة. أية رحلة تصيبهم "بصدمة" عميقة. على أية حال، إيجاد أرضية مشتركة يبدو أسهل مع زازا عنه مع زفياد. زازا أكثر تقدميةً بالتأكيد. فهو أعزبُ، بلا أطفال. وأمه لاعبة شطرنج مشهورة.

كلاهما يفضل الجنس مع النساء.

ماذا يمكنني أن أضيف؟ لستُ متأكدًا من أنني فهمت تماما طلبك للمعلومات عن مجموعتي. لكنني أيضا لم أسبب أذىً لأحد "فملاحظاتي" قد مكنتك من معرفة ضيوفك بشكل أفضل. الآن سيكون من السهل عليك أن تتواصل معهم.

Twitter: @ketab_n

دائما في خدمتك في رحلاتٍ قادمة.

صديقك،

إيليا ك.

وصلنا إلى باريس في الفجر. كانت باردة وعاصفة.

كانت تلك زيارتي الثالثة للمدينة. في المرة الأولى أدت شدة إثارتي بها إلى أنني لم أهتم بإفلاسي. المرة الثانية كانت أكثر إزعاجا. إيلين فقدت حلقها، بدلنا القطارات مرتين(بسبب الإضرابات)، ثم أصبت بمغص بسبب شطيرة مقرفة، وعلاوة على كل ذلك، أنفقنا أموالنا – التي لم يكن لدينا الكثير منها– من دون وعي وبسرعة كبيرة. لهذه الأسباب لم أكن في غاية السعادة في باريس. كانت أول مرة بالنسبة لزفياد. عندما نزل من القطار، كان وجهه مشعا بالفرح. بل أنه لم يلحظ حتى الجو البارد.

من المريع أن تضطر لانتظار مائة شخص آخر، وتنتظر أن يخبرك أحدهم أين ستذهب ومتى. كان هذا أكثر أجزاء رحلتنا إثارة للأعصاب: النزول من القطار، انتظار الأوامر والذهاب إلى الفندق.

Twitter: @ketab_n

لم يكن لكل منا أن يسلك طريقه الخاص، كما هو واضح، لذا كان علينا أن نظل معا، ونمضي الوقت حتى تكتمل المجموعة ثم، بعد أن يصبح هاينز أو رودي ويصرخ، نمشي بنشاط إلى الحافلات المنتظرة.

من الظاهر أن الجميع لم يستطع أن ينام جيدا في القطار. الجميع، بما فيهم الليتواني النشيط باستمرار، بدا شاحبا. شعرتُ أنني أصابُ بالبرد. كان الأرمينيان الأكثر إثارة للشفقة: كانا واقفين بجوار سلة المهملات، يرتعدان ويعطسان بهدوء، بفاهين مغلقين. بدا عطاسهما المتزامن كقطعة موسيقية معدّ لها جيدا.

هاينز، ورودي، وإرميل، وميلينا فقط من أشعوا جَلَدًا يحسدون عليه.

في أثناء ذلك، كنت أشاهد إيليكو، وشعوري بالذنب يتزايد حيال أفكار الليلة الماضية. كنت تقريبا قد شرعت في أن أكرهه لأنه لم يمدح قصصي. من نظرة واحدة، لا أبدو شخصا متعجرفا، لكن إيلين أخبرتني مرة، أنني أمنحَ انطباعا بشخص متواضع وهادئ، وهذا في الحقيقة ليس إلا غطاءً لوكر من الخطايا. كانت تراني شخصا ضاراً خبيثا ومتسلقا.

وكرٌ من الخطايا. هكذا.

Twitter: @ketab_n

أخيرا كنا جاهزين للتحرك، لكننا لم نستطع الوصول إلى الحافلات– في منتصف الميدان كان هناك مسرح مؤقت وعليه أناس بوجوه مدهونة بالأبيض يلوحون بقطعٍ من الورق ويصيحون بشيء لم أتبينه.

"هؤلاء الممثلون يقرأون نصوصكم" أخبرنا إيليكو.

قفز هاينز فرحا إلى المسرح. من الواضح أنها كانت فكرته – لقد استقبلتنا باريس بنصوصنا. كان قصده من هذا أن يفاجئنا مفاجأة سارّة. صفق البعض. كانت الرياح تعصف بقوة فلم نستطع سماع شيء. وبالرغم من بذل الممثلين قصارى جهدهم، فقد ذهبت جهودهم هباء: كان الميكروفون يصفّر عاليا، والأرمينيون يعطسون وأنا كنت أرتعد.

"إنهم يقرأون قصيدتك الآن" تطلع إيليكو إلى زفياد.

"حقًا" فرح زفياد كطفل.

اتسعت ابتسامة إيليكو. لم نكن في مزاج يسمح بالمزاح.

"مستحيل . . . " شعر زفياد بالإهانة.

"سمعت بأذني هاتين خنادق فاردجيا" أصر إيليكو.

في هذه اللحظة بدا زفياد غاضبا بشكل مؤكد.

"لم أكتب هذا أبدا!"

Twitter: @ketab_n

من بين كل شيء فإنني أكره هذا النوع من المفاجآت: تلقائية وأصيلة لأول وهلة. خاصة إن لم تعلم المدة التي ستستغرقها.

الروسي الكبير كان قد أسرف في الشراب في القطار بالحكم على عينيه المنتفختين وحاجبيه الأشعثين. والصغير لم يكن بأحسن حالا: لحيته كانت متشابكة ونظراته ميته. كان قد شمّر رجلي بنطال بيجامته إلى ركبتيه وكان مرتديا حذاء رياضيا أبيض.

بأسنان يصطكها البرد، كانت مدام روجيه العجوز تقف بجواري. كانت محبوبة – بقصة شعرها الصبيانية. كانت لها عادة الابتسام لك وقتما تلاقت أعينكما. فعلتْ نفس الشيء الآن.

"الجو بارد للغاية" قالت بالإنجليزية وابتسمت.

"هاينز لا يشعر به" ابتسمتُ بالرد. ثم تجمدنا. لم أعرف ما علي قوله، ولا هي. يحدث لي هذا دائما مع الأجانب. الله وحده يعلم كم مرة كنت هكذا: بابتسامة متجمدة على وجهي!

"زازا" سمعت الصوت من ورائي.

كانت هيلينا. كانت مع زوجها.

"وزني ثقيل أليس كذلك؟" مد يده مصافحا.

Twitter: @ketab_n

لم أقل شيئا، مخافة أن أتلفظ بشيء غبي. ابتسمت فقط وصافحته.

أخبرته هيلينا: "لولا زازا لكنت تركتك في اللوبي"

زا – زا. شددت على المقطع الثاني. لا أزال أستطيع سماع صوتها.

ابتسم ماسيك قائلا: "آسف"

بدا طيبا وذكيا. بخلاف الرجل الذي رأيته منذ يومين. كان أكبر سنا من هيلينا بشكل واضح. يليق كأب لها أكثر من زوج.

"سماح" قلت.

من حسن الحظ أن هاينز نادانا، لأنني لم أعرف ما هي الخطوة التالية. أنقذني من إحراج متجمد آخر.

العرض كان إخفاقا تاما. فقد شاركت الآن الأمطار مع الريح وهاينز كان يشير إلى الحافلات.

"أو–لا–لا" ضحكت المرأة الفرنسية وأسرعت إلى الحافلة.

"أراك لاحقا" غمز لي ماسيك.

Twitter: @ketab_n

بالرغم من أننا كنا مبتلين جميعًا، فقد بدا لي أن هيلينا بالذات كانت غرقانة: كانت قطرات المطر تنزلق على أنفها (وكأنها تذوب) وأصبحت عيناها شفافتين تقريبا.

"لماذا اعتذر لك؟" سألني إيليكو ونحن نركب الحافلة.

"لقد قام بالاعتراف لي" أجبته "بناء على أوامر هاينز"

"آه!" أعجبته مزحتي. "القطر يمكنه أن يحمل الأنقياء فقط"

كنا نمر ببرج إيفل. كانت الرياح من القوة لدرجة أنني ظننت أنه سيتأرجح. لكنه كان ثابتا كالعادة: لم يتأرجح ولا انشطر إلى نصفين.

تمتم زفياد: "لا أظنه حقيقيا، يبدو لي كنسخة مزيفة"

شعرت بالسعادة في غرفتي. كان يمكنني رؤية باريس المطيرة من نافذتي المستطيلة، الأمر الذي ذكرني بأفلام فرنسية شاهدتها في طفولتي. قواعد الرومانسية السينيمائية تقول أنه علينا أنا وهيلينا أن نقع في غرام بعضنا في باريس، لكن الحياة كانت أكثر خشونة: زفياد كان رفيقي في الغرفة.

لم أرد أن أتصل بأهلي من هاتف غرفة الفندق. هذا النوع من الاحتياط هو أثر آخر من آثار زمن السوفييت — "إياك أن تستخدم هاتف الغرفة، فهو باهظ الثمن!" لكنها كانت تمطر بغزارة، ولم يكن

Twitter: @ketab_n

بنيتي أن أخرج في هذا الجو لأشتري بطاقة هاتف. كنت قد تركت هاتفي المحمول في جورجيا وكنت فخورا للغاية بقراري ذاك. لو كانت إيلين لا تزال معي لأصبح هذا معقولا، لكن لماذا قد أرسل رسائل لأبي وأمي يوميا؟ لا أنا أفتقد ريزيكو (تراث٭ من أيام مراهقتي) ولا وجه نوتسا (زميلتي في الصف، بالصدفة)، فضلا عن زملائي ورفاق العمل. فكرت كثيرا في إيلين، لكن بشكلٍ غريب، منعدم الشعور، منعدم الحياة...

وهكذا، لم تكن لدي حاجة ماسة لهاتفي المحمول ولكن كان علي أن أهاتف ماما - منذ مغادرتي لم أكلمها إلا مرة واحدة. ولم تشجعني المكالمة... كان عقلها مشغولا تماما بالدبابات الروسية والمظاهرات في جورجيا.

أمي امرأة ممتلئة بالحياة، نائبة رئيس اتحاد الشطرنج. اشترت سيارة مرتين لأبي العاطل. هو شخص محبوب، يغني غناء جميلا ويلعب التنس أحيانا. يحاول أن يظل شابا. في الحقيقة، هو لا شيء. عجوز وسطحي. مثل أغلب رفاقه. كلهم وزراء سابقون، بلا استثناء. النخبة الشيوعية الأخيرة. كان أبي دائما كما هو عليه: يستمتع بغناء المواويل الروسية برعشة صوت طفيفة، وإن كان قد شرب كأسا زائدة أو اثنتين، يمكنه أن يذرف دمعة فنية. ماما هي زوجته الثانية. سحرتها مواويله على الطاولة وتزوجته.

Twitter: @ketab_n

لاحقا، كبرت وأصبحت امرأة ذكية. أرفض أن أصدق أن ماما قد تتزوج بابا في يومنا هذا.

خاصمني بابا في الربيع ولا يزال غاضبا مني. حتى الحرب لم تصلح بيننا. اتصل بي مرة واحدة، يوم أن قصفت تبيليسي، ليسأل إن كان التلفزيون يستقبل قنوات روسية. وعندما سمع أنه لا يستقبلها (كما يبدو، كانت هناك أوامر من الأعلى فالقنوات الروسية كانت محجوبة عن الشعب، مخافة أن براجهم الإعلامية سيكون لها نفس تأثير قنابلهم) دمدم أنها لا تقول شيئا (يقصد القنوات الوطنية الجورجية) وأغلق الخط. أما عن غضبه، فقد بدأ كل شيء عندما كتبت قصة عنه . . . الطاولة مفروشة من أجل وليمة. كهول يمضون وقتا ممتعا. لا يزالون يستعرضون متظاهرين أنهم ما زالوا شبابا – بسلاسل ذهبية بصلبان ضخمة حول أعناقهم وخواتم كبيرة حول أصابعهم. لكن النبيذ الذي يشربونه يبدو أنه مسموم ويتحولون جميعا إلى وحوش. يبدأون بافتراس بعضهم: أذرعة، أفخاذ، وآذان. استخدمت بابا كنموذج لرئيس الوليمة – السبب الذي جعله يتعرف على نفسه بسهولة في شخصية القصة – مغنيا نفس الأغاني ومتحدثا مثله. في النهاية يقضم بابا–الوحش أنف صديقه، ويأكله ثم يقيئه كمخلوق طري نصف ميت.

Twitter: @ketab_n

كانت صياغة كابوسية لوليمة جورجية تقليدية. لم تنتب بابا الشكوك فهو لم يظهر أي اهتمام بقصصي قط ولم يكن ليقرأ هذه أيضا لولا ماما. أضحكتها القصة وظننت أنها ستضحكه أيضا. في الواقع فقد استشاط غضبا. واتصل ليخبرني أنني أصبحت مغرورا. وبالحكم على نبرته، أدركت فجأة أن بابا سيستخدم لغة الشارع وأساليبه في حل الخلافات. كنت هائجا. هذا الداندي الذي لا يصلح لشيء الذي تعيله أمي يريد أن يعلمني الأخلاق؟ أعترف: قمت بإهانته. سبّني، وكرد على هذا هددته بأنني سألقيه خارج النافذة. في اللحظة التي أغلقت فيها الخط سالت الدموع على وجنتيّ (من الأفضل أنني لم أبك أثناء مكالمته). ثم اتصلت ماما لتوبخني. لم أنطق بكلمة دفاعا عن نفسي. كانت نيتي أن أتصل به في المساء ذاته لأعتذر، لكنني لم أستطع أن أضبط نفسي. كانت كرامتي مجروحة بشكل سيئ ولم أستطع فعل شيء حيال ذلك. في اليوم التالي كان ابتلاع الإهانة أصعب، فصار الأمر أسوأ وأسوأ.

ألم يكن عليه هو أن يبادر بالتحرك؟ ماما كانت لتتصل أولا بلا شك. أم أن مكالمة القصف كان مقصودا منها خطوة باتجاه المصالحة؟ لا أعرف. لا أعرف بابا.

ماما كانت موجودة. لا بد أنها كانت تشاهد التلفزيون فقد كان يمكنني سماع صوته في الخلفية.

Twitter: @ketab_n

سألت: "كيف تجري الأمور؟"

"أوه، هذا وذاك. عند الرابعة سيغلقون جسر باراتاشفيلي. وكيف حالك؟"

"ماذا تقصدين سيغلقون؟" كنت حائرا.

"هناك مظاهرة في الرابعة مساء اليوم. ألا تشاهد التليفزيون؟"

تبيليسي غارقة في المظاهرات. وأمي منغمسة في السياسة، ولا تجد تفسيرا للا مبالاتي بالأحداث الحالية. كانت تعتقد أن حكاية الجسر لا بد وقد وصلت إلى باريس.

جسر باراتاشفيلي يصل القصر الرئاسي ببقية المدينة. منظمو المسيرة ينتوون إيقاف المرور كعلامة على الاعتراض بينما تشاهد ماما التليفزيون، وقد بدل القلق العميق حالها.

"كل أصدقائي سيكونون هناك" أخبرتني "لكن لا يمكنني الذهاب"

روح المعارضة تخللت بعمق اتحاد ماما للشطرنج. لاعبو الشطرنج، وخاصة النساء، لا يستطيعون احتمال الرئيس الحالي (أحبوا الرئيس الأول، الذي يشار إليه الآن بـ "المخلوع"). من

Twitter: @ketab_n

الداخل، تشاركهم أمي الشعور بالمعارضة لكنها خائفة - خائفة من قطع الحكومة لتمويل الاتحاد لو اشتركت في مسيرة معارضة. أو أسوأ من هذا، أن يتوقفوا عن دعمه تماما. لو سألتني، فإن الدعم يجب أن يتوقف سواء اشتركوا في المسيرات أم لا - لم يفوزوا ببطولة واحدة في الثلاثين عاما الماضية. لقد هزمت ماما في الشطرنج لأول مرة عندما كان عمري ثلاثة عشر عاما، أي نوع من المحترفين يكونونه؟ حقا، منذ سنوات، كانوا مثل أبطال الحلبات الرومانية، لكن انظر لحالهم الآن! مكتبهم الرئيسي تفوح منه رائحة الحساء لأنهم يطبخونه هناك، هو وعدد لا نهائي من فناجين القهوة الرخيصة التي يصنعونها هناك. مكاتبهم تبدو مثل الشّقَق - ثلاجات، ملابس، أيقونات، صلبان، صور البطريرك وميداليات الكأس السوفييتي القديمة.

أخبرها: "وماذا يهمّك؟ اذهبي إن أردتِ" أنا متأكدٌ أنها لن تذهب، لكنني أريد أن أشاكسها.

تسألني: "هل تحب المكان عندك؟"

"نعم، إنه عظيم"

"أية عروض؟"

هذه هي ماما الحقيقية، محترفة ومهتمّة. تريد لرحلتي أن تأتي بثمار ملموسة، تريدني أن أفوز بشيء. تراني كنوع من الرياضيين -

Twitter: @ketab_n

يجب علي أن أحصل على جائزة، ميدالية، أو على الأقل شهادة بالمشاركة. ومن المفضل أن يكون مكتوبا عليها: "الكاتب—المصارع الجورجي في الأسلوب الحر ثبّت خصمه الروسي على الأرض، حاصلا لوطنه على الميدالية الذهبية المليون ملطخةً بدم الرياضي الروسي"

أجيب: "ولا شيء"

تقول: "إذن فالرحلة بلا طائل"

"أي نوع من العروض تتوقعين؟" أشعر بالتوتر. "لست هنا من أجل تجربة أداء لفيلم، كما تعرفين"

"أعني أنك كان بإمكانك إعطاء الكتاب لأحدهم ليقرأه"

"بالجورجية؟"

وكأنها لا تعرف. سؤال بلاغي أساسا، عديم الرحمة، تسأله امرأة مشغولة بقطع شطرنجها، وأصدقائها العبيد، وزوج منحرف، تحصل ولا تحصل على مرتب شهري، وتغطية تليفزيونية للأحداث الراهنة. من العادل أن أقول أنها كانت تسعد بصدق عندما يمدح الآخرون ابنها ويقلدونه الجوائز الأدبية لأجل قصصه. ولكنها تعتبرني ضحلا. وهي واثقة من أن اختياري لمهنة الكاتب كان مخطئا تماما.

Twitter: @ketab_n

بالنسبة لها، فإن قيمة ما أكتبه تظل مشكوكا فيها. لو أنني كنت شاعرا، ربما كانت فهمتني أكثر. أحيانا أظن أنها تشعر بالشفقة حيالي ... ستتوقف عن أن تأسف لي عندما تصبح قصص ابنها جزءاً من منهج المدارس الوطنية.

الله يعلم أنني لا أطيق كتّاب المدرسة.

أغرق التليفزيون صوت ماما وتبادلنا وداعا حزينا.

فكرت أنه من الأفضل أنني لم أكن في بيتنا.

نظرت من النافذة. كان المطر غزيرا.

فتحت التليفزيون وشاهدت الفرنسية لبعض الوقت. تحدث المذيعون عن كل شيء إلا جورجيا. كان عزائي أنه لا قصف، لا قنابل، لا مظاهرات ومسيرات محدودة.

لا بد أنني غصت في النوم. طرق إيليكو أيقظني. أعاد لي كتابي.

قال: "القصة عن الجنين الذي يتحدث من الداخل جيدة." فقط. أحب قصة عن جنين متحدث.

ابتسمت له. لم أتوقع منه هذا الكرم.

قال بحدة: "العديد من الأخطاء المطبعية، وبالمناسبة، لا توجد أكواخ من خمسة طوابق"

Twitter: @ketab_n

"هل كتبت هذا؟"

"نعم. صفحة ١٠٢"

كم أخاف من القراء أمثاله!

أخبرني: "ستدخل مرحلة مختلفة تماما في الغد، ستشارك في نقاشات سيتم تنظيمها أمام الجمهور. سيكون هناك بعض الناشرين. قد تحظى بوكيل أو اثنين أيضا"

"أين؟" ارتعدت.

"ليست لدي فكرة. سيتم أخذك إلى المكان"

"هل هذا ضروري؟"

" لا، ولكن له دلالة. فأنت محتاج لجعلهم يحبونك. ستتحدث الإنجليزية. يمكنك أن تتولى هذا الأمر"

أومأت. لست متأكدا إن كان السبب هو استيقاظي للتو من النوم أو شيء آخر، لكنني كنت متأكدا من أنني كنت وديعا كتلميذ نجيب.

"أي لغة سيتحدثها؟" سألني مشيرًا إلى زفياد. "هل يعرف الروسية؟ يمكن ترجمتها"

Twitter: @ketab_n

هززتُ كتفي قائلا: "لا أعرف"

"لا يعرف شيئا" كشّر قائلا "جاهل ككل الشعراء"

لم أشغل بالي بما كنت سأتحدث عنه في اليوم التالي في نقاش مفتوح. ولا كنتُ قلقا. لم أحضر أي خطاب. ولسبب ما، لم أصدق ما قاله إيليكو عن الناشرين. هاينز وبضعة نقاد أدبيين هم كل ما توقعت رؤيته في القاعة. ظننت أنه سيكون مجرد أمر شكليّ. اتضح بعد ذلك أن الحدث كان جاداً للغاية: القاعة كانت ممتلئة. قادوا خمسة عشر أو عشرين منا إلى المنصة وأعطونا سمّاعات لنستمع إلى الترجمة. كنت مُحمرّ الوجه وحائرا، وأشعر أنني كنت أفعل شيئا يجلب العار.

مدير الندوة كان يسأل أسئلة حاذقة بشكل لا يصدق. بدأ النقاش واستمر من دون أن أتابعه ولم يكن لهذا علاقة بجودة الترجمة. لا يمكنني لوم المترجم – المواضيع كانت بعيدة عني. خفتُ من دوري، وأنا أعرف تماما أن مدير الندوة سيسألني سؤالا بينما سأتحدث عن شيء مختلف تماما.

كما فهمتُ، كان زملائي يتحدثون عن نصوصهم. بدوا مصممين على انتهاز الفرصة للإعلان عن أنفسهم. أحيانا كانت طريقتهم في فعل هذا مباشرة ورعناء. لا أظن أن السبب في ذلك كان سُمْك جلدهم. لقد بدوا مرتاحين تماما في مناقشة أي موضوع من

Twitter: @ketab_n

وجهة نظر نصوصهم. حتى ذلك الوقت كنت أظن أن ذلك متاح فقط للعباقرة والكتاب المشهورين. في بلادي فإن هذا التعبير الباتّ المتعنت عن النفس من قبل كتاب مغمورين سوف يلاقى برفض عام. في وطني لدينا قناعات أخرى: أديب غير معروف يدعي أنه بعيد كل البعد عمّا هو الأدب ولا يعتبر نفسه كاتبا بعد (هكذا تكون له فرصة في ألا تكرهه الجماهير). من جهة أخرى، فإن كاتبا معروفا نسبيا غالبا ما يكون حذرا في كلامه ويبدو كئيبا (لأنه متعاطف مع الأمّة). وإن قال أي شيء، فإن ذلك يكون في أسلوب فلسفي سطحي يدور حول نفسه، شيء يشبه نخبا مطوّلا. في الوقت نفسه، من الضروري أن يرثى للطبيعة الأم (الأم هي الكلمة المفتاحية) والأمة الجورجية العتيقة، الحكيمة، الشهيدة. إن لم يستطع أن يفعل، فأولا، سوف يخرق التقاليد العصرية دائما للبلاغة التقليدية، وثانيا، سيُحتَقَر من كافة الأمة نفسها. هنا، في باريس، كل شيء كان معكوسا: حاول الكتاب أن يكونوا أصيلين، خارجين عن التوقعات، واستخدموا تعابير بذخة بشكل مثير للسخط – كانوا يتحدثون عن رواياتهم، قصصهم، مسرحياتهم، وسيناريوهاتهم من دون خجل.

اتضح أن علي تبني الأسلوب نفسه. كان علي أن أتخلص من كل التواضع، مستغلا كل دقيقة منحت لي لأؤكد على أصالة قصصي. لكن كيف يمكنك أن تصبح أصيلا فجأة وأنت غير ذلك؟ خاصة في

Twitter: @ketab_n

خمس دقائق. وما هي تلك الخصلة الثمينة التي ستستخرجها من كتاباتك والتي بإمكانها أن تحولك إلى نجم لامع في عيون أولئك الوكلاء الأدبيين عديمي الشعور؟

كان ذلك كالجحيم بالنسبة لي.

سواء كان صوت أمي ("أية عروض؟") أم صوت ذلك الشخص الآخر، الطموح، الذي سمعته في أذني بوضوح: بع نفسك! بع قصصك!

لكن كيف؟ من أين أبدأ؟

لا يجب أن أتحدث عن نفسي. كان هذا أول وأسهل قرار. يجب أن أبيع جورجيا نفسها، وليس قصصي. لو ظللت أتحدث عن المشاكل التي تواجهها جورجيا في هذا الوقت، ستكون لدي فرص أكبر لأجذب اهتمام المستمعين إلى شخصيتي. الأحداث في جورجيا ستكون أكثر أصالة وجاذبية من تجاربي الأدبية. ولأن الحظ كان سانحا فإن الروسي الكبير كان مشتركا في النقاش أيضا، وهكذا فقد رجح اختياري على الحرب الروسية الجورجية كنقطة مركزية لحديثي.

في النهاية، جاء دوري. سألني مدير الندوة سؤالا بدا عاما جدا وغامضا (التقطت فقط كلمة جورجي).

Twitter: @ketab_n

سلمني أحدهم الميكروفون وفي اللحظة التالية أصبحت كل العيون علي. شعرت بنبضي يتزايد، لكنني استطعت أن أستجمع قواي وقلت بصوت بالكاد كان مسموعا:

"مساء الخير"

وكما هو متوقع، غير الميكروفون حدة صوتي بشكل صادم. تضرجتُ كُلي بحمرة الخجل. وفكرت أن أقول مازحا: "ماما تتوقع عروضا معينة منكم. لديكم جميعكم أمهات، لكن يمكنني فقط أن أتحدث عن طموحات ماما الشخصية" وغني عن القول، أنني لم أحاول أي شيء كهذا. رأيت هيلينا، أو بالأحرى لمحت قبعة زوجها البيضاء وعندها فقط رأيتها. هكذا إذن كانا هناك. كانت تلك هي المرة الثانية التي أكون فيها على المنصة وهي بين الجمهور. لم يكن باستطاعتي الفشل. كان يجب أن أبدأ في الحصول على انتباهها. الآن، من المنصة. هيلينا فقط قادرة على إلهامي وبطريقة محرضة.

لهذا أمسكت حماستي بكلتا يدي وقلت بصوت عالٍ:

"أعتذر عن عدم قدرتي على الحديث عن الأدب. الدبابات الروسية احتلت بلدي وأنا أنوي أن استغل تلك الفرصة لأخبركم كيف دمرت القنابل الروسية جورجيا"

Twitter: @ketab_n

بينما أتحدث بدا أنني كنت ألوح بيدي بالميكروفون، والذي أدى بدروه إلى أن تصل نتفٌ من صوتي إلى المستمعين.

"لطفا، توقف عن التلويح وضع الميكروفون أمام فمك" أخبرني الكاتب البرتغالي تاشيرا، الجالس على يساري: "لا يمكنهم سماعك"

التزمت بما قاله فورا.

"لطفا، أعد ما قلته"

وأطعت هذا أيضا، معيدا كلامي السابق كلمة كلمة.

الجمهور، ولم يكن ذلك من صنع خيالي، ظل صامتا.

قال مدير الندوة بابتسامة: "هل يمكننا أن نضع السياسة جانبا؟" الروسي الكبير رفع حاجبيه الأشعثين وكان ينصت باهتمام. وقد أصابه الفضول لمعرفة ما سوف أقوم به. لكنني نظرت باتجاه هيلينا – لقد كنت أحاول جذب انتباهها بإخلاص. ولم تكن قصصي كافية لهذا.

قد تنام معك الليلة إن لم تخفق في هذا، فكرت، قابضا على الميكروفون بكلتا يدي (اللتين كانتا ترتعشان بلا خجل) واستطردت بصوت أعلى:

Twitter: @ketab_n

"هذه ليست سياسة، هذا يخص حياة الناس . . . الروس قتلوا شعبنا المسالم . . . دباباتهم لا تزال هناك، في القرى الجورجية. أعتقد أن من غير الأخلاقي أن نسمي هذا أمرا سياسيا . . . لماذا نحن خائفون من الروس؟ لماذا لا يمكننا الحديث بحرية عن جرائمهم؟"

"مسيو زازا، مسيو زازا" قاطعني مدير الندوة. بدا اسمي كـ تسا تسا في كلامه. "هل تظن أن السيد فارلاموف خطير؟"

وصلت إلى الإجابة بسرعة:

"لا" لوحت بالميكروفون. "لم أقصد الناس عموما ولكن قصدت السياسيين الروس. ما علاقة السيد فارلاموف بالأمر؟ السياسيون هم من أرسلوا الدبابات إلى روسيا وليس الكتاب"

قال مدير الندوة بجدية: "لهذا دلالة كبيرة، لكن دعنا نتحدث عن بلدك الجميلة ومشاكلها لاحقا. لدينا العديد من الدول هنا ولو بدأ الجميع بالنقاش حول السياسة، لن يكون هناك مساحة للأدب"

"قناعتي هي أن الحياة الإنسانية أهم من الأدب ومن السياسة"

أردتُ أن أقول شيئا آخر، لكن ما حدث أنني قلت تلك الجملة المبتذلة كما يبدو. أدهشني وقوف الكاتب الكرواتي عن يميني في صفي: "الأدب لا فائدة له من دون تركيزٍ على الإنسان. الناس تفنى في جورجيا".

Twitter: @ketab_n

لكن مدير الندوة أصر: "لا، أعدكم أن أخصص وقتا لاحقا للحديث في السياسة، لكن ليس اليوم. لا سياسة اليوم"

فكرتُ أنه مثليٌّ ويحب فارلاموف. تمنيت أن يقف المستمعون في صفي، لكن لم ينطق أحد. كانت القاعة تشاهد بصمت. وفي الأثناء، نظرتُ باتجاه هيلينا ولم أر إلا ماسيك. كان مقعد هيلينا فارغا.

وممرّرا الميكروفون إلى دانوتا بروتشوروفيتش، السيدة الكرواتية، شعرت بإهانة وضعة كبيرتين.

"لا، لا، أرجوك" خاطبني مدير الندوة. "استمر في الحديث، لكن هل يمكنك أن تعود إلى موضوع النقاش؟"

قلت له: "لقد انتهيت"

"هل أنت متأكد؟" ابتسم لي.

"نعم"

نعم، أمقت أن يقاطعني أحدهم. شعرت بالبؤس لأن مقعد هيلينا كان فارغا. لم تكن لدي رغبة في الحديث عن الحرب والأخلاق. هل سيرون أنني خائن في جورجيا؟

Twitter: @ketab_n

أعرف أنني لم أكن مهذبا – ليس هذا مسموحا به في النقاشات والجدالات الأوربية – لكنني لم أستطع المكوث في مقعدي. كنت قد شعرت بالكثير من القلق وكنت منهك القوى. آلمتني مفاصلي من الشد العصبي.

كانت لدي آمال عريضة، بينما ما حدث أن هيلينا وجدتني مبتذلا! بهذه البساطة.

ليست لدي أدنى فكرة عمّن تحدث بعدي وما تحدثوا عنه، فقد كنت منشغلا برد فعلي الهيستيري. الأمر الوحيد الذي أذكره بوضوح هو جملة قالها كاتب تشيكي عجوز: "أبي، سيداتي وسادتي، كان مهرجا" وعلى أي حال فإنني لا أذكر ما هي علاقة تلك الجملة ببقية حديثه وكيف ارتبطت بنقاشنا. كان من الصعب تخمين أي لغة تحدث بها. إيليكو أعطاه لقبا مناسبا "متحدث لغة العفاريت". كان من الواضح أيضا أن التشيكية ليست لغته الأم. فقد استعان بالألمانية والإنجليزية أحيانا، لكن طريقته في نطق تلك الكلمات المألوفة سهلة التذكر كان سيئا. تماما كما يتحدث الجن والعفاريت في الحكايات الخرافية: تروك، كراخ، كروكت. بالرغم من ذلك فقد كان رجلا لطيفا وطيبا للغاية. وحدث بعد النقاش أن اقترب مني وقال بنبرة عفريت نبيل منهك ومسن:

"Ich liebe zer Gruzia"

Twitter: @ketab_n

في طريقي إلى الخارج ساندني ماسيك:

"لم يكن يجب أن تتوقف. لقد كنت في غاية الحسم. أظنك توقفت لتجنب الفضيحة. لكنه كان جيدا، أحببته"

كنت على وشك سؤاله لماذا غادرت هيلينا القاعة إن كان كلامي جيدا.

"وجه ذلك الروسي كان مضطربا للغاية. لم يتوقع شيئا كهذا" ضحك.

"لم أقصد أن أجرحه. لقد أردت فقط الحديث عن الحرب، ولا شيء آخر" حاولت أن أبرر نفسي.

"هل لاحظت كيف دافع عنه ذلك الشاب؟ مثل أم مهووسة بطفلها" كان يقصد مدير الندوة. "عندما ينقد أحدهم الروس، فإن الفرنسيين هم من يبالغون في ردة فعلهم. طوال حياتي وأنا أحاول أن أجد تفسيرا لتلك الظاهرة بدون أي نجاح إلى الآن"

قلت له "يبدو أن الألمان يحبون الروس أكثر منهم"

"لا، الألمان يعانون من مجموعة من العقد. لا يمكن لأحد أن يخمن ما يخبئونه في قرارة نفوسهم"

Twitter: @ketab_n

كان حوارنا عاما للغاية وسطحيا بشكل ما. شعر كلانا بهذا. شكرت ماسيك لدعمه وتوجهن إلى إيليكو. كان على طاولة كبيرة يفحص الأكواب البلاستيكية باهتمام، مجادلا نفسه إن كان السائل بداخها يستحق الشرب.

"انتظر، لم أخبرك بالشيء الأهم، هل كتبت أي شيء عن تلك الحرب، بودي أن أترجم ما كتبته"

"عن الحرب الروسية الجورجية؟" كنت منهدشا بحق.

"نعم، لكن لا أقصد مقالا. أنا مهتم بالسرد."

"أظن أن لدي شيئا" كذبت عليه: "أنا أكتب عن الحروب بشكل رئيسي"

"لا، لا، ليس الحرب العالمية الثانية. أقصد حربكم أنتم"

ضحكت قائلا: "نعم، أفهمك، الأمر أننا خضنا أربعة حروب في العشرين سنة الماضية في جورجيا. ولقد رقمت قصصي وفقا لهذا"

"وأنت نجوت منها كلها؟"

"الأولى كانت في وسط المدينة، حيث احترقت المنازل القريبة فقط. كنت أعيش في الضواحي في ذلك الوقت. الرابعة أرعبتني . . ."

Twitter: @ketab_n

"هل لديك أية ترجمات؟"

"نعم، العديد منها"

في الواقع، اثنتان فقط. قصة قد ترجمها أحد علماء اللغة الجورجية من أمريكا، والثانية ترجمها طالب جورجي. الثالثة عن القنابل المتساقطة لم تكتب أصلا.

"هل يمكنك إعطاءها إلي؟"

"بالتأكيد"

لم أعرف أن ماسيك مترجم.

"لستُ مترجما محترفا. (أها، لم يكن!) لكنني ناقد أدبي. لكني لدي إطار مشروع هام للغاية: تاريخ حرب القوقاز في عيون الكتاب."

"متضمنا شامل والروس؟"

"من؟"

"شامل... إمام شامل[10]"

---

10 الإمام شامل(١٧٩٧-١٨٧١): كان إمام الإمامة الإسلامية في شمال القوقاز وقائد المقاومة ضد الإمبراطورية الروسية حينها. (مترجم)

Twitter: @ketab_n

لم أصدق أنه لم يسمع عنه .

" لا ، لا . القرن العشرون فقط . حقبة ما بعد السوفييت " (إذا فقد سمع به .)

" هذا رائع . " شعرت بالراحة .

" إنه مشروع ضخم . لو أعجبتنا قصصك، سيتم نشرها في كتابنا "

كنت على وشك أن أقول له : " أرجوك، أخبر أمي بنفسك . يمكننا أن نتصل بها في التو "

" أوكي " هذا كل ما قلته .

" هل يمكنني أن أعرف بريدك الإلكتروني؟ " مد يده، وكفه إلى الأعلى، وسحب قلما عريضا من جيبه باليد الأخرى .

" هل سأكتب على كفك؟ " سألته بدهشة .

" تفضل . ليست لدي أوراق "

لا بد أن هيلينا أعجبت به لأجل ذلك الطابع المرح اللماح .

لم يكن بيدي إلا أن أكتب بريدي الإلكتروني على كفه المفتوح . ثم مشينا معا خارجين إلى الشارع .

Twitter: @ketab_n

كانت هيلينا جالسة على الرصيف. بشفتين حمراوين من شرب النبيذ الأحمر.

كانت ترتدي رداءً قصيرا بالكاد غطى رجليها بسبب الطريقة التي كانت تجلس بها. الأسوأ في الأمر أنها لم تكن ضامة رجليها معا، لذا، في اللحظة التي خطوت فيها إلى الرصيف، لم أستطع أن أرفع عيني عن فخذيها اللامعين، بل واسترقت النظر لما وراءهما، أعلى قليلا. في العمق المخفي. غريزة محضة. بشكل لا واعٍ تماما.

أخيرا لاقيت عينيها.

أعتقد أنها خمنت اتجاه نظري.

ثم – وأستطيع أن أقسم على ذلك – ردّت بابتسامة.

Twitter: @ketab_n

١١ أكتوبر. باريس.

سأستكمل الجزء الثاني من مذكراتي.

... أنا في باريس الآن. الألمان جمّعوا الكتاب من كافة أنحاء أوربا وأخذونا إلى مدن مختلفة بالقطار. المرة الأخيرة التي عبرت فيها أوربا بالشكل ذاته كان في ١٩٦١ . بابا المسكين كان في جولة مع سيرك براتيسلافا. بالمنسابة، اليوم، ذكرته في المناقشة الأدبية. فقد كنت أراه في أحلامي هذه الأيام ولم أستطع ألا أفعل. والطقس متقلب طوال الوقت. أن تحلم بالموتى يشير إلى الطقس السيء، أليس كذلك؟

لقد اعتدتُ أنا وإيرينا زيارة باريس مرة على الأقل في كل عام. ثم كان هناك توقفٌ بين العامين ١٩٦٨ و١٩٨٧ . كانت الحدود مغلقة، فقضينا الصيف مع آل دوبسيك. في التسعينات انفتحت الحدود ثانية، لكن إيرينا وقتها كانت قد فقدت كل رغبة في السفر. لا أعرف الكثير ممن لديهم الشجاعة الكافية للإقدام على الطلاق في سن ٥٨ . تركتُ زوجتي، ابنتي، حفيدتي، ونسيبي! التهريج يجري في دمائي، أليس كذلك؟ مقارنة بالنساء، فنحن الرجال نصير كهولا ببطء، لكننا نموت مبكرا. لهذا أفضل إمضاء الأعوام المتبقية كما يحلو

Twitter: @ketab_n

لي. لست أحد أولئك العجزة الأنانيين – لست خائفا من العيش وحدي والاعتناء بنفسي.

الكتاب هنا معظمهم غضّ. لو لم أكن مخطئا فإنني والشاعر البلجيكي أكبرهم سنا. نظل معا – ليس عن سابق نية، لكن هذا ما يحدث. لستُ مهتما بشكل خاص برفقته مع ذلك. فأولا، تصدر عنه رائحة الدواء، وثانيا، لا أشعر أنني عجوز في الداخل – لست أقل شقاوةً من هؤلاء الصبيان. لولا شيبي وتجاعيدي، كنت أريتُ بعض هؤلاء "الرجال" كيف تكون رجلا. يبدو أنني والبلجيكي السويين الوحيدين. البقية يلبسون السراويل الجلدية، وهذه موضة المثليين، كما أعتقد.

قرأت اليوم جزءًا من يومياتي. الجزء حول فقدان أبي لأنفه الأحمر في سيرك موسكو. للأسف، القليلون جدا فهموا الاستعارة. دانوتا بروتشوروفيتش، الكاتبة الكرواتية، مدحت لغتي. لغة النص ولغتي التي أتكلمها. قالت أن ألمانيتي أصيلةً وجميلة. كنت مندهشا بشكل ممتع . . . لم أتحدث الألمانية منذ الحرب. لم أظن أنني سأتذكر أي شيء من دروس السيد فرازيك! بحق يسوع، كم مرت السنون! يا للرجل المسكين، لا بد أن عظامه تبددت الآن.

Twitter: @ketab_n

المكان جيد هنا، إلا أنه يصبح مملا قليلا في الأماسي. أظن أن القطار أكثر متعة. غرف الفنادق مريعة، لكن في القطار، لا يمكننا "الاختباء"، هكذا نُضطر إلى التواصل مع بعضنا.

لقد أثر البلجيكي علي بشكل سلبي: أشك في أنني أيضا تفوح مني رائحة الدوء. لهذا السبب قللت جرعاتي. توقفت عن تناول مضاد الكوليستيرول، والديجوكسين، والجوداسال. لا أزال آخذ ذلك الذي يبقي ضغط دمي منخفضا. لا أظن أن دواءً واحدا سيجعل رائحة المستشفى تفوح مني. كما هي الحال، يتجاهلنا الناس، نحن العجزة، لهذا لا أظنني سأعطيهم أسبابا أخرى لذلك. نحن معاقبون من الأعلى . . . ألم أكن أهرب من السيد لودفيك بالطريقة نفسها؟ العجوز كان يتوق للحديث إلينا، لكننا شعرنا بالملل منه. لا بد أن الكثير كان لديه ليقوله. كان هناك في سارايیفو عندما قتل طالبٌ الأرشدوق فيرديناند . بكلمات أخرى، كان شاهدا على بداية الحرب العالمية الأولى.

أتساءل إن كان زملائي سيحزنون لو متُّ في القطار. أشعر بالفضول حيال ردة فعلهم. لكنني أفضّل أن يموت البلجيكي وليس أنا، كما أود لو كنت حاضرا وهو يموت.

أكتب أشياء حمقاء . . .

Twitter: @ketab_n

أنا في غرفتي، لا أعرف ماذا أفعل. كل القنوات فرنسية، مما يعني أنني لا أفهم كلمة واحدة. لو كنت أصغر بـ ١٥ عاما، كنت حتما غازلتُ دانوتا بروتشوروفيتش الكرواتية.

يكفي عبثا. سأعود إلى المذكرات:

"في ١٩٥١ انتقلنا من براغ إلى كارلوفي فاري. بابا كان يعاني من فشل الكبد وكان يحتاج لعلاج طبي منتظم. كنت أخطط لدراسة الفيزياء والرياضيات في الجامعة. لم يكن لدي وقت للحب، لكن القدر قرر شيئا آخر. آل نوفاك كانت لديهم ابنةً – إيرينا. رأيتها للمرة الأولى في حمامات السباحة العمومية المركزية في كارلوفي فاري. كانت تساعد أبيها، السيد نوفاك، على الخروج من حوض السباحة. لم أعرف آنذاك أن بعد سنوات ستحمل هاتين الكتفين عبء عائلتي "الغريبة" . . .

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

٨- موتى باريس

في الصباح أخذوا بعضنا إلى بير لاشيز، مقبرة باريس القديمة.

أيقظني إيليكو قائلا:

" هناك حافلة ستأخذ الناس ليروا موتاهم. هل تريد الذهاب؟ "

كنت أريد ذلك. لم يأتِ معنا. فقط أعلمني بالأمر، مضيفا أنه زارها.

" كم مرة من المفترض أن أحزن عليهم؟ "

ذهبت وحيدا. حتى زفياد لم ينضم إلي. كان يوفر طاقته للمناقشة فقد كان دوره ليخوض الاختبار. الجيد في الأمر أن هيلينا كانت في الحافلة، تتحدث إلى أليف الأزيري. كانت ترتدي معطفا أحمر مضادا للمطر وبيريه أزرق. وقبل أن أجلس على مقعدي اختلست نظرة إلى رجليها المنحوتتين.

Twitter: @ketab_n

بمجرد جلوسي، استدار إلي كاتب شيشاني (كان يجلس أمامي). بدا ودودا بشكل ليس طبيعيا.

قال مبتسما: "استمعت إليك بالأمس". حتى حينها لم نكن قد تكلمنا. "كم عمرك؟"

كان سؤالا غير متوقعا.

"أنا؟" بدوتُ مترددا. "ثمانية وعشرون"

"كان يجب أن تكون أكثر حماسا. كان باستطاعتك إغضاب الروسي والربح"

إذن فهذا ما استمتع به.

قلت له: "ليس ذنبه أنه لا خير يرجى من رؤسائه"

قال ضاحكا: "نعم" ثم استدار بعيدا. بدا انتهاؤه من الحديث مفاجئا فقد ظننتُ أنه سيسأل المزيد من الأسئلة.

لم أكن متأكدا مما عنته "نعم"

البير لاشيز هي مدينة الموتى التي تعود إلى القرن التاسع عشر. القبور تبدو كالقصور العتيقة. المقابر كلها مقسمة إلى قطاعات وشوارع ومرقمة، مما يعني أن كل الموتى لديهم عناوين.

Twitter: @ketab_n

سلمونا خريطة المقابر عند المدخل.

ألقيتُ نظرة سريعةً على الأسماء:

ديلاكروا

لا فونتاين

موليير

موريسون

وايلد

شوبان

والعديد من الآخرين، المشهورين وغير المشهورين نسبيا. أو من كانوا مشهورين في وقتٍ ما ثم نسوا تماما.

قبر أوسكار وايلد كان مغطًّى بعلامات القُبَل. المعجبون يحبون تقبيل قبر نجمهم. خبأتْ قبر شوبان كومة من الرسائل. يكتبون رسائل غرامية له. تناثرت على قبر جيم موريسون محاقن مستعملة. معجبوا موسيقاه يأتون هنا من أجل حقنة، ويتركون محاقنهم بدلا من الزهور.

"لم أكن لأدفنه هنا" أخبرني كاتب القصص البوليسية إلدار أليف، "هذا مهينٌ للموتى الآخرين"

Twitter: @ketab_n

ابتسمت ولم أقل شيئا.

أضاف: "كنت سأنشئ مقابر خاصة بالمشاهير مدمني المخدرات"

قلتُ لسبب ما خفيّ: "اعتاد على الاستمناء أيضا"

ضحك قائلا: "لا، ادعى ذلك فقط"

ضحكتُ أنا أيضا.

كان رجلا مثيرا للاهتمام. أخبرنا في وقت معين أن له شعبية كبيرة في بلده أزربيجان، وكان مضطرا للتحرك برفقة حارس شخصي. من الجيد أن لديه ما يكفي من التعقل لئلا يجلب حارسه هنا. بل إنني شككتُ في أن يكون الكاتب الحقيقي للروايات التي ادعى كتابتها. إيليكو أيضا كان يشك، قائلا أنه ربما احتفظ بطاقم كامل ممن يكتبون له. قام فقط بتذييل الكتابات بتوقيعه. على أية حال، في مناسبة أخرى كشف حقيقةً غريبة أخرى عن نفسه:

"عندما أكتب، دائما ما أنزع ملابسي يجب أن أكون عاريا عندما أجلس للكمبيوتر الخاص بي"

فقط كاتبٌ حقيقي يمكنه التصريح بذلك. بيروقراطي حزبي سابق لا يمكنه أن يحلم بتصريحات شخصية تفصيلية كتلك.

Twitter: @ketab_n

تمشينا بين القبور، باحثين عن أولئك الذين اعتبرناهم يستحقون الزيارة. كان الجميع ينظرون في خرائطهم.

كان المعطف الأحمر المضاد للمطر والبيريه الأزرق في مجالي البصري طوال الوقت.

كانت هيلينا تسبقني أحيانا، وتلحقني في أحيان أخرى، لكنها لم تكن بجانبي أبدا. وبشكل رئيسي كان علي أن أقنع برفقة أليف.

ثم توقفنا عند ميدان صغير - شوارع الموتى تلاقت عن تلك النقطة. قررنا، أو بالأحرى هم من قرروا، أننا سنتجول كل على حدة ونلتقي بعد ساعة عند المدخل.

قررتُ فورا أن أتبع هيلينا.

لم تكن لدي خطة محددة، فقط طاوعت غريزتي من دون أثر للشك أو الخوف. أعجبتني ولم أجد في ذلك أذًى لأحد. أصبح ماسيك صديقي إلى حد ما، بل إنه نوى أن يترجم قصصي. لم يكن معي أحد، لا يسيطر علي أحد. هيلينا كانت جميلة - مؤخرة رائعة، لكنني لم أكن أنوي فعل أي شيء (ما الذي يمكن فعله؟). مهنتي كانت أهم من تلك المؤخرة - ترجمة ماسيك كانت ستجعلني مشهورا في أوربا.

Twitter: @ketab_n

لهذا تبعتها بجرأة. أنا منعدم المسئولية، لن أبادر مهما كان – مهما حدث، هكذا فكرت.

وطيلة الوقت عرفتُ تماما أن شيئا لن يحدث. لا شيء يثير القلق. ظل المعطف الأحمر المضاد للمطر يتمشى بين القصور الرخامية، هنا وهناك. كانت هيلينا تقطع طريقها بين ملائكة حجرية وإلاهات إلهامٍ باكية. كل شيء كان رائعا باستثناء معطفها.

بالنسبة لي كان الأمر يشبه أن تكون داخل الفيلم السوفييتي القديم داريكو. أبيض وأسود. فقط العلم البلشفي أحمر. يلمع أحمر في الفيلم القديم الأبيض وأسود.

توقفت هيلينا عند أحد القبور.

اقتربت منها بتؤدة، نظرنا لبعضنا.

لم يكن من قبيل الصدفة أنني تذكرت فيلما قديما – كنا واقفين عند قبر تشارلز تشابلين. لكن ليس الممثل المخرج الشهير. مجرد تشابه أسماء. مات في القرن التاسع عشر. لا يمكنك ألا تأسى إلى حاله – فقد عاش، وعانى، ودفن في بير لاشيز فقط ليتم الخلط بينه وبين آخر.

كنت على وشك أن أشاركها أفكاري، لكن هيلينا أدارت ظهرها إلي ومشت ناحية أثرٍ يشبه الكنيسة الصغيرة.

Twitter: @ketab_n

لم أعرف ما الذي عليّ فعله: أتبعها أم أمشي بعيدا. في النهاية قررتُ أن أتبعها. كرهتُ فكرة أن أواجه هزيمة في مرحلة مبكرة من هذا الصيد.

توقفت عند القبر، واستدارت فجأة ومشت باتجاهي.

المشية كانت نشطة للغاية حتى أنني شعرت بالحيرة، كان من الصعب علي أن أصدق أنها آتية نحوي. وقر في قلبي هاجس وسخ.

لم تنظر إلى عيني، نظراتها استقرت على نقطةٍ أسفلهما.

قالت: "لا تعجبني مسألة أن تراقبني"

أتذكر صدمتي البحتة، لم أتوقع تلك الكلمات ولا تلك النبرة منها.

"أراقبك؟" سألتها.

"نعم، وتنظر إلي. بطريقة غريبة. لا تعجبني هذه الطريقة على الإطلاق. أردت أن أخبرك بالأمس، بعد حديثك، لكنني ظننتُ أنني ربما أتخيل الأمر برمته"

"هل أنت جادة، أم أن هذه مزحة؟" استطعت أن أقول ذلك.

"جادة للغاية يا زازا" قالت، ناظرةً إلى الأرض ثانية، من دون أن تنظر في عينيّ أبدا.

Twitter: @ketab_n

كانت تلك لحظات مريعة.

كان خطأي مرة ثانية، غلطاتي، زلاتي . . . كان كابوسا، هل كانت مصابة بالبارانويا؟ بل أنني في تلك اللحظة تحديدا فكرت أنها قبيحة.

"أنا آسف" تمتمت.

"أرجوك لا تعتذر. فقط توقف عن التحديق بي. هذا لا يحتمل. الآن رأيتك تتبعني، مما أصابني بالقلق. لا يعجبني ذلك. في تلك الليلة ساعدتني حقيقةً وأنا شاكرة جدا . . . آسفة"

إنها مجنونة. فجأة أدركت أنها مجنونة وأشفقت عليها. أدرت فكرة في رأسي مفادها أن أزعجها أكثر بقول: "هيلين، أنت أكثر امرأة رأيتها جمالا وإثارة ولهذا أحدق بك" ثم أختفي بين القبور مثل شبح الأوبرا. أما ما حدث هو أنني اعتذرت مرة أخرى وجررت خطواتي نحو قبر تشابلين المغمور. لا بد أنني كنت مثيرا للشفقة: معتوها يجر أذيال الخيبة.

لم يكن الأمر بالسوء الذي يبدو عليه. لقد انتهى من قبل أن يبدأ. سيبقيني هذا هادئا.

ما ساعدني في أغلب الوقت هو تفاؤلي اللا نهائي – كان علي أن أترك الأمر خلفي وأمضي، وإلا، لو ظللت أفكر فيه، فسيؤدي بي إلى

Twitter: @ketab_n

مزاج سيء، وكآبة، بل وحتى إلى الاكتئاب. ثم سأكره كل شيء وأعود إلى بلدي. لم أكن بهذه التعاسة ولم يحطّ أحد من قدري بهذا الشكل منذ طفولتي. وكأن كل أساليب الإهانة قد تم استخدامها في وقت واحد: صفعة على الوجه، ركلة في المؤخرة، بصقة على الوجه، دلو من الماء البارد، والاستهزاء . . .

شعرتُ أنني أخذتُ علقةً ساخنة.

"كان أمرا رائعا!" حياني أليف بينما أصعد إلى الحافلة. "قبورنا مختلفة جدا، خالية من أية روحانية. القبر يبدو كالمرآب عندنا، لكن هنا، فهي رفيعة المستوى! يا لجمال العمارة، يا لجمال الأسلوب! هل تجدها بهذا الجمال أنت أيضا؟"

قد تهدئ محادثة من روعي، فالجلوس صامتا سيقود أفكاري حتما إلى هيلينا. وهكذا أعطيته وصفا تفصيليا خياليا لولد جورجي مدفون في العسل. والد غنيّ بنى أثرًا يشبه الصاروخ لابنه الميت، وملأ التابوتَ الزجاجي بالعسل ووضعه في الداخل، فالعسل فقط (وليس المرق ولا الصلصة اللاذعة، ولا أي مما يستخدم في الطهي) يستطيع أن يحفظ جسدا من التحلل. وبالمصادفة، فإن هذا الضريح الطبخي على جانب الطريق السريع، مما يجعل تجاهله أمرا مستحيلا.

Twitter: @ketab_n

"نعم، لدينا شيء مشابه" قال أليف، "عندما يوضع الموتى في الأرز المطبوخ"

العالم يمنحنا قائمة لا نهائية من المواضيع للكتابة عنها. أنا متأكدٌ أن حكاية الميت العسلي ستبيع جيدا في السوق الأدبية الأوربية. تستحق أن أعطيها فرصة أخرى. على أي حال، لم نتحاور أنا وأليف، فقط جلس كل منا في مقعده وانتظرنا أن تعيدنا الحافلة إلى الفندق.

بعد برهة قصيرة صعدت هيلينا أيضا.

نظرتُ من النافذة. أردتُ أن أشدد على أنني لا أعبأ على الإطلاق وأنني توقفت عن التحديق. وكأنما عن قصد، اختارت المقعد المقابل لي على اليسار. قدمت لي النافذة انعكاسها الرائع. أعتقد أنها كانت تنظر إلي. وحاولت بكل قوة ألا أنظر إليها، ولكن حينها، وقد عدمت القدرة على مقاومة الإغواءِ، نظرت حولي، وكأنني أشعر بالملل.

ولدهشتي، ابتسمت لي.

فكرت إنها تسخر مني.

Twitter: @ketab_n

ما الذي كان علي فعله؟ لم أستطع أن أتظاهر بأنني لم ألاحظ وردت بابتسامة. فكما قلت، أنا ضعيف.

استعادت هيلينا جاذبيتها في التو. وأعجبت بها مرة أخرى، عادت آمالي، مع إحساس بالقلق. كم كانت حالة اليأس مطمئنة.

في ذلك اليوم كنت سأتأمل كلمات هيلينا وابتسامتها الملغزة لولا أنني شهدت فشل زفياد الذريع.

حقيقة أنه كان يشرب أصبحت واضحة بمجرد أن دخلت إلى صالة النقاش. لست واثقا إن كان السبب هو السُكر أم قلقه، فقد تفوه بحماقات لدرجة أنه وحتى هاينز المبتسم دائما، المؤدب كإنسان آلي، شعر بالانزعاج.

ما زلت لا أفهم سبب اختياره الروسية للحديث في النقاش. كان من الأفضل ألا يتفوه بكلمة على الإطلاق. كانت لغته مزيجا من الروسية التي كانوا يستخدمونها أيام إيفان الرهيب ورومانية العصور الوسطى(أشك في وجود هجين مشابه). لاحقا، وبّخ إيليكو رودي لعدم تزويده بمترجم جورجي، وقد اعتذر رودي قائلا أن زفياد كان من المفترض أن يتحدث الإنجليزية.

"لم نتوقع أنه وبعد أزمة جورجية–روسية سيتحدث شاعر جورجي بالروسية في النقاش"

Twitter: @ketab_n

لم أتوقع أن يتفوه زودي بملاحظة مخطئة سياسيا على هذا النحو.

المترجم ظلّ يطلب من زفياد المسكين أن يكرر كلامه:

"من فضلك قلها ثانية، لا يمكنني سماعك؟"

وكرر زفياد، محمر الوجه ومتعرقا، بروسيته المجنونة. لوح بذراعيه وصرخ، محاولا أن يحكي حكاية حرب أغسطس بالصوت والصورة، مستخدما كل شيء إلا الكلمات ليصف الكارثة. وناسيا حتى أبسط الكلمات، أخذ يذكر كتابا جورجيين كلاسيكيين، لا علاقة لهم بالموضوع على الإطلاق:

"روستافيلي ... فازها بشافيلا ... جالاكتيون ... "

فشل في توصيل أي شيء، لكن ما غلب عليه كان الكرب الذي استحق التعاطف. لم يمكنه أن يقول كلمة في النقاش. كان يبدأ، ثم يتوقف، ويلوح بذراعيه قائلا بالروسية: "لا، لا، آسف"

"تسيلان ... لدي ... بول تسيلان" ظل يكرر ذلك. بدا مصمما على جعلهم يعرفون أنه ترجم قصائد تسيلان.

الجزء الأخير كان حزينا بشكل خاص: فبدلا من الإجابة على سؤال مقدم الندوة، نهض واقفا وقال للجمهور بابتسامة عريضة:

"دعوني أقرأ لكم بعض قصائدي"

Twitter: @ketab_n

المقدم المتحذلق تماما مثل مدير ندوتي عارض مبادرته بقوة وطلب منه أن يعود إلى مقعده.

تحول وجه زفياد إلى الأحمر بشكل مُنذر. نظر في اتجاهنا طالبا المساعدة. بدّل اليأس حاله وكأنه ينتظر أن يطلق عليه الرصاص. شعرت بإحراج كبير وأشحت بصري. إيليكو، على النقيض مني، حدق فيه بنوع من السعادة السادية. بدا أنه يستمتع بمشاهدة شاعر جورجي في هذه الحال المؤسفة.

أظن أنه كان الشاعر الليتواني الذي صاح من مقعده:

"دعوه يقرأ قصائده! لسنا في مؤتمر علمي، أليس كذلك؟"

أتخيل إثارة زفيادة بهذه الكلمات لو كانت قد قيلت بالروسية. لكن الليتواني خاطب المقدم بالإنجليزية، ولم يدرك زفياد أن لديه مساند واحد على الأقل في القاعة. على أي حال، لم يقف أحد بجانب الليتواني. لم يهتم أحد بقصائده، وهكذا عاد زفياد إلى مقعده، بادية عليه أمارات شخص رُفِضَ للتو.

لم أنتظر أن تنتهي المناقشة. لم يمكنني أن أتحمل مشاهدة تعذيب ابن بلدي.

Twitter: @ketab_n

بعد مشي ثلاث ساعات عدت إلى الفندق. ظننتُ أنني كنت سأسأل عن زفياد، وأهدئه بأفضل ما لدي. لا يمكنك توقع الشعراء – قد يكون يشعر برغبة في الانتحار.

كم أنا ساذج . . .

كانوا يشربون في غرفته – الليتواني، راؤول ألداموف الشيشاني، وزفياد.

"راؤول مسلم، لكنه صديقي، سيشرب معنا" شرح لي زفياد.

كانت عيناه محمرتين. كنت خائفا من انحدار مزاجه القادم.

"أنا وفايتاس قرأنا قصائدنا إلى بعضنا. إنه رائع" غمز لي مبتسما إلى فايتاس.

قررتُ أن أغادر ولكنني ظننت أن هروبي سريعا سيكون خارجا عن الذوق.

زفياد كان مرتديا نعليه، وقد نجح في تحويل الغرفة المريحة إلى زريبة. كان يظهر كرما عدائيا بشكل غريب تجاه ضيوفه. على سبيل المثال، أخبر راؤول أنه عليهما أن يتنافسا في تسمية الشعراء وعلى من يخسر أن يُعادَ تعميده.

في البداية لم نفهم قصده.

Twitter: @ketab_n

شرح لراؤول قائلا: "أقصدُ أنني لو خسرت، سأصبح مسلما، لكنك إن خسرت أنت، سيتم تعميدك مسيحيا"

لحسن الحظ، كان حس دعابة راؤول عاليا. ضحك بينما توترتُ أكثر، أصر زفياد وقال:

"مرتعب؟ ألست كذلك؟ تعال إذن نعدد ما فعله الله وما فعله ربي. لنكتشف أيهما أكثر جبروتا لنحسم هذا الأمر!"

"أنا ملحد" قال فايتاس العملاق الطيب، "جدتي هي إلهي – لقد حاربتْ بجوار النازيين. وكانت تكره ستالين"

"أوه، أرجوك يا فايتاس، لا تسئ إليه!" اعترض زفياد بشكل درامي.

استدار فايتاس إلي بابتسامة وقال: "هل هو معجب بستالين؟"

أجبته: "فقط كشاعر"

"لا يا رجل، كشاعر هو ليس إلا كومة خراء" كان هذا رد فعل زفياد على إجابتي. "لقد حاول تقليد إيليا تشافتشافادزه" ثم بدأ إلقاء قصيدة ستالين: "برعم الوردة، يا خلاني، تفتح بلطف . . ."

قلت محاولا المزاح: "لا توجد "خلاني" في النص، هذا تحسين أضافه هو"

Twitter: @ketab_n

"هل كتب دوداييف الشعر؟" أصر زفياد على مضايقة راؤول.
"كل ملوكنا، ورؤسائنا وحتى أعضاء مجلس الشعب، كانوا يفعلون"

كان تخميني أنه يتجه نحو شجار، يطلب الشجار ببساطة. كان يريد أن يتلقى ضربا إما من الشيشاني أو الليتواني. كان يشعر بالسوء. ويكره مقدم النقاش من كل قلبه، وكان على وشك إطلاق سراح شياطينه. كان ثملا وعليه أن ينفث سمّا متراكما! لو لم يضربه أحدهم سيذهب لاختلاق شجار مع إيليكو. سيهذر ويهين الشاب الجاهل بالأمر. كنت واثقا من السيناريو.

"قل لي يا راؤول" استدار ناحية الشيشاني ثانية: "هل تؤمن بإخلاص أنك بقتلك مسيحي سينتهي بك الحال في الجنة؟ هل يمكنك شرح ذلك؟"

تدخلت بينهما قائلا: "هراء"

"انتظر يا رجل" أوقفني قائلا: "دعنا نحظى ببعض الوضوح لنحسم الأمر"

"الصليبيون هم من اخترعوا تلك الأسطورة، من غيظهم"
ابتسم راؤول. "دعاية سوداء"

Twitter: @ketab_n

"من؟" ارتفع حاجبا زفياد. "لقد ساعدنا الصليبيين في القرن الثاني عشر أو الثالث عشر؟ صحح لي يا زازا لو كنت مخطئا" طلب مني بعيونٍ شديدة الاحمرار.

"لست مهتما" قلت مقررا المغادرة

"نعم، لكنهم يقولون أنه لو قتل مسلم مسيحيا، فإنه سيحصل على جيش من جميلات الجنة. أليس هذا صحيحا! اقتل صليبي واحصل على مصّ قضيبٍ أبدي . . . نشوة محضة . . . "

بينما يقول هذا أمسك بخصيتيه وحك عانته بشكل لا إرادي.

"لا أطيق العذراوات" كشر فايتاس.

"هل تريد أن تناقش شؤونا لاهوتية في قلب أوربا المتقدمة بهذا الشكل؟" قهقه راؤول.

كان قلقي بلا داعٍ فقد كان قوقازيًا متحضرا للغاية. كان الجنوبي زفياد من بدا متوحشا. في الحقيقة لم يتبنّ موقفا سيئا تجاه راؤول، ولا أساء إلى دينه (لم يتعد جنونه إلى هذا الحد) كل ما أراده كان لكمةً في مكان مؤلم للغاية. لو أن ألمانيا كان في مكان راؤول، كان زفياد بالتأكّيد سيقول شيئا من قبيل هايل هتلر! لمجرد مضايقته وإحراجه. أو كان سيهاجم المثلية الجنسية في حضور مثليّ مسكين. كان سيعترض

Twitter: @ketab_n

بسهولة على تقليد ياباني ما في وجه ياباني يحترم نفسه بشكل مرضي ويمتلكَ تاريخا في محَاولات الانتحار.

عندما نهضت لأغادر، أمسك زفياد ذراعي بسُكْر ولكن قبضته كانت ضعيفة.

طلب مني قائلا: "لا تذهب ... ابقَ ... يمكننا الحديث!"

كان من الواضح أنني لم أنتوِ المكوث هناك.

"أنا أيضا سأغادر" قال راؤول تابعًا إياي.

صرخ زفياد في ظهورنا: "لا تزالون السوفييت نفسهم، لا خشية من الله!"

"إنه شخصٌ طيب" أخبرني الشيشاني ونحن ندخل إلى الممر.

"نعم ولكنه يكون صعبا حين يسكر"

"لم تر السكر بعد" قال بابتسامة.

لم أحب الجملة بالمرة، لا ابتسامته، ولا، علاوة على كل شيء، نبرته ... كان هناك شيءٌ شيشاني تماما في أسلوبه.

ودعنا بعضنا عند المصعد.

Twitter: @ketab_n

سكر زفياد وغرفته ذكراني بجورجيا. تذكرت أنني عشت حياتي بين أناس عدوانيين للغاية، لذا فإن السكينة الحالية لن تدوم. هل حقا كنت على وشك تبديل رأيي في المجيء إلى هنا! كنت نافرا من الحركة وخائفا من التغيير. لكنني الآن أرتعد من فكرة العودة إلى الوطن. زفياد ذكرني بمعارفي وعائلتي المشغولين بمشاكلهم، بتليفزوننا النابح وسعاداتنا وتعاساتنا وبشعبنا الذي يتقاتل على الضحك ويرتعب من الحرب ويتخدر بحماقة الوطنية المحيطة به من كل مكان.

أحيانا ما أتساءل لمن أكتب؟ هل من سبب لأن تعني الأبراكادابرا الخاصة بي شيئا لهؤلاء الناس؟ وزفياد، لمن يكتب زفياد؟ من هم قراؤه؟ زملاؤه هم من يقرأونه ربما، وبضع من البنات الناقدات الفنيات الصحفيات عالمات اللغة. وهن سيبقين مخلصاتٌ له حتى يتزوجن ويبدأن في الإنجاب.

لدينا كتابٌ مسنين أيضا، هؤلاء اللذين يطلق عليهم "السلطات الكلاسيكية الحية". فقدوا رتبة المنشقين الرسميين بمجرد أن زالت جورجيا السوفييتية عن خريطة العالم. وبشكل طبيعي أصبحوا تافهين، موجهين كراهيتهم إلى الشباب الغض مثل زفياد (أشكر الله أنهم لا يعرفونني)، لأنهم يؤمنون أن أمثاله سرقوا نجاحهم.

من العادل أن أقول، أن الكتاب المحترمين، مثلنا، بدأوا في استخدام "طيز" و"أنت يا خرم الطيز" و"أنيكك" في كتابتهم (لا

Twitter: @ketab_n

يزالون يتفادون "الزب" و"الزبر" لكنهم سينتهون إليهما أيضا). يعتقدون أنهم سيستعيدون شهرتهم المفقودة ومجدهم باللجوء إلى تلك الفظاظات الرخيصة. وبين جميع الكتاب، فإنني أشفق على هذا النوع. قد يبكي المرء وهو يقرأ عناءهم التعِس.

نعم، زفياد بالتأكيد شاعرٌ ممتاز ولكن لا يعرفه أحد ... يا للأمدية التي وصل إليها لكي يلاحظه أحد! بل أنه في أيام فتوته خطط لمنازلات مع حفنة من الشعراء أعداء المجتمع من أمثاله: بأصص مليئة بالخراء الذي يصدّر البخار ذهبوا إلى مبنى اتحاد الكتاب العتيق وبدأوا بإلقاء أشعارهم في هذا النتن الشعري. كان مقصودا من هذا أن يعتبر اعتراضا: أنتم خراء وقصائدنا ستكشف عن كنهكم.

لا عجب أنهم ضُربوا في التو واللحظة – زفياد ورفقته العبقرية. لم يعطوا فرصة ليقرأوا قصائدهم. من هاجمهم كان الكتاب. بشكل رئيسي في منتصف العمر. متسلقون قرويون، ومدبروا مكائد ودسائس يدعون أنهم كتاب فقط ليكونوا أعضاءً في الاتحاد – الديناصور السوفييتي النافق.

الفضيحة تم إذاعتها على التليفزيون.

هاجت أمي وماجت قائلة: "كيف يجرأون على أخذ الخراء إلى اتحاد الكتاب؟"

Twitter: @ketab_n

"إنهم خراء والخراء هو كل ما يستحقونه!" حاولت الدفاع عن شاعرٍ مغمور تماما.

في الحقيقة، لم أحب أصص الخراء ولا أحببت قصائدهم. لكنني كنت أمقت الاتحاد، لذا أخذت صفّ أناس غرباء عني تماما. الحقيقة الحزينة هي أن الناس عموما لم تهتم لا بالمَصير الأدبي لاتحاد كتاب الجودو ولا لحاملي أصص الخراء.

يا لها من لعنة أن تولد كاتبا جورجيا! لا يهتم أحد ولكنك تظل تكتب، مغتمّاً بموقفّ مواطنيك الذي لا يعبأ بك.

لعل أن تكون شاعرا أحسن قليلا من أن تكون كاتب نثر. فإنك لو كنت شاعرا تستطيع أن تحبس نفسك في غرفة فندق، تشرب كأساً أو اثنتين، تلدغ شخصا أو اثنين، ثم، يمكنك حتى أن تكتب بضعة سطورٍ شريرة.

لكن ما الذي يمكنني فعله؟ لقد أقلعت عن الشرب ولا يمكنني كتابة الشعر.

Twitter: @ketab_n

٩- بروكسل

غادرنا إلى بروكسل في الصباح. لم يكن لأحد أن يتباهي بمعنويات مرتفعة. كان مزاجنا مدمرا بلا أي أمل في التحسن بسبب الطقس السيء. كانت السماء تمطر بلا توقف. الحقول الخضراء التي نذكرها جيدا من الأفلام الفرنسية كانت رماديةً ومغمورة بالماء. في اللحظة التي غادرنا فيها المحطة، استكملوا الكتابة. كل رأس كانت منحنية على دفتر أو لاب توب. عندما تهطل الأمطار بالخارجِ وأنت مسافر بالقطار، تصبح مجرما لو لم تكن كاتبا. ماذا إذن لو لم يوفر لنا المنظمون قطارا جيدا لجولتنا؟ عليك أن تكون سعيدا بما لديك في هذا الوقت: ها هو المطر، وقطعة من الورق، وسياق أدبي بامتياز. ماذا عليك فعله غير أن تكتب؟ على الأقل شيء من قبيل المخططات الفلسفية أو المقالات التحليلية.

Twitter: @ketab_n

بالمناسبة، أنا أيضا شعرت برغبة في الكتابة (المرة الأولى منذ غادرت بيتي)، لكن اللوثة الأدبية التي أصابت زملائي دفعتني إلى التعاطف مع أهل العلوم الطبيعية . . . كل ما هنالك أنني لم أستطع أن أكتب في تلك الظروف.

زفياد المنكوش كان جالسا قبالتي.

خاطبني بسؤال جورجي كلاسيكي: "هل كنت أحمق لهذه الدرجة ليلة أمس؟ لا أذكر شيئا ملعونا واحدا"

"كنت كذلك" لم أخف عنه شيئا: "لقد شتمت الشيشاني"

"هل فعلت حقا؟" راح لونه.

"تقريبا"

"لماذا قد أفعل شيئا مشابها؟"

"لقد قررت تبديل ملته"

"لماذا لم توقفني؟"

"كنت أقوى"

"هل اعتذرت؟"

"لم يشعر بالإهانة"

Twitter: @ketab_n

"ماذا لو بدأ بانتقادي من الآن وصاعدا . . . "

"لا يمكنني أن أقول ذلك . . . "

"الجلسة أغضبتني حقا. الفرنسي ركل مؤخرتي"

"لماذا؟ أعجبتني" كذبت عليه.

أشاحني زفياد بعيدا لمحاولتي النيل منه. كان يتذكر كل شيء بوضوح.

سألته: "هل ضربك الليتواني يا ترى؟"

"فايتاس؟" بدا مندهشا. "لماذا قد يفعل؟ هل كنت فظا تجاهه أيضا؟"

"لقد شتمت كل الشُّقر عموما"

"حقا!"

"في سرك، لكنه عرف، أليس كذلك؟"

"يجبُ أن يحبسوني في مصح" تمتم ولكنني لمستُ كبرياء بدلا من الندم في نبرته. "عليّ أن أعتذر له. وللشيشاني أيضا. إن لهم قلوبا صحيحة. على خلاف هؤلاء الزومبي"

في تلك النقطة وصل إيليكو.

Twitter: @ketab_n

"أشعر بالغثيان" جلس نائحا. "إفطاراتهم كانت مريعة. لو نصل لألمانيا فقط، وقتها سأكون بخير"

ظل زفياد صامتا. عندما يكون إيليكو معنا، يحاول ألا يتحدث كثيرا.

بعد برهة قصيرة ظهرت إرميل في الكابينة. كانت هناك بثور وردية على جبهتها، لكن إيليكو ظل يجدها جذابة كما لاحظت.

"أهلا!" رحب بها مبتهجًا.

سقطت إرميل في المقعد الخالي، وسلمتنا مظاريف صغيرة وانطلقت في إنجليزية جيدة ولكن بلكنة ألمانية رغم ذلك:

"عليكم أن تشتركوا في مسابقة" ضحكت بصوت عال جدا لسبب ما، بشكل هستيري تقريبا. "كما تعلمون فإننا سوف نقيم ليلة سمر في برلين، لذا فإننا نطلب منكم مرة أخرى أن تكتبوا نصوصا قصيرة عن الجولة وتسلموها قبل أن نصل إلى هناك. يمكن لها أن تكون انطباعاتكم . . . قطعا نثريةً أو شعرية، كما تحبون. نود لهذه الرحلة أن تنعكس في شكل نصوص أدبية ونصوصكم ستنشر في كتاب. وبعض منها سيقرأ في برلين"

Twitter: @ketab_n

بدت إرميل كآليّ مرهق. من الواضح أنها اضطرت للذهاب لكل الركاب بطول القطار مكررة تلك الكلمات لكل واحد منهم. هاينز فقط قادر على إعداد عقاب بهذا الخبث. "حبذا لو حادثتهم جميعًا بشكل شخصي" تخيلته يقول ذلك. "لا أريد لطلبنا أن يبدو رسميا للغاية. لا بد أن نكون أكثر ودًا لأننا نريد أن نكسب ثقة الكتاب"

أوكيه، أيتها الإنسانة الآلية المسكينة والمرهقة، نثق بك يا إرميل! نعرف أن الغاصب الأدبي السياسي هاينز يعذبك وقلوبنا تدمى لذلك. بل وأشك في أن إيليكو معجب بك.

"وأخيرا، أخبار ممتازة" اتسعت ابتسامتها. "الأفضل بين نصوص المسابقة، والذي بالتأكيد سيتم اختياره من قبل هيئة محكمين خاصة، سينشر في مجلة سيمبليسيسيموس. بهذه الطريقة يكون لدينا حافز جاد"

"ما هذا؟" نظر إيليكو إلى المظاريف.

"تفصيل ما قلته لكم"

أومأ إيليكو كتلميذ نجيب: "أوكيه"

ضحكت إرميل ثانية – هذه المرة كإشارة إلى أنها ستغادر – ونهضت واقفة.

Twitter: @ketab_n

ابتسم كل منا إليها بطريقته الخاصة: زفياد بخنوع، وأنا بنفاق، وإيليكو بشهوة.

"ماذا قالت؟" نظر زفياد إلي.

أعدت كلماتها.

سألني: "هل هي مجلة جيدة؟"

"إنها فواحة كالنفثالين" أجاب إيليكو بدلا مني. "بمجرد أن تنشر قصائد هناك، سيعترف بك العالم المتحدث بالألمانية"

"ولكن ماذا عن الجزء المتحدث بالإنجليزية" حاول زفياد أن يمزح.

"هؤلاء يأتون لاحقا"

ثم صاح فينا:

"هيّا هزّا نفسيكما وابدآ الكتابة. قد أدفعكما إلى المحيط الواسع"

لا يمكنني التحدث عن المحيط، لكننا سرعان ما وصلنا إلى بروكسل. وكالعادة، استغرقنا وقت طويل في انتظار بعضنا البعض، ثم جررنا أقدامنا المتعبة إلى الحافلات وأمضينا وقتا أطول بشكل يصيب

Twitter: @ketab_n

بالاكتئاب لنصل إلى الفندق - نفس الوقت تقريبا الذي استغرقته الرحلة من باريس إلى بروكسل. اضطررنا للتوقف لخمس دقائق كاملة في كل إشارة مرور، وتلك الإشارات تكررت كل لحظة. تحركنا بسرعة الحلزون، الأمر الذي أصابنا بالجنون تماما. البعض سب، والبعض الآخر نام. أليف، على سبيل المثال، شد قبعته على عينيه، تماما كما يفعل سائقو التاكسي، وغطّ بثبات.

"خانه نومه" همس لي زفياد، "أظهر حقيقته"

من ظل مستيقظا منا كان متعرقا، متسخا، ومكتئبا تماما.

كان فندقنا في شارع جعلني أظن أننا كنا في دمشق. وجدنا نفسنا في بروكسل العربية. كان المدير يرتدي ملابس الراحل ياسر عرفات، وفي الشوارع كانت تمشي فقط نساء محجباتٌ تماما. حتى الماء كان لونه كذلك الذي تتوقع أن تراه ينزل من الصنابير في القاهرة أو دمشق. بنيّ مصفر. رغم ذلك، لم أيأس، فسرعان ما تذكرت الحكمة السوفييتية الشعبية: "دعها تتدفق قليلا، وستصفو المياه" كم عدد المرات التي شهدت فيها سائل مستنقعاتٍ يتحول إلى مياه حقيقية في حمامي الخاص.

حفرت المدينة نفسها في ذاكرتي بثلاثة أشياء: العرب، ميدان جميل، وحديث ممتع ما هيلينا.

Twitter: @ketab_n

لقد ذكرت بالفعل العرب والنساء المبرقعات. أما عن الميدان، فزفياد جعلني ألتقط عشرين صورة له على الأقل هناك. أراد أن يُرى هنا وهناك وفي كل مكان في جينزه الباهت المليء بالكسرات.

ثمّ توقف عند الفتى الذهبي الذي يبول، والذي اتضح أنه شعار المدينة وأعلمني بسعادة:

"سأقيم معرضا فوتوغرافيا في تبيليسي: تأليه غباء السواح"

تركته عند الفتى ذي المثانة التي لا تفرغ أبدا.

أنّ قائلا: "لا أريد أن أتوه"

شرحت بتفصيل دقيق كيف يمكنه العودة إلى الفندق وذهبتُ لأشتري سي دي.

لقد وعدت ع مغني الأوبرا أن أشتري له اسطوانتي أوبرا.

في الدفتر الصغير الذي احتفظت به لتدوين الجمل المثيرة للاهتمام، وحبكات قصصي المستقبلية والعديد من النتف والقطع التي قد تفيدني في الكتابة، كتب بنفسه: "اذهب إلى محل كبير اسمه FNAC (من السهل العثور عليه في كل مكان)، اذهب إلى قسم الموسيقى الكلاسيكية واشتر لي أوبرا لفيردي اسمها الرقصة بالأقنعة.

Twitter: @ketab_n

وأوبرا المهرجين، "تنطق بالياتشي ويؤديها بينيامينو جيللي". هو مجنون بجيللي لكن صوته مريع جدا - مشابه لصوت حمار الديك. أظنه مناسبًا فقط لغناء أغنياتنا التقليدية. كان من السهل حقا العثور على FNAC. كان المبنى يشبه مبنى السوبر ماركت الرئيسي في تبيليسي. حملني سلم كهربائي إلى قاعة الموسيقى الكلاسيكية الخانقة، الممتلئة بأصوات البيانو والكمان المكتومة.

كان هناك ولدٌ برأس حليق عند الكاونتر. اتجهت إليه والدفتر في يدي. وعرف في التو أين سيبحث عن الأوبرات، جاء من خلف الكاونتر ومشى باتجاه الرفوف المتراصة عليها أقراص لا حصر لها. كانت حركته مدهشةً في خفتها، وخطوته خفيفة بشكل مفاجئ، مثل راقصة باليه. وكان بنطاله مشدودا لأسفل وكاشفا عن الشق بين إليتيه.

سمعتُ صوتا مألوفا: "فيردي هُنا!"

كانت هيلينا. كانت خلف جبل من اسطوانات مكومة في منتصف القاعة. "هيلينا!" ناديتُ وذهبتُ إليها، لم أكن أعرف إذا كان من المفترض أن أقبلها أم لا، بكلماتٍ أخرى، هل لا أزال غاضبا منها؟

Twitter: @ketab_n

حملت عشرات من العلب نفس الكلمة: فيردي، فيردي، فيردي.

"ما الذي تبحث عنه؟"

"الأوبرات" أشرتُ إلى الاسم على العلب.

"نعم، سمعت الاسم . . . "

"ليس لي. زوج خالتي مغنٍّ في الأوبرا" ظننت أنه من الضروري أن أشرح لأنه، كالعادة، لم تكن لدي أدنى فكرة عما سأتحدث عنه".

كان في يدها اسطوانة، مما ساعدني، ولو مؤقتا.

"ماذا عنكِ؟" سألتها.

"شوستاكوفيتش، الرباعية رقم ثمانية" أجابتني.

"عظيم . . . "

ماذا يمكنني أن أقوله غير هذا؟ فشلت في التفكير في أي شيء أحسن من ذلك. لكن كان لدي بعض الوقت لأفكر: إنها مثقفة، من السهل أن أدردش معها. الغبيات أصعب كثيرا عندما يأتي الأمر للجنس.

فجأة، لمست هيلينا كمّ قميصي وقالت بابتسامة:

Twitter: @ketab_n

"في ذلك اليوم كنت حمقاء . . . إنني نادمة حقا . . . "

لم أتوقع شيئا من هذا النوع .

"متى؟" لعبت دور الأحمق .

"هذا اليوم، في بير لاشيز . . . كان مزاجي سيئا وحدث أنك كنت هناك . . . كما أنني فعلا كنت خائفة . لقد تبعتني مثل شرطي . . . آسفة على جرح مشاعرك . . . . "

"أليس من المدهش أنك تعتذرين لي منذ اليوم الذي رأيتك فيه "

أصبتُ منتصف الهدف . لم أكن بهذه الدقة والشطارة أبدا . أصابتني ضحكتها بالجنون . لم أكن قد سمعتها تضحك بهذه الطريقة أبدا : تجعد خداها واختفت غمازتاها . بدا الصوت كتنهيده عميقة أو شيء من هذا القبيل، وليس ضحكا بالمرة .

قالت : "لا بد أنك تظنني مجنونة "

"لا" شعرتُ بأنني أكثر شجاعة . الانسحاب كان سيعني الهزيمة التامة في هذه اللحظة . "لا بد أنك أنت من يظنني حمارا . صدقي أو لا تصدقي، لكنني تبعتك بشكل غريزي . من دون أفكار واعية، ثقي بي "

"وكنت تنظرُ إلى رجليّ" ابتسمت .

لم أصدق أذنيّ . كانت تقول أشياء مدهشة!

Twitter: @ketab_n

قلت: "ذلك غريزيّ أيضا"

ردّت: "رهاباتي هي مجرد غرائز أيضا"

ظننتُ أنني قد أقول أحد الأنخاب الجورجية: "إنه خطؤك أنني لا أستطيع رفع عينيّ عنك! لا تكوني بهذا الجمال وسأتوقفَ عن التحديق" بالطبع لم أقل شيئَا من هذا النوع.

قالت: "أنا أخاف من عيون الرجال منذ طفولتي"

"آسفٌ لذلك" كان دوري في الاعتذار. كنت قلقا بشكل عميق
– ماذا تراها وجدت في نظرتي؟

صاحت ضاحكةً: "توقف عن الاعتذار"

"الأشياء التي تقولينها لا تجعل بيدي خيار آخر" ضحكت معها. صاحب ضِحكي صوت صهيل غريب. ودلّ على إحراجي. أظن ذلك.

"آه" أشاحت بذراعها. "إنني أنا من يقول أشياء غبية، وهذا محرج للغاية... (لا تنظر إلي، لماذا تنظر إليّ).... وكأنني مصابة بالبارانويا"

لم يكن هذا من صنع خيالي: كانت قلقة.

Twitter: @ketab_n

فكرت أن ابتسم لها مرة أخرى، لكن الفتى الذي يكاد بنطاله أن يسقط ساعدني – عاد مسرعا كزوبعة وفي يده علبتان كبيرتان نسبيا.

"الرقصة المقنعة، والمهرجون" ابتسم ببرود. من الواضح أن المضيفات وعمال المتاجر لديهم نفس الابتسامات المصطنعة. هذا ما وصلت إليه في FNAC

قالت هيلينا: "حسنا إذن، أراك في الفندق"

"أو في القطار" أضفت.

بشكل ما أردت أن تبدو كل كلماتي ذكية.

استدارت هيلينا إلى كومة الاسطوانات. اشتريت القرصين المدمجين وغادرت. وبقيت أصوات الكمان والبيانو محبوسة في القاعة الزجاجية. ونوع آخر من الموسيقا تردد في مكان آخر من المتجر.

إنها تغازلني، فكرتُ هكذا بينما أخرج إلى الشارع.

كنت أواجه أزمة: لو ظللتُ أغازلها، فإنه من غير المحتمل أبدا أن يترجم زوجها، ماسيك، قصصي. وعليه، لن يمكنني أن أعود لأمي بـ "عروض خاصة" وجوائز وميداليات أولمبية أدبية.

الآن عندما أتذكر كل هذا يمكنني المزاح.

Twitter: @ketab_n

لم يمكنني الكتابة مع ذلك. أستطيع أن أذكر بوضوح. أكره الكتابة كما هي في ذاتها، ووفقا لتجربتي، أجد أنه من المستحيل أن أجلست لأكتب خاصة وأنا مسافر خارج البلاد. والنزول لأمرها هو شيء مهمّ في العملية. فكما تعلم، لو لم تجلس بشكل جسدي، وتغلق الباب، لن تنتج شيئا. ولكن كيف كان بإمكاني الجلوس بينما نحن نقاد كالقطيع من مدينة إلى مدينة؟ لم أكن من ذلك النوع من البشر الآليين الذين بإمكانهم الكتابة في أي مكان. بدأتُ في التفكير فيهم ككاتبي سيرك!

بمجرد وصولي إلى الفندق ركزتُ عقلي على ما طلبه هاينز. منذ وصولي، لم أجد بنفسي قوةً للكتابة. كان لدي (ولا أزال أملك) قصصا محتملة عديدة يمكنني أن أضعها على الورق، لكن ما في الأمر أنني لم أكن قادرا على التركيز عليها. لو أنك بدأت في الأمر، كل شيء سيكون سهلا (على الأقل التواصل مع الورق)، لكن بمجرد خروجِك عن الممارسة نفسها، يبدو كل شيء صعبا بشكل غير قابل للتحكم به. الحبكات التي كانت في رأسك تفَقد جاذبيتها ودلالتها، وتصبح الحياة نفسها رتيبة ومملة.

باعتبار كل هذا، أخذتُ عرضَ هاينز (الذي مررته إلينا إرميل) على أنه إشارةٌ جيدة التوقيت، ومسلحا بقلم ونوتة، استقررتُ في الحمام، الذي كان المكان الوحيد في الفندق حيث يمكنك أن تشعر

Twitter: @ketab_n

بالهدوء والراحة. فقد كانت الغرفة صغيرة جداً وغير مريحة لدرجة أن الطاولة الوحيدة كانت هي التلفزيون نفسه. أظن أنني يجب أن أكون شاكرا للعربي لأنه لم يجعلنا ننام على السجاجيد.

الكتابة لهاينز أيضا كان لها بالتأكيد فائدة أخرى: يمكنني قتل الوقت. كان ذلك مهما بشكل خاص فأنا لم أعرف كيف أسلّي نفسي. كنت قد قرأت كل الكتب التي أحضرتها معي، وبرامج التليفزيون التي شاهدتها كانت معدة لسكان كوكب آخر. وليس من أجلي أنا بالتأكيد.

بل إنني قبل أن أذهب إلى الحمام، عرفتُ ما الذي كان علي كتابته. كان علي أن أصف الليلة التي سقطت فيها القنبلة على تبيليسي. كان علي أن أروي كيف أنني وفتاتي استيقظنا وانتظرنا للنهاية قابضين على جوازات سفرنا. وكأننا كنا سنمنع من الدخول إلى الجنة من دونهما.

لكن في كل مرة كنت أحاول كتابة الجملة الأولى، كنت أرى هيلينا بعين عقلي.

لم أفهم إن كانت حقا غائبة العقل أم أنها مجرد مجنونة. في البداية أنبتني في المقابر لأنني أتبعها، ثم أعطتني تلك الابتسامة الغريبة في الحافلة، واليوم اعتذرت في متجر الاسطوانات.

Twitter: @ketab_n

بشكل أساسي، هل كان من المفترض أن أنظر إليها أم ألا أنظر إليها؟ كنت تائها تماما.

بسبب تلك الأفكار لم يكن باستطاعتي كتابة كلمة واحدة في حمام بروكسل. ولأكون دقيقا، بدأت ولم يمكنني الاستمرار.

كلمة "قنبلة" كانت الوحيدة التي برزت في عقلي. كنت قد عرفت بالفعل أنني سأستخدمها في جملتي الافتتاحية. بل إنني كتبت: "الروس قصفونا بالقنابل في أغسطس" لكنها لم تعجبني وتوقفت. لم أهتم لا بالقنابل ولا بجوازات سفرنا. كنت أفكر بهيلينا.

. . .

Twitter: @ketab_n

مسابقة أخرى . . .

كم أكره المسابقات . . .

سيسلموننا الجائزة في برلين. سيتم نشر العمل الفائز في سيمبليسيسموس

هل أكتب أم أتجاهل الأمر؟

لو فعلت، عمّ سأكتب؟

خيارات:

سياسي،

شخصي،

موضوعي – غير سياسي – توثيقي (قل مثلا، وصف القطار)

أم هل علي أن أكتب حكاية منفاي؟

صياغات للعنوان:

لماذا تم منعي من دخول كرواتيا؟

لماذا أصبح الكرواتيون غير مرغوب بهم في كرواتيا؟

Twitter: @ketab_n

كيف أثر انقسام الكنيسة في القرن الحادي عشر على كرواتيا: الكاثوليكية والمنفية دانوتا بروتشوروفيتش

هل يزداد المرء وزنا في المنفى؟

ماذا قد يجرح شعور الكرواتيين وما قد يجرحني؟

وطنان: كرواتيا وصربيا. وطن واحد: ألمانيا.

كاثوليكية أرثوذكسية من القرن الحادي والعشرين.

لماذا لا أطيق المسابقات؟

لماذا أستحق الجائزة وليس آخرين؟

صربيا المقيتة + كرواتية واحدة

هل علي إرسال تلك العناوين كمشاركة؟

لو اضطلعت بالأمر، يمكنني أن أتمها في ثلاثة أيام. سأبدأ الجمعة وأنتهي الاثنين. (عليّ أن أفعل لو أنني بدأت)

أنا في بروكسل. حضرت أربع ندوات. دوري في ألمانيا. أمدح الجميع. سعيدة كالأطفال. كم هم مثيرون للشفقة الكتاب الذكور! نحن النساء ضبعات. لهذا لا يتعاطف معنا زملاؤنا. مدحت التشيكي تيودور كوبيليك (قصته عن أبيه المهرج)، الجورجي تسفياد (لا أذكر اسمه الثاني . . . من أجل قصيدته عن الحرب) ، الإستوني أورماس

Twitter: @ketab_n

أودز (حكاية الغزال)، الروماني ستيفن إنيسكو (مقطع من روايته) والسويدي رولف إكلوند (قصيدة)

المظهر: -١٥-١٤ أحيانا ٣ وأحيانا صفر. مؤخرة إكلوند جيدة تقريبا. لا بد أن عمر التشيكي ١٠٠على الأقل. من الجيد أنه ليس مصحوبا بمرضته. تسفياد داكن البشرة، وغير حليق الوجه باستمرار، بجبهة مليئة بالبثور. الإستوني: عجوز سمين لا فائدة منه. الناحية الرومانسية: ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠!!!

الوسيمون: الصربي (الصرب ثانية!)، رودي الألماني (مثليّ لسوء الحظ)، تاشيرا البرتغالي (لكن قصير)، السلوفيني تادويتش (مؤخرة رائعة!)

المركز الأول: رودي، لكن(أكرر نفسي) مثليّ. أووبس!

أكلت (منذ ١٥ دقيقة كأفطار): بيض، سجق مقلي، سالامي، جبن، كعكة كرز، سلاطة فواكه.

فحصت الوزن: ١٠٥ كجم. في الصباح! ماذا سيكون وزني في المساء؟

Twitter: @ketab_n

سأخرج. علي أن أقابل ماري روجيه، والتركية سيبيل. سأترك بطاقاتي الإئتمانية في الغرفة. سأخذ حقيبتي فقط. يقولون أن السطو شائع في هذه الناحية.

انتهيت من كتاب هيلده أمس. الصفحات الأربعين الأولى دينامية للغاية، البقية: تلكؤ.

قيل لي إنّ المجري، والبلغاري، والروسي الأبيض، لهم أعمال منشورة في النيويوركر. لدى أحدهم الموهبة. أشعر بالفضول.

اليوم سأختار كاتبا شابا مسكينا لأمدحه. الشباب يحتاجون المديح.

هذا يكفي. سأبدأ حمية في فرانكفورت. إنني أصيب قرائي بالإحراج.

يا إلهي، أنا أكسل من أن أكتب . . . . خاصةً من أجل المسابقة!

Twitter: @ketab_n

١٠- فرانكفورت

لم أكتب سطرا واحدا في بروكسل. لم يساعدني في ذلك لا الجلوس في الحمام ولا جائزة إرميل الموعودة. كل ما حدث أنني لم أستطع التركيز. كل ما كتبته بدا سطحيا، غامضا، وسوقيا.

هزيمة مدويةٌ أخرى لكاتب جورجي في أوربا . . .

اتجهنا إلى ألمانيا في السابعة صباحا، وقد خططنا إلى الوصول إلى فرانكفورت بمنتصف النهار. تم أخذنا مباشرة من المحطة إلى بوخمسه، أو سوق الكتب الدولي، حيث كان هاينز ورودي سيقدماننا إلى صحفيين وناشرين. وكما هو متوقع فإن إيليكو بدأ بالنواح بسبب هذا:

" ألم يكن من الممكن أن ننال قسطا أطول من النوم؟ لماذا لا يأخذونكم ويتركوننا لحالنا؟ "

Twitter: @ketab_n

ما عناه بـ "نا" كان المرشدون المترجمون الآخرون من نوعية إيليكو المنوط بهم مرافقة الكتاب.

على أية حال، بمجرد أن اتضح أننا سيتم استقبالنا من قبل الحائز على جائزة نوبل آيا أكونادال، توقف عن الاعتراض فورا:

"أشعر بالفضول يال ما يقوله" أخبرنا. "لقد كتب كتابا جيدا . . . فيه نمور"

كنا في حاجة إلى النوم. عيوننا ووجوهنا كانت متورمة. الكرواتية دانوتا بدت بائسة بالخصوص: هذه السيدة السمينة، المحبوبة، الانفعالية للغاية.

"أحب النوم" اعترفت. "طالما كرهت الاستيقاظ مبكرا، منذ أن وعيت على الدنيا. هناك أمم لا تطيق الصباح، تلك التي تعود إلى الحياة فقط في الليل: تماما مثل مصاصي الدماء . . . لست كرواتية قحة في هذا السياق. الكروات هم قوم صباح. كان لا بد وأن أولد في إيطاليا . . . ماذا عنك؟"

فقدت التركيز لحظيا ولم أستطع الإجابة.

أجبت: "أعتقد أننا قوم ظهيرة، جورجيا تستيقظ حوالي منتصف النهار"

Twitter: @ketab_n

"فهمت" كانت تنصت بجدية: ظننت أنها قد تضحك، لكنني أنا من ضحك على مزحتي. كما يبو فإن الكروات لا يشعرون بالرغبة في الضحك في الصباحات.

بمجرد أن غادر قطارنا المحطة، أتى فاليري بوشكوف، الملقب بالروسي الصغير إلى كابينتنا.

كانت تلك هي المرة الأولى التي يتحدث إلينا فيها منذ بداية الرحلة. لقد ترك انطباعا بالنزاهة الشديدة والامتعاض العميق. كانت سياسة الكرملين هي ما دفعه إلينا.

"لن تكن لدي أدنى فكر عن أنكما لم تحصلا على التأشيرة الروسية" أخبرنا. "إنه حقا لأمر خسيس ألا تمنحا حق الدخول إلى وطني!"

"الحرب" قال إيليكو واضعا الكثير من الدلالات في الكلمة.

"نعم، لكن ما علاقتكم أنتم بها؟ لم تحاربا شخصيا فيها!"

كانت قد مرت ثلاث سنوات منذ أن بدأت روسيا في منع الجورجيين من الحصول على تأشيرات الدخول (هذه العقوبة طبقت من قبل سلطاتهم). كان من المفترض أن يكون زميلنا قد سمع عن هذا.

Twitter: @ketab_n

"نحن صمّ وبكم" جلس بين زفياد وإيليكو. كان يرتدي صندله الدائم وجواربه بلون الكاكاو. "لم نعرف شيئا عن هذا! اكتشفناه بالصدفة ... كوليا مرتاعٌ أيضا. سأكتب خطابا اليوم. يجب أن يوقعه كل الكتاب! سأضعه على الإنترنت"

لم نقل شيئا. قبل أن نغادر تبيليسي تم إخبارنا أننا لن نرافق الذاهبين إلى روسيا، لماذا علينا أن نقوم برد فعل الآن؟

"ماذا ستفعلون حيال ذلك؟ سنذهب وتبقون أنتم؟" سأل بعطف كبير.

"سننتظركم في فارسافي!" صاح إيليكو بحماس. مرة أخرى، وضع الكثير من المعاني في "فارسافي": كراهيته للتلكؤ، انزعاجه من إيقاظه في السابعة، كراهيته للسياسيين الشوفينيين، استعصاء الدخول إلى كيان إرميل الفزيولوجي، والله وحده يعلم ماذا غير ذلك. أساسا، فقد اعتبر كل شيء جديرا بالصراخ عنه. نطقه البولندي لوارسو كان قد تم اختياره عن عمد للتعبير عن احتقار العالم.

"ألا يستطيعون فعل أي شيء؟" لا بد أن الروسي الصغير كان يقصد المنظمين. "إنهم أقوياء للغاية، لو أنهم اختاروا أن يكونوا كذلك. مبادرتهم تحمل وزنا خاصا مع ذلك لا يمكنهم الحصول على ثلاث تأشيرات؟ لو أنهم فقط أخبرونا من قبل... كنا رفعنا أصواتنا"

Twitter: @ketab_n

"كنتم قد تم اعتقالكم كلكم" قال زفياد برقة، بابتسامة، ولطف.

"كان هذا ليكون ممتازا!" قهقه الروسي. "لكن الأمر ليس بهذا السوء، كما تعرف. نحن القوة التي ينبغي عليهم اعتبارها في أية حالة"

"لا، كان ليتم اعتقالكم كلكم!" ردد إيليكو كلمات زفياد. كانت تلك المرة الأولى التي يلتقيان فيها بالرأي.

وقد يكون هذا هو سبب تشجع زفياد على قول:

"لديكم دكتاتورية" قال مباشرة للروسي.

"وهي أسوأ من الجحيم" قال بوشكوف، غائصا في رثاء للذات ذكرني بشخصيات دوستويفسكي المنخفضة المعنويات: روسٌ مؤدبون ولكن خربون، يعظون بمأساتهم بجبروت.

استطرد: "إنهم مرضى، يفكرون فقط بإظهار كم أن قضيبهم أكبر من الأمريكيين. وبينما يقارن هذان بين قضيبيهما، نغرق نحن في الخراء. لكنكم لديكم مجانينكم أيضا؟ باستطاعة أمريكي أن ينيك مؤخراتكم من دون أن تلاحظوا هذا"

لا بدّ أنه اختار تلك الألفاظ النابية ليكسب ثقتنا. في خلال ثوانٍ تمكن من صب كم من الأشياء الشائنة التي كانت كافية لجعل الهواء

Twitter: @ketab_n

ثقيل ودهني. في النهاية، وعد مجددا أن يكتب خطاب الاعتراض وسب بمرارة وعن قصد، وصافح زفياد فقط لسبب ما.

"السموّ اللفظي الكلاسيكي لمثقف روسي" قالت دانوتا. كانت قد تنصتت على محادثتنا سهوا. وكانت تفهم الروسية.

"الصرب علمونا الروسية في المدارس" أخبرتنا. "على أية حال، فقد كان ستالينكم يكره تيتو من كل قلبه. بل ودعم محاولة لاغتياله. لكن انتقام تيتو كان تعليم الروسية لطلبة المدارس وليس لغة ستالين الأم، الجورجية"

"ليس فقط تيتو، فقد كان يكره جورجيا بنفس الطريقة" لم يوافقها إيليكو. "أمه كانت عاهرة، وأبوه كان سكيرا يضربه بانتظام. لماذا قد يحب جورجيا؟"

"لقد فعلت أمه كل ما باستطاعتها من أجله وعهرها ليس مثبتا!" اعترض زفياد. "كان طفلا مريعا"

"تماما مثل طفل روزماري[11]" قهقهت دانوتا

ضحكنا لملاحظتها وأعطتنا بسمة جدة سعيدة.

---

11 إشارة إلى الفيلم الشهير طفل روزماري. (مترجم)

Twitter: @ketab_n

" أنتم الجورجيون لطفاء جدا – دائما ما تجتمعون معا وتضحكون كثيرا " قالت بروسية ضعيفة.

لأكون أمينا، فقد كانت هي لطيفة جدا – حقيقةً كجدة – لكن ليس بسبب عمرها، ولكن الشكر يعود إلى وزنها ووجنتيها المتوردتين. لم أر سيدات كبيرات جذابات إلا في الأفلام السوفييتية القديمة عن الحكايات الخرافية. لكن من كان ليقول أننا لطفاء؟ عينا إيليكو المؤرقتان جعلتاه يشبه ماو العظيم وشعره لم يُغسل طيلة أسبوع، كما شككت. كان زفياد يحدق في المساحات الطبيعية البلجيكية العابرة من وراء النافذة. أما أنا، فقد كنت أحوال جاهدا إبقاء عينيّ مفتوحتين من الحاجة إلى النوم، مشبعا الملل والشجن. على أية حال، كانت محقة في أننا دائما ما نجتمع معا – مثل ثلاثي قرويّ متوجس.

لم يكن الحب أو الصداقة هو ما جمعنا أنا وزفياد وإيليكو. فقد بدا أننا ملتصقون ببعضنا بغرزية وطنية غير صحية. كنا مضطرون إلى التعود على بعضنا. في الحقيقة مع الوقت، بدأت أتعب من كليهما.

وبعد كلمات دانوتا أردت أن أغادر تلك المجموعة أكثر من أي وقت مضى.

في اللحظة التي مر فيها هذا الإدراك بخاطري، نهضت واقفا.

Twitter: @ketab_n

"جائع؟" سألني إيليكو.

"سأتمشى قليلا" أجبتُ واتجهتُ إلى الباب المؤدي إلى العربة السابعة. لم أكن سأذهب إلى أي مكان لولا الحاجة الماسة لإيجاد هيلينا. لولاها لما كنت تزحزحت، كنت لأغمضت عيني وخدعت الجميع إلا أنا جاعلا إياهم يظنونني نائما.

عادة، كنا نسافر في العربة السادسة، وهي في الثامنة. ها هي العربة السابعة في ما بيننا – مملوءة بالكتاب المتوترين الأرقين أو الغافين، بوجوه متورمة.

في البداية رأيت ماسيك جالسا وقدميه على المقعد الأمامي. حاملا كيسا بلاستيكيا رشف منه من آن لآخر، كانت هيلينا في الواقع جالسة بجوار تلك الأقدام. كانت تتحدث بصوت عال وبحماس كبير إلى زوجها بلغة مجهولة لي. توقفت في اللحظة التيّ رأتني فيها، ابتسمت، ولوحَت.

قالت لزوجها: "زازا"

ماسيك كان جالسا وظهره إليّ. كما يبدو، فقد سأل زوجته من الذي كانت تعنيه. ثم استدار وحياني بصخب.

"هاي! لماذا لم ترسل لي قصصك؟"

Twitter: @ketab_n

لم يكن باستطاعتي أن أقول أنني غير قادر على الاختيار بين ترجمته لقصصي وزوجته؟ أليس كذلك؟

في النهاية اخترت الحقيقة:

"ليس معي كمبيوتر"

"أوه! يا لها من مشكلة ضخمة" استطعت تمييز نبرة ساخرة في صوته. "لا تخبر هاينز، إن حدث وتكلمتما"

لم يكن لدي ما أقوله. فابتسمت له.

"لدي واحد" استطرد بجدية. "لقاء عمل في غرفتك أو غرفتي مناسب لك؟"

لم أكن متأكدا إن كان يمزح أم لا. لكنني وافقت.

"لا مشكلة"

"تريد سيجارة؟" سألت هيلينا بشكل غير متوقع

في البداية ظننت أنها تسأل زوجها، لكن لا، كانت تنظر إليّ. كان سلوكا فظا بشكل ما، وكأنها أرادت من ماسيك أن يصمت. أم هل كنت أتوهم؟

لا بد أنني استغرقت وقتا طويلا لأردّ، فأمرتني ببساطة:

Twitter: @ketab_n

"هيا بنا"

تبادلت الابتسام مع ماسيك في تلك اللحظة بدا كرجل متقاعد غريب. مشت هيلينا أمامي، إلى الحمام.

وتماما كعضو حزب عجوز، في طابور عرضٍ سوفييتي، رفعتُ يدي محييا ماسيك، بشكلٍ عارضٍ تماما، وابتسمتَ ابتسامة واسعة، ومشيت وراء زوجته.

"لا تشغل بالك" تمتم ورشف من الكوب الذي ترتكته هيلينا خلفها.

لسبب ما كنت متأكدا أننا ذاهبون للتدخين في الحمام (فقد دخنت النساء اللاتي عبرن حياتي هناك بشكل رئيسي)، لكنني كنت مخطئا. اختارت هيلينا المساحة بين العربات، ثم شدّت النافذة سميكة الزجاج إلى الأسفل بمهارة، ثم، سعيدةً ببراعتها أو شيء من هذا القبيل، قهقهت ضاحكة.

قالت: "سندخن وسيتحسن مزاجنا كثيرا"

ندخن...

Twitter: @ketab_n

كيف يمكننا فعل هذا إن كنت قد أقلعت عن التدخين؟ هل عليّ أن أرضى بحل وسط مرةً أخرى؟ لقد أقلعتُ منذ ثلاث سنوات والتدخين الآن كان سيُعيدني إلى عصر ما قبل إيلين.

لقد خنتُ إيلين، والآن كان عليّ أن أخون مبادئي.

أذكر ماكا، فتاة السكايب، عندما سألتني إن كنت متزوجا. أنا متأكدٌ أنني لو كنت صادقا، لم يكن ليحدث أي ضرر. كانت ستتبع حدسها. لكنني كنت مرتعبا. كنت مرتعبا من أن تمنعني الحقيقة من الوصول إلى ثديي ماكا غير الافتراضيين. لقد خفت أن يظل هذان الثديان في الواقع الافتراضي إلى الأبد إن لم أنكر إيلين. لذا، أنكرتها فورا بقولي: "لا، لا زوجة!" تلك المرة كنت محظوظا فعرض التعري على سكايب تبعه عرضٌ حيّ. ولم يصح الديك ثلاث مرات حتى تحدثتُ في نومي.

في القطار ذلك اليوم، لم تسأل هيلينا عن زوجتي، ولا شعرتُ بذنب خيانة أحد. لكنني كرهتُ فكرة حل وسط آخر. لم أبال بماكا السكايب، لكنني وبغرابة شديدة لم أستطع أن أكذّب على هيليناَ. لذا قلتُ الحقيقة ببساطة.

"أنا لا أدخن. لكنني تبعتك فقط"

هزت كتفيها وسحبت علبة سجائر وقداحة من جيبها(أتذكر بجلاء أنها كانت تلبس بلوزة رمادية خفيفة من الصوف بأزرار، وجينز).

Twitter: @ketab_n

"ماذا؟" ابتسمت لي.

لم أفهم سؤالها.

كان هذا دوري لأهز كتفيّ. أومأت برأسي.

"من المريع أنني أدخن، أليس كذلك؟" أشعلت سيجارتها.

أجبتها: "صوتك سيصبح خشنا"

كان التدخين قد حرق أحبال زوجة عمي الصوتية. وقبل أن أقول هذا بصوت عال، تخيلتها: بأظافر صفراء وصوت سجين سابق أجش. كان خطؤها أن زوجها المسكين فشل في أن يصبح مغني أوبرا عظيم. كان يغني وهي تدخن أو بالعكس. فشلٌ كاملٌ من أي زاوية نظرت إليه. أعتقد أننا نتعامل هنا مع اعتراض لا واعٍ: زوجة عمي تكره وظيفته، وتحارب آلته الموسيقية الرئيسية - صوته - بأدخنتها السامة.

سألتني هيلينا: "أنت لا تدخن بسبب أبيك؟"

"لا، لماذا؟" لم أعرف ما دخل أبي بالأمر.

"أليس مغني أوبرا؟"

أها! لقد تذكرت.

Twitter: @ketab_n

"لا، ذلك عمي، لكنه لا يبالي إن دخنتُ أم لا. وأنا لا أبالي إن غنى جيدًا أم لا. أظنه قدم لي سيجارتي الأولى... كان عمري ثلاثة أعوام عندما عرض علي واحدة وأخذني إلى ماخور. هذه عاداتنا"

"أخذُ ابن ثلاثة أعوامٍ إلى الماخور هو عاداتكم؟" كانت مختنقة بالدهشة.

"نعم، تقليد قديم. على عاهرة أن تضع خاتما فضيا على قضيب الصبي. الخاتم تشتريه العائلة من أجل تلك المناسبة. إن لم تفعل هذا، لا يعتبرونك رجلا."

"ألستم مسيحيون أرثوذكسيون؟"

بدت بريئة بدرجةٍ جعلتي أشعر بالذنب.

"بشكل عام، نعم. لكن أرثوذكسيتنا أقدم من المسيحية"

"تحاول سحب رجلي" ابتسمت.

لم أشعر بالحاجة للعبث، فابتسمت.

سألتني: "كنت تتفوه بأكاذيب، أليس كذلك؟"

"لا. عمي مغنٍ في الأوبرا"

"أها"

Twitter: @ketab_n

"نعم!"

أومأ كلانا إلى الآخر: وكلماتنا الأخيرة ساعدت على سد الصمت المحرج.

"حسنا" قالت هذا ونقرت بأصبعها على السيجارة في غطاء علبة السجائر. كنت أظن تلك عادةٌ أصيلة للمدخنين الجورجيين. بل أنني قلت لها ذلك:

"لم أكن أعرف أن التخلص من رماد السجائر بهذه الطريقة عادة في بولندا"

"أنا يونانية" صححت كلامي بتعبير تلميذ نجيب.

"مائة بالمائة؟"

"ماذا تقصد؟"

"أبواكِ..."

"أمي ألمانية. لو كانت يونانية، كانت مؤخرتي لتصبح أثقل" ضاحكةً، وقفت على أطراف أصابعها، وأبرزت مؤخرتها وصفعتها.

جميلة، هذا ما عبر بخاطري.

Twitter: @ketab_n

"ما يعني أنك أرثوذكسية أيضا" لم تكن الجملة المثالية لرأب صدع الحديث لكن، لسوء الحظ، لم أفكر في شيء أحسن.

"حقيقةً لا أعرف. كان لجدي مطعم في رودس، حيث اعتادت أمي أن تمضي إجازة الصيف وبهذه الطريقة أحبّا بعضهما، كما ترى!"

ظننت أنها لم تفهم سؤالي لكنني وافقت:

"نعم، رومانسي جدا"

"الجزيرة نعم، لكن ليس جنس الإجازة. أنا نتيجة جنس الإجازة" ضحكت ثانية.

إنها فتاة بمشاكل، هكذا ظننت. مرت بأوقاتٍ سيئة، لكنها لم تفقد حسها بالدعابة.

تساءلت عما أكون أنا نتيجته.

ماذا كان يحدث في جورجيا في وقت تخصيبي

قلت هاتين.

نظرت إلي هيلينا باهتمام.

"لا أعرف."

Twitter: @ketab_n

"اشتعلت ثورة في جوارنا بإيران، الروس ذهبوا إلى أفغانستان وأمي وأبي كانا في إجازة في داجوميس"

"رائع" كانت مندهشة.

"نعم، أنا فخور حقا بتاريخ تخصيبي"

ظننتُ أنني قلت كل شيء. لم يمر بخاطري شيء آخر. لم يبق إلا أن أطلب منها الرقص...

في الأفلام اكتشفوا طريقا رائعا للخروج من المواقف المحرجة المشابهة: القطار يفرمل فجأة، بينما يسقط الرجل والمرأة في حضني بعضهما. فجأة شعرت برغبة في تقبيلها. لقد عشتُ كقديس في آخر أسبوعين، وهو ما قد يفسر تلك الرغبة. كنت خائفا لأنني لو تبعتُ غرائزي بعمى، فسأقع في أخطاء فادحة. كل ما احتجته وقتها هو أن أكون عقلانيا... عقلانيا وصادقا.

لا بد أن بعض أفكاري كانت جليةً فقد عادت هيلينا إلى موضوع السجائر:

"ماسيك يدخن فقط عندما يكتب. يساعده ذلك على التركيز."

Twitter: @ketab_n

"نعم، البعض يجدونها مفيدة" وافقت على كلامها وندمت فورا على قول "البعض" . لم يكن عليّ أن أضمّن ماسيك مع آخرين .

"هل تكتبين؟" سألتها .

"أرقص"

يا إلهي! ارتعبت .

"لا، لا" ابتسمت . "كنت أمازحك . أدرّس في المدرسة . وأكتب، قليلا" أرتني الكمية بإبهامها وسبابتها .

أتمنى ألا يكون ما تكتبه نثرا . فكرت . الله يعلم كم تخيفني كاتبات النثر! كل واحدة منهن تبدو كمتحولة جنسيا . أفضل الشاعرات كثيرا لو أن لي الاختيار .

"هل تكتبين الروايات" سألتها .

"لا، ليس الروايات" ضحكت . "العروض فقط"

أوه! هذا أحسن كثيرا . أنا أعشق كاتبات العروض .

"أذهب، وأسمع، ثم أمدح أو أنقد" قالت .

"هل أنت ناقدة موسيقة؟" أظهرت دهشتي .

"أمي تعزف الكلارينيت ... تعرف الكلارينيت، أليس كذلك؟" حاولت أن تريني كيف يبدو الكلارنيت بيديها . " أنا

Twitter: @ketab_n

موسيقية أيضا، لكنني لست موهوبة جدا ... أستطيع أن أسمع الموسيقى مع ذلك وأفهمها جيدا"

"كل أنواع الموسيقى؟"

"كل أنواع ماذا؟" لم تفهم سؤالي.

"هل تكتبين عن كل أنواع الموسيقى؟"

"لا" سحبت نفسا من السيجارة. "الكلاسيكية فقط"

"رائع. هناك رجل ظل يكرّهني في الموسيقى الكلاسيكية منذ طفولتي ..."

"عمّك" ضحكت.

"بالضبط" قهقهتُ.

"لا أطيق المغنين" ارتعدت.

تقطب جلدها بشكل مضحك بين أنفها وحاجبيها.

في هذه اللحظة، غزا الكاتب البلغاري بوريسوف مساحتنا الضيقة، وابتسم بدلالة واضحة وذهب إلى الحمام المخصص للمعاقين (كان في العربة اثنان: واحد للمعاقين بدنيا، وواحد لمن يعانون من الطموحات الأدبية)

Twitter: @ketab_n

رمت هيلينا سيجارتها في صندوق القمامة المعلق من إطار النافذة (لأول مرة أرى صندوق قمامة معلقا في الهواء) وضحكت.

قالت: "كل هذا من أجل سيجارة!"

خمنت أن هذا يعني العودة إلى أماكننا.

"أقترح أن نلتزم بالتقاليد: أنت أولا، وأنا وراءك" قلت بابتسامة.

"أصبح تقليدا، ها؟" ابتسمت هي الأخرى.

أومأت وكما أعتقد كانت تلك المرة الأولى التي أستخدم فيها تقنية تظاهر جورجية تقليدية: عرضت عليها شجني.

"هل أنت بخير؟" بدت قلقةً.

يبدو أنني بالغت في التظاهر . . .

طمأنتها: "أنا بخير، بخير"

لا بد أن تعبيري تغير بشكل مفاجئ لدرجة أنها شعرت بالقلق. لم أكن لأخبرها بأنني أتظاهر فقط، أليس كذلك؟

رافقتها إلى مقعدها وماسيك، الذي حيانا وكأنه لم يرنا منذ قرون.

Twitter: @ketab_n

سألني: "نحن متفقون على النصوص، ألسنا كذلك؟"

"أكيد" أجبته ونظرت إلى هيلينا، كان علي أن أودعها برفع يدي أو الغمز (بالتأكيد بالغمز بالعينين، فالغمز بعين واحدة كان ليصبح وقحا وموحيا للغاية). على أية حال، فشلت في الاثنين لأن هيلينا وضعت مجلة سميكة على ركبتيها وبدأت في تصفحها. كنت إيجابيا بشأن انطباعي: لقد تغيرت. بدت أكثر حدة وعصبية. على الأقل كانت مختلفة تماما عندما كانت تدخن. أتذكر أنني تساءلت إن كان ماسيك واعيا بالتحول. لأن الزوج إن لم يلاحظ تلك العلامات الظاهرة، سيكون هناك خطأ كبير، كبير جدا. لسبب ما، فقد شجعني تحولها المفاجئ أكثر من حوارنا الأخير. في تلك اللحظة تحديدا بدأت في الشك بأن هناك مشكلة في تلك العائلة.

Twitter: @ketab_n

أنا على متن القطار، أحاول مطالعة كتاب "Headway"[12] . وصلتُ إلى حرف E. تعلمت كلمات من ضمنها Equipment. بالأمس حفظتُ عشرين كلمة.

أشعر بالحرّ.

فاليري يروح ويغدو في القطار منشغلا بالجورجيين. لقد رفضنا منحهم تأشيرات دخول.

لقد مللتُ وتعبتُ من هذا الخراء! لماذا هو مهووس هكذا أو لماذا لم يمنحوا التأشيرات؟ غاضب مني لأنني لست منشغلا بالأمر. أمضى يوم أمس كله على الإنترنت، مرسلا الخطابات إلى تشيكالو وسيريوزا حاضا إياهم على الاعتراض على هذا. ثوريّ ملعون! أخبرته: ليذهبوا جميعا إلى الجحيم: الكرملين، تبيليسي، أوسّيتيا، وأبخازيا. انس أمرهم!

لدي انطباع بأن فاليري مهتم بالأمر أكثر من الجورجيين أنفسهم. هسيتيري تقريبا. وهو هكذا منذ فيرا.

---

12 Headway هو كتاب من كتب اللغة الإنجليزية المدرسية. (مترجم)

Twitter: @ketab_n

كانت هناك مناقشة في باريس وذكر أحدهم الحرب. تساءلت ماذا لديه ليقوله عنها. وأردت أن يسمع فاليري أيضا. منعه مدير الندوة من الحديث - كان الصبي في موقف غبيّ. أشفقُ على الجورجيين. فهم يعيشون في كابوس: رؤساؤهم إما مجانين أو غير قادرين على الفعل، وغير متأكدين مما يريدونه، ولا يطيقون الأجانب في خانيّتهم[13] المسيحية.

يقول فاليري أن كل التغطية التلفزيونية لحرب أغسطس كانت دعاية من الكرملين. ما نفع ذلك بحق الجحيم؟ لو أنهم لا يطيقون الأبخاز والأوسّيتين، لماذا يحتاج الأمر دعاية؟

فاليري مغتاظ بينما لا أبالي بالأمر: إلى الجحيم بهم كلهم!

ما الذي حدث اليوم؟

كنت أفكر بالنص الذي من المفترض أن أحضره لمسابقة هاينز في برلين (آكل البشر، حلم زينيا، خريف في ميدفيدكوفو) - لست متأكدا بعد.

نعم، اشتريت لنفسي زوجا من القطيفة الرمادية من بروكسل. تخفيضات ضخمة: في البداية كانت بـ١٢٥ يورو لكنني اشتريتها

13 خانيّة، أي أرض يحكمها الخان، كلمة مغول-تركية Khanate. (مترجم)

Twitter: @ketab_n

بـ٧٠. أكره شراء الأشياء لنفسي. يا لها من مضيعة للمال. بحثت عن سترة لفاديم. سفيتا اتصلت بي على الهاتف المحمول. خضنا ما يشبه العراك. قالت أنها لا يجب أن تتصل لأن بإمكاني الاتصال ببطاقة رخيصة. لم تعجبني نبرتها، ولم تحب صوتي. أغلقنا الخط. لا أريد أن يضيعوا المال. سأتصل بها من فرانكفورت.

أفتقد كلا من البنتين .... عندما تطول الرحلة عن أسبوعين لا تصبح ممتعة. تصبح مملة. نصاب بالإرهاق بسهولة، بسهولة جدا ...

ماذا دهاني؟ هل أكتب مذكرات؟

الجميع يفعل ذلك. أنا أيضا. الفراغ ممل. للقطار ميزة واحدة: يريد المرء أن يكتب، حتى لو أشياء تافهة.

ملحوظة: هناك اثنان روسيان فقط، أنا وفاليري، وليس ثلاثة. راؤول ألداموف بمفرده هنا. هل علي أن أعترض؟ نحن نشجب، ونشجب، ونشجب!

...

Twitter: @ketab_n

بمجرد أن وصلنا إلى ألمانيا، أصبحت شاهدا على تحول آخر: إيليكو الشكاك تحول إلى رجل لطيف، مراعٍ، لبق، ونشيط. لا بد أنه شعر أنه في وطنه هناك وتصرف كمضيف جيِّد ومؤدب.

"مدينة جميلة" أخبرنا بينما نصل إلى فرانكفورت، "لكن في الصيف. من يأت هنا في آخر الخريف أو في الشتاء يكره المكان، لأنه يكون ماطرا، وباردا، وتفقد كل الشوارع والمتنزهات ألوانها. لا بد أن تأتي في مايو أو يونيو لتقدر جمالها وتقع في غرام تلك المدينة. لقد هدم الحلفاء المدينة خلال الحرب. كل ما ترونه تم ترميمه لاحقا. جوته ولد على بعد ثلاثة شوارع من هنا. معارض ضخمة تقام عدة مرات في السنة، متضمنة معرضي الكتاب والسيارات. لديهم أيضا ذوق جيد في الطعام. سأريكم مكان نقانق ممتاز. ولا تطلبوا طبقين، لا تكونوا جشعين. إنها ألمانيا كما تعرفون، الحصص ضخمة والأطباق كبيرة لدرجة أنكم باستطاعتكم النوم فيها. وليس كباريس حيث اضطررنا أن نجوع بسبب طعامهم. هناك شارع كبير هنا، ممتاز للتسوق، وهكذا يمكن لزفياد أن يشتري أشياء لعائلته. أيضا، المترو سهل – مصمم من قبل أناس عقلانيين. يأخذك إما لوسط المدينة أو بوخمسّه. يظن الجميع أنها مدينة كبيرة، بينما في الحقيقة فهي صغيرة جدا. أظنها ليست أكبر من كوتايسي. لكن مطارهم ضخم حقا. في

Twitter: @ketab_n

منتصف المدينة يوجد نصب لليورو. يمكن لزفياد أن يذهب، يضع الزهور، ويصلي من أجل محفظته.

لكن كيف يمكن للصلوات أن تساعد زفياد المسكين؟ لقد أنفق كل أمواله في نصبات الشوارع.

تم أخذنا من المحطة مباشرة إلى معرض الكتاب. مباشرة من المدينة وجدنا أنفسنا في مدينة أخرى: مدينة الكتاب حيث على المرء أن يأخذ باصا خاصا أو ممرا كهربائيا طويلا للغاية ليتحرك من جناح إلى الآخر.

كان المعرض سيغلق في ذلك اليوم. كان الناس مجتمعون كالنمل وكان الجو حارا بشكل لا يحتمل. مثل الماشية، تم اقتيادنا إلى قاعة صغيرة جدا تسمى الأريكة الزرقاء (الكتاب المشاهير يتحدثون عادة من على مقاعدها الزرقاء)، التقونا بتصفيق (لا أحد يعرف لأي إنجاز)، ثم التقطت صور لنا ثم وضعونا عند أقدام أيّا أكونادال، الحائز على نوبل. السيد أكونادال كان ملفوفا في ثوب بدا مثل الساري الخاص بالراحلة إنديرا غاندي(لكنه كان رجلا لو لَم أكن مخطئا). كانت له أظافر صفراء طويلة، ورأسٌ صلعاء لامعة. لحيته كانت تشبه كثيرا تلك المفضلة من قبل مقاتلي القاعدة. حقا، لقد بدا كفضائي لم يغتسل. من جهة أخرى، لم نبد نحن مثل مشاهير الموضة: منهكون، محرومون من النوم، غير مهندمين، شاحبون، ومنكوشون. فقط

Twitter: @ketab_n

الرباعي الذي لا يفترق كان صقيلا ووثابا: هاينز، رودي، إرميل، وميلينا. هم فقط من تلقفوا كل كلمة للحائز على نوبل، باهتمام يتاخم التبجيل. لو أنني فهمت جيدا، فقد تكلم أيّا أكونادال عن الهولوكوست ومعسكرات النازي، مقلبا كتابه الجديد (المسمى مولد الاعتذار أو شيء مشابه) في يديه البنيتين، وفي النهاية، خاطبنا ببلاغة أمين عام الأمم المتحدة.

لم أكن قد قرأت كتبه، ولا كانت لدي فكرة عن أصله، فسألت دانوتا الواقفة بجواري:

"من أين هو؟"

"أعتقد أنه ألماني"

"هو ألماني؟" كنت مندهشا.

سمعت "ششش" ثاقبة من الخلف، كان رودي، يسكتنا من الخلف.

"ليست لدينا أية فرصة" أخبرت إيليكو لاحقا. "لو أراد المرء أن يعترف به ككاتب، يجب عليه أن يتحول إلى مخلوق غريب مثل هذا الفضائي"

"لماذا؟ لديه كتاب جيد . . . . عن النمور" لم يتفق معي.

Twitter: @ketab_n

حدق بنا كتاب شهيرون من صور ضخمة مثبتة على ألواح، ومكاتب وجدران. بدوا ساخرين، يسألون مائةَ كاتب غامض من إكسبريس الأدب: "ماذا تفعلون هنا؟ من سمح لكم بالدخول؟ وقفت هناك وكأنني أمام أيقونات، مفكرا أنني لو لاحظني أي ناشر، كبيرا كان أم صغيرا، سأتوقف عن التجول في هذا الجانب من اللوح وكل مشكلاتي ستنتمي إلى الماضي: ستغادر الدبابات، وسيشفط الهواء القنابل، وأبي الضائع سيعود دامعا، وكل الإيلينات—الهيلينات في ذلك العالم سيخضعن لي، وعروض معينة ستنصب على أمي مثل سيل من الذهب.

لكن كيف يمكنني أن أقتحم هذا العالم بخمس عشرة قصة؟ أسماكي الأدبية الدقيقة الخمسة عشر؟

كان باستطاعتي رؤية زفياد قلقا بالمثل. يحدق بدهشة في ألواح الكتاب الضخمة، كان مجروحا مثلي تماما لعدم انتمائه إلى ذلك المجتمع.

"هلا بحثنا عن الجورجيين؟" اقترح إيليكو.

كان عرضا سيئا لأنني عرفت: سيذكرونني بأحداث جورجية مملة، ويذكرون بالتفصيل كل مظاهرة ويجعلون حلقي يؤلمني من السخط المكبوت. وطوال الوقت كان كل ما أريده هو أن أبقى بين

Twitter: @ketab_n

كتاب يبتسمون بتشكك وينظرون إلى الأسفل من الألواح . . . حتى لو كان زفياد رفيقي.

لم أرد أن أكون حساسا بشكل زائد. كانت تلك الفضيلة تفيض عن إيليكو واخترت ألا أعترض. أنا متأكد تماما لو أننا كنا في بلد آخر وعرضتُ أنا وزفياد شيئا مماثلا، كان ليغضب منا. لم يكن ليرض بمقابلة أبناء بلده. لكن في هذه الحالة فقد قادنا بنفسه إلى الجناح الجورجي.

القاعة الضخمة رقم ٥ كانت مخصصة للقوقاز، روسيا، تركيا، وأوربا الشرقية. الجناح الأكبر – بحجم الكرملين– كان ينتمي إلى روسيا. كانت الجدران في الخلفية مزينة بصور لزعمائهم: رئيسهم ورئيس وزرائهم.

جناحنا، أو بالأحرى ما تبقى منه، كان بين جناح أرمينيا وأزربيجان. كانت الملصقات تزال عن الحوائط، والكتب توضع في الصناديق، والإطار المعدني للجناح السابق تفكك.

كنا نشاهد مشهدا ليوم القيامة. في منتصف الهيكل نصف المفكك والرفوف الفارغة كان هناك ناشر جورجي وحيد وسكران يتحدث إلى خنثى.

Twitter: @ketab_n

لا بد أنها كذلك – محبة الكتب ثنائية الجنس تلك. لكن الناشر لم يشك في أي شيء فقد كان باستطاعته رؤية القسم الأعلى من الجسم: محبة الكتب كانت على جهتنا من الجناح. الجذع العلوي كان لذكر طبيعي، بينما ابتدأت القيامة بالأسفل: تنورة جلدية ضيقة، جوارب حمراء ضيقة وحذاء بكعب عال. كان بإمكاني تخيل الصدمة التي ستصيب مواطني عند رؤية بقية الجَسد!

"لا أظن أن علينا الاقتراب أكثر" أخبرت إيليكو.

"هل غادروا جميعهم؟" نظر إلى ساعته. "مبكر جدا؟ لا تزال هناك ساعتان قبل الإغلاق"

"هاي! زفياد!" رآنا الناشر.

لم يكن بإمكاننا الهروب في الخفاء الآن. كان علينا أن نحيي ونتحدث.

"لقد هزمنا الروس!" أعلن الناشر بنبرة انتصار. "لقد بعنا كل شيء . . . حشود وحشود من الناس أتوا إلينا ولم يهتم أي أحد بهم! لقد كنت أدور حول نفسي كالمجنون طوال أربعة أيام. أنا المسئول هنا الآن وعلي أن أطمئن أن كل الكتب في الصناديق وذاهبة إلى تبيليسي! لكنني سأموت لو لم أشرب شيئا. أكره الطيران"

Twitter: @ketab_n

تمكن من حشر عشرين قصة في خمس دقائق ثم أنّ قائلا:

"لقد فشلنا في بيع نبيذنا مع ذلك. كان معنا خمسة صناديق طلبت منا الوزارة إحضارها هنا. هل هي الآن من حقي لأتصرف فيها أم لا؟"

كان القلق واضحًا عليه، لكنني لم أتطرق إلى السبب الحقيقي لانفعاله.

كان الأرمينيان، الآنسة أنابيت والسيد زيتونتسيان واقفين بفخر وأناقة بجوار جناح بلدهما، يتحدثان بأكثر الطرق جدية ومأساوية، ويبتسمان لنا من آن لآخر.

"هل سمعتم أي أخبار من تبيليسي؟" سألَنا الناشر. "لقد كنت معزولا هنا، لا تليفزيون في حجرتي، لذا لا أعرف شيئا" ثم ضحك بمرارة، "هل علي أن أطلب اللجوء السياسي؟ لو أن الروس سيحتلون تبيليسي، ربما علي البقاء هنا . . ."

لا عجب أننا تركنا الناشر الجورجي بأسرع ما استطعنا. لأنه لم يكن يعرف إلا زفياد، وهو الوحيد الذي ناداه الناشر بعد مغادرتنا قائلا:

"لا تتركني هنا وحيدا مثل كلب!"

Twitter: @ketab_n

لكن زفياد لم يبق معه.

مشهد القيامة ذاك سيطاردني طويلا: هيكل الجناح، أكوام الصناديق، وجورجي سكران بينها وخنثى تستجوبه.

رغما عنّا، فقد شهدنا نهاية شيء. لحقنا بالحلقة الأخيرة . . .

أظن أنني لا بد كنت أحسد كتاب الصور المبتسمة (أو كنت أريد أن أرى هيلينا فقط ولكن لم أعترف لنفسي) لأنني في تلك الليلة طبعت ترجمات قصصي في ركن الإنترنت بالفندق وذهبتُ إلى غرفة ماسيك. كنت قد هاتفته بالفعل لأسأل إن كان لديه وقت لينظر في نصوصي وقال هو أنه ينتظرني.

كان متحمسا ومحترفا، كالعادة. لم أشعر بأي شيء غير اعتيادي.

وفي خلال خمس دقائق، ربما عشرة على أقصى تقدير، كنت واقفا عند بابه. كنت قد سمعت صوته هو وهيلينا جيدا قبل أن أصل إلى الباب، لكنني تجاهلت العلامات المشئومة. لم أعرف إلا لاحقا أنهما كانا يتعاركان. طرقت الباب بشجاعة.

ماسيك فتح الباب وصرخ مثل مشجع كرة قدم: بسعادة وبشكل مخيف: "زازا!"

Twitter: @ketab_n

خمنت للتو أنه ثملٌ للغاية. كان وجهه أحمر وعيناه زجاجيتين. ربّت على كتفي بكفه الذي يزن مائة كيلو وشدني إلى الغرفة. بالكاد حفظتُ توازني.

"هذا أمر مهم . . . إنه كذلك!" صرخ في أذني.

لا أزال لا أعرف ماذا كان يعني.

ومباشرة أمام خط بصري، كانت هيلينا جالسة في منتصف سرير واسع، ممسكة بوسادة. وكانت الدموع تسيل على وجهها. كانت لعينيها نظرة غائمة وظننتُ أنها كانت تحدق في شيء عبري. تجمدت، وكأن الوقت نفسه توقف . . . سمّرني بكاؤها بالأرض.

شهدتُ مشهدا لم يجب أن أراه. هنا ثانية، لحقتُ الجزء الأخير من شيء: كبير أو صغير. وجدتُ نفسي مشتبكا بتاريخ زيجة غير مألوف تماما: تعارك زوج وزوجته، الزوجة بكت (كانت تلك الدموع باقية من بكاء سابق)، وكنت شاهدا.

"آسف!" أمكنني قول ذلك واتجهتُ إلى الباب.

أتذكر تفكيري بأنه لو اعترض ماسيك طريقي فسأضربه.

لكنه صاح فقط:

"انتظر! هذا أمر مهم!"

Twitter: @ketab_n

أتساءل ما كان هو ذلك الأمر المهم.

كانت السابعة صباحا عندما دق بابي. اعتذر، قائلا أنه لا يحتَمَل وهو سكران، وأن الشياطين الخيرة والشريرة كانت تتقاتل على روحه عبر الاثنتين وخمسين سنة الماضية. ثم أخذ قصصي وودعني ببسمة وادعة.

لم أر هيلينا لا في الصباح ولا حين غادرنا فرانكفوت. بل إنني شككتُ في كونها قد غادرت الرحلة برمتها. على الأقل، عندما صعدت إلى القطار كان شعوري هو أنني لن أراها ثانية.

يا للغباء! هل هربت من زوجها ومني أيضا؟ أي نوع من النهايات يكون هذا!

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

١١- مالبورك

أصبح الجميع شبقا في مالبورك.

أدهشتني حدّة الطاقة الجنسية التي انفجرت في تلك البلدة البولندية القروسطية الهادئة. أربعون بالمائة من زملائي "عرفوا" بعضهم، بالمعنى التوراتي. حتى الطاقم التقني، لم يكن متفرجا سلبيا. إيليكو، على سبيل المثال، لم يتح له الوقت ليدرك أن إرميلته المشغولة أبدا، قد انخطفت منه. في الواقع، لقد ظننت أن تلك الفتاة الآلية كانت فاترة. كنت متأكدا تماما أنها تنال متعتها الجنسية من تلبية أوامر هاينز. جسد إرميل (وشككت في أن روحها كذلك أيضا) تم غزوهما من كاتب صربي: رجل طويل الرجلين يشبه الجرادة، بشعر مفروق من المنتصف على طريقة راسبوتين، ويرتدي سروالا قصيراً ضيقا طوال الوقت. لم أسمعه يتحدث أو رأيته يبتسم، لكنه ثمل في ديسكو مالبورك، ولم يستطع التوقف عن الحديث والرقص. في

Twitter: @ketab_n

البداية أدهشنا برقصته المنفردة: بكأس في يده، كان يتمايل بعينين مغمضتين في وسط ساحة الرقص. ثم قبل إرميل بشغف كبير لدرجة أن روحها كادت أن تفيض.

ولا عجب أن إيليكو هو الذي كان مجروحا بعمق من سقطة إرميل. ألم يكن هو من أعجبه إيطها الأصلي المشعر، وبشرتها الصفراء الذهبية، ورجلاها العفيّتان؟ وبطبيعة الحال لم يظهر ألمه أمامنا، لكنه عبر عن امتعاضه فقط:

"لا بد أنها مريضة إن كانت ستمارس الجنس مع هذا الجرادة"

ألمانية منفلتة أخرى، ميلينا، استسلمت للأغلبية. يمكن أن نقول أن كليهما، إرميل، وميلينا، اندفعتا إلى عالم إكسبريس الأدب الفاحش بشكل متزامن. وأنهما فعلتا ذلك بحرفيتهما المميزة وكأنهما تلقتا الأوامر من هاينز بأن يمتعا نفسيهما، ويناما مع أي ممن يختاراه، من دون إهمال واجبهما.

ميلينا لقطها فايتاس، الليتواني، الذي وضع علامته عليها في صورة عضة حبّ حمراء غاضبة، ولاحقا، في حضورنا، قبض على مؤخرتها بكلتا يديه.

"يبدو أنه يضاجعها" أعلن زفياد بعدما شهد كل هذا. استنتاج عبقري.

Twitter: @ketab_n

قدَرٌ مشابه جرى على الفرنسية متوسطة العمر، مدام روجيه، والشاعرة الفنلندية (سيدة رائعة بالمناسبة)، والبوسنية "ماكينة القهقهة" (وهو اسمنا المستعار للنساء داكنات الشعر القصيرات)، والجد البلجيكي (الذي قد اغتصب بلطف من الشباب الروماني) وبالأحرى الكثيرون: أصداء انتشاءاتهم امتصتها جدران فندقنا وحفظتها إلى الأبد.

كنا مندهشين بالقبلة الساخنة الطويلة بين الشاعر الأسباني وزوجته، التي، كانت، كما شككت في الأمر، مسطولة من تدخين الماريوانا. كانت جالسة في حجره، برجلين مفتوحتين إلى الخارج (وإلا لم يكن بإمكانه أن يضغط ثدييها عليه) وقبلته برقة ملحوظة.

مدام روجيه كانت الأسعد بين الجميع: بدلا من الاستلقاء للراحة والنوم بسلام بعد يوم منهك، لم تتوقف للحظة. ظلت ترقص بدون توقف مع صاحبها من روسيا البيضاء. لا بد أن الشاب، الذي كان شاعرا، كان يصغرها بعشرين عاما. انطبع في الأذهان بقصة شعره القصيرة، وتيشيرت الميكي ماوس المحشور في الجينز، وكاميرا زينيث المثيرة المعلقة من كتفه. كانت عضلات عضده محفورة أيضا. الجيد في الأمر أنه لم يخنق مدام روجيه المسكينة في حضنه.

Twitter: @ketab_n

"سيجعلها تتزوجه" قام زفياد بنبوءة.

أما نحن، المعلقون والمشاهدون، فتجمعنا معا، بشكل طبيعي وبدون قصد، مشاهدين العرض من الأركان المظلمة للقاعة. المشاهدون (أو غرباء الأطوار المستمتعون بالعرض الجنسي) كانوا: الجورجيون، الذين لم يقع أحد في غرامهم، أو قرر أن يغويهم، الأرميني زيتونتسيان، وهاينز ورودي (أظن أنهما كانا قانعين ببعضهما على المستوى الجنسي)، الشيشاني ألداموف، و"العفريت" التشيكي، والروسيان الكبير والصغير(بملامح غائمة من الشرب)، البرتغالي تاشيرا، والألباني "المعذّب" (اسم مستعار مناسب للغاية لو أخذنا بالاعتبار تعبيرات وجهه)، والبلغاري بوريسوف وواحد أو اثنان من شباب الاتحاد الأوربي . . .

الأزيري أليف كان فعالا بشكل مدهش: اكتشف ماخور مالبورك بمساعدة أمن استراحتنا (أنا فعلا أجد أن فندقنا مماثل تماما للاستراحات السوفييتية في المصحات) وجلب عاهرتين إلى غرفته.

كنا لنجهل الأمر تماما لو لم يخبرنا:

"لو أنني اقتربت من أحد زميلاتنا، لم نكن لنستطيع النظر في عيني بعضنا. لم نكن لنرتح للسفر معا أبعد من ذلك. سترون كيف أن ميلينا الصغيرة وفايتاس لن يمكنهما العودة للروتين مرة أخرى"

Twitter: @ketab_n

ميلينا الصغيرة قيلت بصوت حلو كالعسل، لدرجة أنني كنت متأكدا أنه كان لينتشي لو استطاع العبث مع الفتاة الآلية.

بعد هذا الاعتراف العفوي، همس لي بودّ:

"كنت لدعوتك يا زازا لتشاركني، لولا أنك كنت خارج الفندق لسوء الحظ، لم أجدك. فأنت تعرف كم أحبك"

لو أنه لم يقل غير هذا، كان الأمر ليصبح عاديا، لكنه غمز لي، الأمر الذي جعلني أتحفز. من يمكنه الاطمئنان لرجل شرقي؟ افترض أنه لم يعنِ هذا بشكل ودّي؟ كيف كنت لأخمن ما الذي يجعل أرستقراطي، عجوز، ومحافظ من باكو سعيدا وراضيا؟

"هل كانت تستحق؟" سألته لأعادل تأثير غمزته ("أنا أيضا أحب النساء، لا تفهمني خطأً")

"لماذا هي؟ لماذا المفرد؟" ابتسم وقال: "كان هناك اثنتان روسيتان، كما أظن ... لكنهما لم تقولا ذلك. مجرد حدس. خجلتان من ممارسة الدعارة في بولندا وليس في بلدهما الأم"

على أية حال، قبل أن نشهد ذلك الانفجار الجنسي، خضنا رحلة طويلة ومنهكة من فرانكفوت إلى مالبورك. لم يقطع قطارنا مسافة بهذا الطول من قبل – كانت رحلة لا تنتهي. بدونا وكأننا

Twitter: @ketab_n

ملتصقون بالمقاعد، متحدون بملابسنا، نفرز العرق المخضرّ. أكثر الأجزاء صعوبة كان عدم قدرتي لا على النوم ولا على أن أظل مستيقظا. لو لم أكن مخطئا، فقد قطعت القطار ذهابا وجيئة ثلاث مرات على الأقل، عبر كل العربات، ولكن فشلت في أن أرى هيلينا. وطوال الوقت كان ماسيك جالسا في وضعه المعتاد، برجليه على المقعد المقابل . . . لا بد أن المشهد الذي شاهدته كان مسبوقا بآخر، أكثر خطورة، واختفاؤها من القطار لا بد كان نتيجة شيء لم أعرفه.

لا أذكر إن كنت نادما أم آسفا على ذلك، لأن الإنهاك كان قد شوش حواسي، بما فيها كل العواطف. كل ما كنت أفكر به كان حماما ساخنا بعد مغادرة القطار. حاولت طرد هيلينا من رأسي بتصميم. لكنني كنت مصابا بضيق شديد بوصولنا إلى مالبورك، واستطعت أن أحصل على قسط من النوم الجيد، وأخيرا استنتجت أن هيلينا لم تكن موجودة.

في عربة البوفيه في مكان ما بين ألمانيا وبولندا، قابلت دانوتا السمينة الرقيقة، التي كانت تقرأ النيويوركر.

أخبرتني: "قصة بوريسوف منشورة هنا"

كانت متحمسة. وبمجرد ما تحدثت، لاحظت ذلك في صوتها. لكن الأمر الأكثر إثارة للسخرية كان أنها حاولت إخفاء عصبيتها خلف قهقهات غير طبيعية وابتسامات منزعجة.

Twitter: @ketab_n

"بوريسوف الذي نعرفه؟" لست متأكدا من سبب دهشتي. لقد بدت النيويوركر كقمة صعبة المنال، بينما كان ذلك الرجل ببنطاله الأزرق ومظهر بطل أفلام هندي عجوز، قريبا جدا.

"أنت متفاجئ، ألست كذلك؟ ها ها ها !" ضحكت دانوتا وأعطتني المجلة. "أجد أن المدهش شيءٌ آخر، ما السر المدفون في نصه والذي أخذه إلى النيويوركر البعيدة"

في الواقع، كنت مندهشا أن أجد أنّ كاتبة كرواتية تسأل نفس أسئلتي، أنا سليل الجورجيين القوقاز.

سألتها: "هل يمكنني استعارتها"

" نعم بالتأكيد، خذها، لقد انتهيت من قراءتها . . . ها ها ها ! إنها عن حبيبين من صوفيا. خلال الحرب العالمية الثانية. لا بد أن ذلك هو ما أحبوه فيها . . . السياق . . . أما عن القصة نفسها . . . ها ها ها . . . . مصيبة"

لم أتوقع أن تكون دانوتا صريحة معي. ومن جهة أخرى، ككاتبٍ، كنت سعيدا لأنني أشاركها نفس التساؤلات.

"بشكل مباشر: بوريسوف غير موهوب إطلاقا" اتسعت ابتسامتها. "لكنه وجد السر، أمسك بشيء جعله يعبر الحدود . . .

Twitter: @ketab_n

أعني عبر المحيط . . . ها ها ها . . . جعله مثيرا للاهتمام. أوه. لا. ليس قريبا حتى من أن يكون شعبيا بحق - الله عادل، لم يكن ليسمح بظلم كهذا - لا يا سيدي، على الإطلاق! ها ها ! في الحقيقة، فهو أكثر شعبية منك ومني بالفعل - نشرت نصوصه في النيويوركر، وليس البرافدا خاصتك! أم أنها ليست لكم؟ آسفة . . . على أي حال، تعرف ما أقصده، أليس كذلك؟ ليست ماونت أوليمبيا وهي بعيدة جدا عن جائزة نوبل، لكن لا يزال الأمر . . . ها ها ها ! وأنا أستمر في الكتابة . . . لثلاثين سنة . . . كم عمرك؟"

"ثمانية وعشرون"

"أنا بعمرك ككاتبة"

"شكرا"

"علام؟ أنت ثمانية وعشرون وكم من السنين أمضيتها في الكتابة؟"

"سبع . . . خمس"

"سبع أم خمس؟"

"سبع"

"ما يعني خمس . . . باختصار، أنت تكتب وتكتب، ونصوصك تقرأ فقط في النوادي. لا يمكنك الهرب من النوادي . . ."

Twitter: @ketab_n

"أي نوادٍ؟"

"النوادي الأدبية"

"ليست لدينا نوادٍ أدبية"

"أسوأ بمراحل! لقد ظللت أكتب لثمانية وعشرين عاما ولا يمكنني الهرب من الكروات. الكروات وليس كرواتيا! لقد غادرتها منذ عشر سنوات . . . كنت مضطرة – ليس بإرادتي الحرة! قلت إن الصرب والكروات هما أمة واحدة فطردوني فورا، كما تعرف. أقصد أنني كتبت أيضا تاريخ كرواتيا، بوريسوف إذن ليس الذكي الوحيد! نحتاج لأن نكون أذكياء. أليس كذلك؟ المنفى هو موضوعي"

"نعم، ولكننا منحوسون أيضا" ضحكت.

"هذا ما يصيبني بالجنون" تحولت إلى الهمس. "لن نقترب أبدا من بوريسوف" ضحكت بصخب ثانية. "أحدهم قام بلعننا، صح؟"

"لكن أعمالك قد ترجمت، أليست كذلك؟" بدوت كصحفي فجأة.

"نعم. لا. إلى الألمانية والفرنسية. لكن مقاطع فقط. لا يوجد كتاب. أتمنى أن ينشر كتابي في فرنسا! وأريد ذلك بشدة. اللعنة! ها

Twitter: @ketab_n

ها ها ! ألا تفعل أنت؟ أريد أن أهزم الإنجليز بكتابي! لقد وصلت إلى الحلقوم! " أشارت إلى حلقها. "الألمان الكروات، والألمان الصرب، والكروات الكروات، والصرب الصرب"

"أنا أيضا أكره الجورجيين. لا يستطيعون القراءة"

"هل لديكم نفس المشكلة التي يعانونها في كوريا؟"

"لا، نحن أرثوذكسيون"

"نعم . . . لكن لا تقرأون، أليس كذلك؟؟"

"ثلاثة آلاف يقرأون . . . ويشتري ألف"

"برافو كم عدد سكانكم؟"

"أربعة ملايين"

"ما يعني ثلاثة. نعم . . . لقد ضحيت بحياتي الخاصة من أجل الأدب! لأنني أعرف أنك لو ارتبطت بالآخرين، لا يمكنك النجاح. أتذكر مصير ووتان؟ أم أنك لا تحب فاجنر؟ لكن ما فائدة ذلك؟ كلما أخلصت إلى الأدب، كلما كسرت قلوبا. وكل هؤلاء هم أصدقاء وأفراد عائلة. لا بد أن برويسوف قد قتل زوجته أو أحد أبنائه ليتم نشره في النيويوركر! صح؟ ها ها ها ! لا بد أنه قام بتضحية معتبرة من أجل إنجازه! أنا متأكدة أن السيد أكونادال أكل ابنه حيا، أو على الأقل

Twitter: @ketab_n

قطته. كيف يمكنه الحصول على نوبل إذن؟ لم يكن ليفعل في حياته! على ما يبدو فنحن لسنا وحشيين بما يكفي . . . "

لولا الرحلة المرهقة، لما كانت تحدثت كثيرا. وعلاوة على ذلك، لا بد أنها أثقلت في شرب البيرة. كنت أشعر بالسوء بالفعل لكن السيدة المتوترة جعلت الأمر أسوأ مائة مرة. ما زلت أذكر الرحلة بين فرانكفورت ومالبورك ككابوس. كانت غاضبة جدا لدرجة أن ذراعيها، وخديها، احمرّا، وكتل الدهن المتراكبة عليها اهتزت بينما أخذت تهذر. أظن أنها كانت ترتعش. أو لعلني كنت مرهقا إلى حد الموت (مع صداع قاصم) وتلقيت كل شيء بشكل قاصر ومؤلم.

أذكر أيضا أنني كنت أسب نفسي، ودانوتا، وبوريسوف الذي تسبب نجاحه في سورة غضبها، وفوق كل شيء، ماسيك. كان خطؤه بشكل أساسي، أن القطار فقد راكبا بتلك الأهمية.

مصحة مالبورك (ليس فندقا بالتأكيد بالرغم من أننا كان يجب أن نعتبره فندقا) سببت لي حالة عميقة من اليأس. من العادل أن أذكر أن الموقع كان جميلا – "الفندق" كان في وسط الغابة، لكنني لم أهتم بمنطقة الغابات. كانت لدي مشاكل في قتل الوقت في مدينة، فماذا علي أن أفعل في تلك النواحي الرعوية؟ فجأة شعرت بالرغبة في العودة إلى تبيليسي. لم يكن هناك ما يبقيني في مالبورك. ولا شخص واحد. حقيقة. في تلك اللحظة كرهت وطني أيضا بكل تكراره، ومظاهراته،

Twitter: @ketab_n

ودباباته الروسية التي تبعد عن العاصمة بمسافة ٤٠ كم، لكنني لم أطق أي بلد آخر أيضا. شعرت بنوبة من الغضب تتصاعد عندما أدركت أنني علي أن أنسى هيلينا، وأتمشى في الغابة، ثم أكتب قصصي ممددا في السرير(أين سأكتبها فلم تكن هناك طاولة في الغرفة!). لا أطيق الكتاب الذين يكتبون عن الكتابة في الريف. وبشكل عام، لا أطيق الكتاب الذين يلوحون بصورة محبي الطبيعة!

بمجرد مغادرتنا لألمانيا، عاد إيليكو إلى سيرته الأولى. ترك أدبه، وفضائله الأخرى في ألمانيا وتحول إلى شخص عجوز، شكاك، متوتر. "قد تكون هناك جرذان هنا" قال. "لقد اكتشفت علامات أسنانها على سرير. لا تتركوا نوافذكم مفتوحة بالليل - قد تزوركم القوارض!"

عندما دخلنا غرفتنا (كنا سنتشاركها)، وضع زفياد حقائبه على السرير (على حد علمي، لم يقم بشيء مشابه في غرف الفنادق الأخرى - لا بد أن تلك كانت طريقته في معاقبة المكان ونفسه) وتفوه بجملة جديدة تماما:

"سأسكر هنا"

في تلك الأثناء كنت أتأمل الذهاب إلى الغابات وشنق نفسي في أول شجرة أقابلها.

Twitter: @ketab_n

لم يكد زفياد يخلي سريره حتى طرقت ميلينا على بابنا:

"هناك قلعة رائعة هنا وسنزورها غدا صباحا، كما أن هناك ديسكو يمكننا الذهاب إليه في المساء. يمكننا أن نسترخي، ونرقص، ونلهو قليلا هناك، أوكي؟"

نعم، لقد لهت بالفعل، بيما جلس بعضنا مثل الكراسي . . .

التفتت إلى زفياد قبل أن تخرج:

"ها هي ترجمة قصيدتك" وأعطته قطعة من الورق في ملف شفاف. "ستقرأ غدا في القلعة"

"أية ترجمة؟" سألته بعد أن غادرت ميلينا.

"لا أعرف. رودي طلب مني أن أعطيه قصيدة للترجمة من أجل قراءة"

"شعراء فقط؟"

"كيف يمكنني أن أعرف؟" هز زفياد كتفيه.

أها! من دون دراية باللغة استطاع أن ينشئ علاقات أدبية ذاتية مع رودي.

كانت تلك أول اكتشافات مالبورك: اكتشاف استقلال زفياد.

Twitter: @ketab_n

لو أنني نزلتُ في فندق محترم، لم أكن لأذهب إلى الديسكو، لكن اكتشاف الحياة الثقافية لمالبورك كان أحب إلي من غرفتي. تفكير جيد، وإلا لكنت ضيعت فرصة حضور انفجار الطاقة الجنسية!

سأذكر لبقية حياتي كم كان السيد زيتونتسيان سعيدا عندما شاهد الراقصين والذين يتبادلون القبلات، قائلا بشجن:

"لو أن إنجليزيتي جيدة مثل روسيتي، كنت لأقف في منتصف ساحة الرقص"

لا بد أنه كان ثملا وإلا لم يكن ليئن هكذا في حضوري.

لاحظت قطرات من العرق حول جبينه . . . تخيلت كم أنه تاق إلى أن يندفع وسط مجموعة الفتيات الألمانيات الشقراوات النضرات، ويعض مؤخراتهن.

من الواضح أنه لم يكن ليضع في اعتباره مدام أناييت، وأنه فشل في فعل هذا مع الكاتبات الأجنبيات. لكن تلك الطريقة التي نظر بها إليهن . . . أظنه كان الأكثر شبقا بين من كانوا في الديسكو في تلك الليلة. وبعيدا عن حبات العرق على جبينه، فإنه لم يكن واضحا من مظهره كم كان مثارا. وأسلوب ملابسه، وكأنه أراد أن يخفي خطيئته تحت سترة رمادية، وبنطال أسود، وربطة عنق سوداء، وحذاء ضخم ملمع جيدا ومهترئ. بدا كرجل اعتاد أن يرتدي ملابس رياضية، منذ

Twitter: @ketab_n

عشرة أو خمسة عشر عاما (بالتأكيد كانت زرقاء بخطوط بيضاء) في ديسكو . . . لو أنني أتذكر أي شيء من طفولتي، فإنني أتذكر الجنازات المهيبة لأعضاء الحزب ورجالا في ملابس مماثلة يمشون ببطء في صالات المصحات وتفوح منهم رائحة البورش[14].

أراهن أنه كان لديه واحدة من تلك في حقائبه.

أم أن تلك الملابس الرياضية السحرية هي ما يشرح سبب عدم اجترائه على الاقتراب من الأجنبيات.

هل كانت تعترض طريقه بشكل نفسي؟ افترض أنه كان يخاف أنها قد تفتش حقيبته (لدى بعض الرجال مثل تلك الرهابات الغريبة)، وتكتشف ملابسه الرياضية الزرقاء ثم يغمى عليها؟

"ما هذه؟" ألمانية فرنسية إنجليزية قد تسأل بروسيتها الركيكة (وكأن من يعرف القليل من الروسية سيعاقبه زيتونتسيان) وسيصاب بأزمة قلبية من الإحراج!

لو لم أكن مصابا بكسل مرضي، كنت سأكتب قصةً عن السيد زيتونتسيان. الرجلُ الأكثر شبقا والأكثر تحفظا بشكلٍ متصلب، الذي أعرفه!

---

14 مرق روسى من البنجر والخضراوات وقطع من اللحم أو السجق يقدم مع الكريمة المحمضة وزلابية غير محلاة. (مترجم)

Twitter: @ketab_n

لا يمكنني أن أدعي أننا شعرنا بالاسترخاء .

إيليكو ، مثلا ، كان مباشرا بالأحرى :

" سأعود إلى غرفتي . لا فائدة من المكوث هنا . فقط سأستمني "

" سـماذا؟ " سأله زفياد غير مصدقٍ . فقد كان زفياد محتارا في أمر إيليكو إلى النهاية .

" أستمني " ردد إيليكو . " ألا ترى أنهم كلهم اثنان اثنان؟ "

لا بد أن مشهد إرميل تُضاجَع حرفيا من قبل الصربي الجرادة ، آلمه كثيرا . على الأقل هذا ما بدا عليه الأمر .

" لو كنت أكثر فعاليةً كنا لنرى من كان سيضطر إلى الاستمناء " قلت ذلك متعاطفا .

" إنها سيكوباتية " قال إيليكو مكشّرا " أعرفها من برلين . ستبدأ في البكاء في وسط الأمر وستضطر لتهدئتها . صداع لا حاجة لي به . . . "

" هاللو " نادت علينا إرميل فجأة . " تعالوا ، ارقصوا! " دعتنا بتلويحة من يدها .

Twitter: @ketab_n

"عليك اللعنة!" همهمنا في وقت واحد عمليا! حتى زيتونتسيان قدّر رد فعلنا بابتسامة.

من كان هزليا بشكل لا يحتمل هو الروسي الكبير. لم أر راقصا بهذه الغرابة في حياتي. رباه، كم لوح بذراعيه وبأي تعبير على وجهه! لا بد أنه الروك آند رول على الطريقة الروسية في حفلة لينينجراد في الستينيات. شكّل مرفقاه تهديدا مستمرا لمن حوله. وحركة رجليه شهدت على أنه لم يسمع الموسيقا. لم يستطع التقاط الإيقاع – كأنه فعل هذا عن عمد، لم تتطابق حركاته مع الموسيقا أبدا. لا بد أنه كان يرقص وفقا لأغنية أخرى في رأسه، فقد بدا كشخصية كارتونية سوفييتيه بالتأكيد – راقصا مثل شخص همجي.

وعلاوة على كل شيء، كان يفعل هذا لكي يجذب انتباه السيدة زولفيا، المقدونية المتكبرة الصامتة. كان من المفترض أن تقع تحت حركات رجليه المجنونة، وهمزاته البائسة، وشعر جسمه الفسفوري (كالعادة كان يرتدي سورالا قصيرا).

الروسي الكبير كان ينظر لزميلته المقدونية كأنه كان على وشك التصارع معها. لكن زولفيا كانت في مكان آخر . . . . كانت منشغلة بنفسها تماما: بعيون مغمضة وشفاه مزمومة. كانت ترقص بعناية وكرامة وكانت كما أظن مستمتعة بذلك للغاية. كانت رقصة العزلة،

Twitter: @ketab_n

لكنها كانت رقصة كريمة. لا بد أنها كانت ترى أنها مثيرة جدا في تلك اللحظة ولم تلق بالا إن لم ينجح الآخرين في ملاحظة جاذبيتها. الروسي الكبير وزولفيا كانا يسمعان لحنين مختلفين لأنه كان يتلوى مثل زعيم قبيلة مايا يستحضر الشياطين، بينما كانت تحرك هي جنبيها بأكثر الطرق نبلا واقتصادا.

كان هذا آخر ما أردت رؤيته في ديسكو مالبورك. فكرت أن هذا يكفي وغادرت جماعة المشاهدين المستمنين.

عندما وصلت إلى الفندق، ظننتُ أنني رأيت هيلينا.

كانت ممرات الفندق مغطاة ببسط حمراء طويلة، والجدران والأسقف والكراسي أمام المرآة في منتصف القاعة، كانت ملونة بأحمر قان. وبينما كانت جميع ممرات الفندق منارة بضوء مبهر، فقد كان هذا الممرِ بالذات خافت الإضاءة إلى درجة احتجت فيها إلى الاعتماد على حواس أخرى غير البصر. كنت قد وصلت إلى غرفتي بالفعل عندما سمعت بابا يغلق بصوت عال جدا في آخر الممر الطويل. فكرت في التو أن افتراضي كونها هيلينا مَخطيء. هيلينا، أو من تشبهها، صفعت الباب، ودخلت الغرفة المقابلة لتلك التي غادرتها.

"هيلينا" أذكر أنني تمتمت باسمها واتجهت إلى الناحية التي اختفت فيها.

Twitter: @ketab_n

لا أزال أرى أرقام الغرف: ١٠٢، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٨.

لم أجرؤ على طرق الباب. حرفيا، وضعت أذني على الباب آملا أن أسمع صوت هيلينا. لكن لم يصلني أي صوت، لا صوت هيلينا ولا صوت ماسيك. كان الصمت خلف الباب مطبقا، تماما مثل مقابر بير لاشيز. انتظرت بلا طائل لأسمع خطوات هيلينا، عطستها، همستها، بكاءها، أو تثاؤبها. أي صوت يشهد بوجودها هناك. أنصت لباب ١٠٢، ثم ١٠٤، و١٠٦، و١٠٨ ... انتهت الردهة بتلك الغرف. تمنيت أن يطلق ماسيك ريحا على الأقل، فأتأكد أن المعتوه قد حبس البنت خلف أحد تلك الأبواب.

لكن لا، لا بد أنه جلس يقرأ قصتي. أو نام مثل اللوح، ثملا، على بطنه.

لو أن الأمر كذلك، لماذا لا أسمع غطيطه؟

كان الصمت مريبا. أو هكذا بدا لي. مشيتُ رائحا غاديا في الردهة ذات الجدران الحمراء البنية، عدة مرات، ولم أسمع إلا نبضي. كانا صامتين خلف الأبواب وكأنما نكاية بي.

بل إنني فكرت حتى في الاتصال بها، لكنني قررت ألا أفعل، مخافة زوجها.

Twitter: @ketab_n

ماذا يمكنني أن أقول لو رد ماسيك على الهاتف؟

مرة أخرى، أشعر أنني أمسكت بشظية من شيء. مشهد آخر انتهى. لكن هذه المرة لم أكن واثقا تماما أن المرأة التي تسببت بالجلبة هي هيلينا.

أتذكر الآن كم كنت غاضبا لوضع نفسي في ذلك الموقف الغبي. لم يكن علي أن أركض هكذا، رائحا غاديا، قلقا على شخص بالكاد أعرفه. كان لدي ما يكفي من الهموم: الدبابات الروسية، القنبلة الساقطة على تبيليسي، الانفصال عن إيلين . . . ألم يكن ذلك كافيا؟ مدام روجيه والروسي الأبيض ميكي ماوس أغرما ببعضهما، ميلينا وفايتاس أصبحا معا، هاينز ورودي تمشيا يدا بيد في ليل مالبورك. لكن، وبخلاف إيليكو، لم تكن لدي الشجاعة لأغيظ العالم كله وأستمني باسم كل المنحوسين، بفخر، وبحزم.

من هي هيلينا على أية حال؟ لقد رأيتها ثلاث أو أربع مرات، لماذا إذا من الإشكالي إخراجها من عقلي؟ لماذا علي أن أبدأ في كراهية كل ما حولي بسببها؟

ذهبت إلى غرفتي بهذه الأفكار المقلقة وعرفت فورا أنه لن يمكنني أن أنام، بسبب كورال الضفادع النشيط.

Twitter: @ketab_n

سببت الضفادع الموسيقية أربع مرات خلال الليل. مرتان من النافذة ومرتان من دون أن أخرج من سرير. وفي مرة قذفتها بكوكاكولا. ثم استسلمت وبدأت في قصة بورسيوف. أو بالأحرى نمت بجوارها فقد كنت أقرأ وأنا مستلق على السرير. لا يمكنني أن أقول أن وقت فراغي كان مريحا بشكل خَاص، فقد صمم مالبوركيّ مجهول الإضاءة وثبتها فوق سريري تماما وجذبت تلك الإضاءة آلاف الحشرات، التي كانت تحترق وتسقط ميتة على مجلتي، بينما تأتي أخرى لتحل محلها.

ومحاصرا بين النقيق والكرنفال المميت، قرأت قصة بورسيوف إلى النهاية.

...

سيغادر. سأبقى!!! لا يهمني ماذا سيحدث عندها. لا أبالي بما يريد. لا أبالي بما يفكر. لا يهمني شيء. يمكنه أن "يغور"! ليست لديه فكرة عما يفعله. لم يجادلني حتى. "افعلي ما يحلو لك" إلى الجحيم أنت و"ما يحلو لك"! فكرت أن أضربه . . . . لو لم أندفع خارجة كنت لأفعل. العجوز القبيح! أقول له أن الأمر انتهى بالنسبة لي ويقول "كما يحلو لك" رباه! لكن ماذا تريد أنت؟ أنت بالذات؟

...

Twitter: @ketab_n

كل ما يمكنني قوله إنها كانت مذكرة تاريخية أكثر منها قطعة أدبية. وبعكس من دانوتا، لم تغضبني. بل إنني في الحقيقة استمتعت بقراءتها. فقد وضح النص كيف يمكنك أن تكتب إلى الأجانب. كانت القصة عن زوج وزوجة في وقت كانت الحرب العالمية الثانية فيه تضطرم خارج نافذتهما. الفضل يعود إلى الحرب في أن تصل القصة إلى النيويوركر، وإلا كنت لأشك أن القصة البسيطة عن الزوجين من صوفيا جعلت بوريسوف بهذه الجاذبية. ماذا يمكن أن يجذبهم في زوجين من صوفيا؟

كان بوريسوف ذكيا: فقد استطاع تضمين اضطهاد اليهود وكان لديه كل الحق في فعل ذلك. بالطبع، لو أن امرأة تجلس في النافذة في قصتك والعام كان ١٩٣٩، سيكون من الغريب إن لم تخطط لأن تخبئ صديقا يهوديا، ومن جهة أخرى، فهي ليست مغرمة بضابط نازي. لكننا نواجه الإشكال هنا: قراؤك المحليون يشعرون بالملل مما يجده الأجانب مثيرا للاهتمام في قصصك البلغارية. ومن الجهة الأخرى: ما يثير مواطنيك يظل غير قابل للفهم بالنسبة للقراء الأجانب.

لو أنني وضعت امرأة من قصصي في النافذة وبدأت أن أروي أحداث استفتاء ١٩٩١، سيقول لي القراء المساكين بالتأكيد إنهم باستطاعتهم الذهاب إلى المكتبة والنظر في صحف ١٩٩١ لو أنهم أرادوا أن ينعشوا ذاكرتهم. "أعطني امرأة صافية" سيقول قارئي،

Twitter: @ketab_n

"وأعطني بعض الرومانسية. بعض الجنس، ويدي رجل تتسحبان، بعض المطر، والرصاص والدم، ولكن أخرج الاستفتاء اللعين من المسألة! لا أريدك أن تذكرني بالبطريرك الذي أتى ليبارك مجلس شعب المعارضة، فأنا أذكر ذلك جيدا"

باختصار، لو أنك لست ذكيا بحق، فستخسر إما قراءك أو القراء الأجانب. يمكنني أن أدعي أن بوريسوف قد ضيّع قراءه المخلصين بالفعل. لا بد أنه قد أسعد بعض مواطنيه المتطلعين مع ذلك ("أوه!، كاتبنا منشور في النيويوركر!"). وهكذا، ومتبعا نصيحة دانوتا، عليك أن تتجاهل مواطنيك (عدا بعض المتملقين) وتكتب للقراء الأجانب فقط! في أية حال أخرى، سينتهي بك الحال بنصف دستة من القراء في قريتك الأدبية إلى الأبد.

كان يمكن أن يعلق بورسيوف مع حفنة قراء بلغاريين لو لم يعلي التاريخ ومشاكل بلغاريا المحلية فوق اهتماماته.

أليس من الحقيقي أن الإقليم أهم منك بكثير؟ للإقليم فرص أكبر لجذب انتباه القارئ الأجنبي السليم لأنه أكثر جاذبية من موهبتك. الإقليم كبير، ومليء بالمشاكل(لا يوجد إقليم خال من المشاكل)، الإقليم مثير، "وهو كان ولا يزال مليء بالأزمات، الأقليم خاض الحرب، يا له من أمر صادم، العواطف تشتعل في الإقليم

Twitter: @ketab_n

وأنت . . . أنت صغير. حاول أن تقول قصتك بجوار قصة الإقليم وقد تصبح في يوم ما بوريس بوريسوف!

لماذا لا يمكن لدانوتا أن تصف مشاكلها الإقليمية؟ أليست تلك كثيرة؟ أم أن النيورورکر تهتم ببلغاريا بشكل خاص؟ كيف يمكن للكاتب أن يتوقع أي الأقاليم سيكون على الموضة في العام القادم مثلا؟ هل هناك حرب ستقوم في مكان ما يجب أن أعرفه؟ هل سيذبحون رهينة في مكان ما؟

يجب أن يتم الإعلان عن ذلك: في ٢٠٢٠ سنكون مهتمين بانتخابات مجلس شعب قرغيزستان، بينما في ٢٠٣٠ سنركز على الروايات التي تتناول الأمم المتحدة.

لولا أن زفياد كان يلعب بالمفاتيح، لم أكن لأضع المجلة إلا بعد وقت طويل. كنت أكثر إرهاقا من أن أحدثه، وهكذا قبل أن يتنحى جانبا، أغلقت المصباح (منقذا آلافا من حشرات الكاميكازي عديمة العقل من الموت المحتوم) وادعيت النوم.

كان متبوعا برائحة الفودكا أو بالأحرى كانت هي متبوعة به. في البداية كانت الرائحة (التي قتلت الحشرات التي ظلت حية كما أظن) ثم أتى زفياد.

Twitter: @ketab_n

"هل أنت نائم؟" سأل بصوت عال. لو كنت نائما بحق كنت سأستيقظ، لكنني لم أكن نائما، فلم أجبه، محافظا على ادعائي بالنوم.

"حيوان!" قال هذا، قاصدا إياي فعلا- وواثقا من أنني لا أستطيع سماعه.

ولأكون صريحا، لم أشعر بأية إهانة. بل إنني شعرت بالتعاطف مع غضبه البائس. لا بد أنه أراد أن نشرب معا، ونقرأ القصائد، ونمدح الكتاب العجزة بغيظ (المعتوه العجوز جيد، لديه تلك السطور العظيمة . .) وفي أثناء ذلك، لم يمكنني أن أسانده، ومدحته مرة واحدة فقط عندما قرأ قصيدته في مدريد. وتجاهلت تماما الممارسة المؤسسة جيدا للمديح المستمر، يجب عليك أن تلعن نظراءهم وتخبر الشعراء كم أنهم عظماء وترجوهم راكعا أن يقرأوا المزيد من عبقرياتهم . . . لو لم تفعل، سيبدأون في كراهيتك: يتسللون إليك في نومك، وأنت مكشوف تماما، ويقولون لك، يا حيوان!

اصطدم زفياد بالدولاب ثلاث مرات، عن قصد ربما. كان رد فعلي هو غمغمات تدل على أنه يزعج نومي العميق. ذهب إلى الحمام، بال بصخب، ولم يستخدم السيفون ودخل سريره من دون أن يغسل يديه. غطيطه السريع جعلني أشك في أنه بدأ في النوم بينما كان يبول. المجيء إلى السرير كان آليا تماما.

Twitter: @ketab_n

لسوء الحظ، عندما غفوت فعلا، صحيت على جلبة عظيمة، وصرخة تمزق القلوب.

"ما الذي يحدث؟" سألني زفياد. فقد أيقظته الضجة كما أيقظتني.

كان هناك شيء ضخم وثقيل يضرب الحائط فوقنا. وكانت هناك امرأة تصرخ كما لو أن أحدهم يذبحها. من آن لآخر أيضا أصدرت أصوات شخير مما لا بد جعلني أفكر في رقبة مذبوحة. لكن أيضا كان رأسها يُضرَبُ في شيء كبير وضخم.

على الأقل كانت تلك هي أفكاري قبل أن أستيقظ. الضحية كانت تصرخ وتغني وتبكي، كما ظننت.

زفياد أيقظني من الكابوس.

"أحدهم ينيك ميلينا" نطق هذه الكلمات بصوت وسيط روحاني: بعمق العالم الآخر.

سألته: "كيف يمكنك أن تجزم؟"

"أنا شاعر، يا ولدي، لدي أذن جيدة. لا يمكنك خداعي!"

نهضت ومططت رقبتي. لو يمكنني أن أشد أذني مثلما تفعل الحيوانات، كنت لفعلت ذلك أيضا. كنت مصمما على تحديد ميلينا وسط الأنين والصراخ والشخير.

Twitter: @ketab_n

ظننت أنني نجحت. "هاينز طلب منكم"، "هاينز ينتظر"، "هاينز يريد" نعم، كان صوتها بلا شك.

كم هو مدهش التبدل الذي يصيب صوت امرأة تصرخ.

"هذه الضجة هي صوت السرير يضرب الحائط" شرح لي زفياد.

"لست غبيا، لقد فهمت ذلك" كنت أشعر بالإهانة.

يا لقوة تلك الفتاة النحيفة، يا لصوتها ... لا بد أن الفندق بأكمله قد استيقظ. أي شخص طبيعي يمكنه النوم وسط هذا الصراخ والضجيج؟

"جائزة فايتاس!" بدا زفياد حزينا. ثم أضاف بحزن شديد: "المسكينة، إنه حيوان حقيقي"

"هلا استمنيننا؟" اقترحت.

"لا" بدا حازما، وجادا للغاية.

في هذه الليلة استيقظت مرتين أخريين: الأولى، كانت على شخير عنيف جعلني صاحيا لفترة، ثم عند الفجر، كان أنينٌ يشبه المواء ... يمكن أن تكون هذه إما مدام روجيه، أو زولفيا المحترمة التي رفضت الروسي الكبير، لكنها وقعت في غرام ملك الضفادع.

Twitter: @ketab_n

كانت ليلة جحيمية: النساء كشفن عن حقيقتهن.

في الصباح تم اقتيادنا إلى قلعة مالبورك.

"يجب أن أنظر في عيني ميلينا" أخبرني زفياد.

على أي حال، لم تظهر عليها أي من علامات الليلة المثيرة. ولا كانت حبالها الصوتية مدمرة. بل بالعكس، بدت نشيطة بشكل ملحوظ:

"استيقظوا، الحافلة ستغادر بعد ثلاث دقائق!"

كيف يمكننا الاستيقاظ إن لم نكن قد أغمضنا أعيننا؟

باختصار، كانت ميلينا القديمة نفسها (تمنيننا رغم كل شي أن يغيرها الجنس إلى الأحسن). مشغولة بتسليم المظلات الحمراء في القاعة، لم تبتسم كثيرا لفايتاس.

كانت تمطر بثبات بالخارج، وكان يجب أن يأخذ كل منا مظلته.

لم يكن زفياد ليحمل مظلة كهذه في تبيليسي لأنه لا يزال يعتبر ذلك عارا على الرجال الجورجيين أن يحملون المظلات. لا يحرم ذلك أحد ولكننا نرفض المظلات عموما. نبتل، ونصاب بالبرد والالتهاب الرئوي، لكن نرفض تماما حمل مظلة في أي مكان.

Twitter: @ketab_n

هناك، في مالبورك، أخذناها لأنه لم يكن لأحد أن يظننا مثليين لو مشينا في الشارع حاملين المظلات.

"سيأخذ إيليكو مظلتين، سترى" أشار زفياد إلى مشرفنا المنكوش.

لون إيليكو وتعبيره المر أشارا بوضوح إلى أنه كان ضحية من ضحايا الليلة الماضية. خداه النابتان كانا بلون أخضر مصفر. وكان لديه عيون متسخة، بدا كطفل يعاني من الرمد.

"ما هذا؟" سأل زفياد مشيرا إلى المظلات.

"ثلاجة" أجاب زفياد.

"هل هي مجانية؟" رمقه إيليكو بنظرة ممتعضة.

"السود فقط، لكننا سنعيد الحمر"

"لا يمكنني رؤية السود هنا" نظر حوله.

"كان هناك القليل منها لكنها نفدت . . . "

"مزاجك جيد وتمزح ها؟" فح إيليكو، ليس بسخرية، ولكن بقرف أصيل ومكشوف.

"هل أمضيت ليلة سيئة؟" سألته.

Twitter: @ketab_n

"لا أذكر" هز كتفيه. "إنهم يبقونني في حفرة. أترك بنطالي في الخارج، وإلا لن يمكنني الدخول إلى غرفتي. إنها جحر حمام، وليس غرفة! وأنا معلق من الأعلى مثل الخفاش. هل تعرف أين صنبوري؟ عند السرير! لو رفعت رأسي فجأة، يمكنه أن يشجها"

"ماذا عن حمامك؟" ضحك زفياد. لم يكن من المفترض أن يفعل حسب الأصول، لكنه فعل.

"لم أنظر بداخله حتى. الباب رقيق جدا وأخاف أن ألمسه. لم أستخدم الحمام طوال يومين. لا بد أن الجو سبب لي الإمساك. وقد ثقب نقار الخشب رأسي."

"بالنسبة لي فهي الضفادع" قلت.

"نقار الخشب بالنسبة لي"

"وتلك" أشار زفياد إلى ميلينا

استدار إيليكو إليها وقال: "ماذا فعلت؟"

"عرضت نفسها بصخب"

"ماذا؟ هل ضاجعها أحدهم؟"

"نعم، للغاية..."

"تستحق، فتاة نضرة"

Twitter: @ketab_n

حسنت تلك المعلومات من موقفه تجاه العالم بشكل ملحوظ. لكن على أية حال، فقد غام وجهه ثانية بمجرد أن دخلت إرميل والجرادة الصربي معها إلى القاعة.

وعلى العكس من ميلينا وفايتاس، لم يحاول هذان أن يخفيا فرحتهما. وقفا بأيدٍ مشتبكة ولاحقا قبلا بعضهما أمام الجميع في الحافلة.

"ليست طبيعية. مسكين، ستصيبه بالجنون" قال إيليكو وتوجه ناحية المظلات. استغرق وقتا طويلا في الاختيار، قام بفحص كل منها بدقة وعمق. في النهاية نادانا:

"هل تنفع هذه؟"

"نعم" أومأنا.

لن أنس كم كان مؤلما لمدام روجيه أن تصعد إلى الحافلة. ظهرت عليها أثار الليلة الماضية بالتأكيد. كانت ذابلة تماما! تبعها الروسي الأبيض الميكي ماوس مثل حارس شخصي، وساعدها في تسلق الحافلة. كان هدف لاعب كمال الأجسام الأدبي واضحًا كالشمس: كان يريد أن يؤمن مستقبله بعضلاته التي لا تتعب، وبتكريس نفسه لها: "سأعاقبك مرات ومرات، يا مدام روجيه. سأسعدك مرات كثيرة، وأخطف أنفاسك بعملياتي التأديبية. سأجعلك تشعرين

Twitter: @ketab_n

بالشباب، وتنسين معاشك، وتكرهين أحفادك. ستغرمين بي، وتتزوجيني وعندها، بمساعدة الله، ستدعين عائلتي أيضا: ماما، جدتي، وتانيا: سنعيش كلنا في باريس. سأتسلل إلى مشهد الأدب الأوربي مستخدما ظهرك العجوز كزنبرك. وعندها سأشتري لنفسي تي شيرتات جديدة: سندريلا روسيا البيضاء، سندريلا روسيا البيضاء"

"نعم، إنه مصمم على الزواج منها" وافق زفياد وأضاف فورا: "لكنها ليست بهذه السذاجة. جيلها جيل قوي، كما تعرف"

لا يمكنني الحديث عن مدام روجيه، لكن قلعة مالبورك أطلقت مشاعر إنسانية في شخص شكاك مثل إيليكو. بشكل غير متوقع وجدنا أنفسنا في العصور الوسطى، كانت القلعة مبنية بالطوب الأحمر، ومن بعيد بدت كبحيرة حمراء موضوعة في وسط الغابة. بدا المشهد رائعا: الغابة رمادية بفعل المطر، والنهر مغطى بالدوائر الصغيرة بسبب الأمطار وبانعكاس القلعة. لماذا يأخذون الأطفال إلى ديزني لاند وليس هنا؟

"هذه هي مالبورك!" لم يستطع زفياد إخفاء إعجابه. جهز إيليكو الكاميرا البلاستيكية وطلب منا أن نقف على جدار القلعة.

"لا بد أن تعرف الأمة أنكم زرتم المتاحف لأنهم يظنون أنكم جهلة"

Twitter: @ketab_n

كانت لقطة غبية: زفياد وأنا، كلانا بعيون محمرة، نقف بمظلتين حمراوين على جدار أحمر قان. بدونا كزوج من مصاصي الدماء الأصليين على جدار الكرملين.

اقترحنا أن نلتقط صورة لإيليكو أيضا لكنه رفض عرضنا.

"لم أغتسل بعد"

بعد برهة قصيرة تم أخذنا إلى قاعة كبيرة مزينة بأعلام بيضاء وحمراء. كانت القصائد ستقرأ هنا.

"لو أنني من سيقرأ فلن أهتم" كانت عصبية زفياد ظاهرة. "أنا جيد في التعامل مع الجمهور. لكنني أخشى أن يفشل القارئ"

قبل قراءة الشعر، دعي الروسي الصغير إلى الميكروفون.

"السيد بوشكوف لديه تصريح" قال هاينز.

سرعان ما عرفنا أن تصريح الروسي الصغير خاص بنا.

"زملاؤنا، أصدقاؤنا الجورجيون غير مسموح لهم بدخول بلدي" هكذا بدأ. "روسيا رفضت منح تأشيرات دخول إلى الكتاب إيليا، زفيادو وزوراب (؟) ... لا، ليسوا إرهابيين، ولا هم مجرمون، أنتم تعرفونهم جيدا الآن. جريمتهم الوحيدة هي كونهم ولدوا كجورجيين! هذا ما تعتقده السلطات الروسية. هكذا تعاقب

Twitter: @ketab_n

الحكومة الروسية الجورجيين! لكن في الحقيقة، فإنه نحن، عامة روسيا غير المسيسين، من يتم معاقبتهم، نحن، المثقفون الذين يشجبون موقف حكومتهم، يشجبون الحرب، وسياسة منع الجورجيين من الحصول على التأشيرات. ونحن نلتمس منكم توقيع هذا الالتماس الذي كتبه صديقي فلاديمير فارلاموف وكتبته معه. إنه يقول أننا نتعاطف مع زملائنا الروس، ونعترض على سياسة تأشيرات الكرملين التي تميز ضد الجورجيين وندعو نخبة الثقافة الروسية لتساند ذلك الالتماس. سيوضع النص على الإنترنت ويمكنكم إيجاده في:

”no–visa–no–democracy.ru”

توقع الروسي الصغير تصفيق شديداً بنهاية خطابه. لكن هاينز فقط شكره، وتجاهله الآخرون. بعضهم، كما أظن، لم يفهم موضوع الخطاب. أليف الجالس في الصف الأول، استدار مع ذلك ورفع إبهامه لمؤازرتنا. وبالرغم من أن إبهامه المرفوع كان يشير بالأحرى إلى خطاب الروسي الصغير، فقد شعرت بالامتنان. لكنها كانت كلمات هاينز هي ما ظننته مزعجا (على الأقل في وقتها):

"حقا، لقد منعوا زملاءنا من الحصول على تأشيرات إلى روسيا، لسوء الحظ، سيضطرون للبقاء في مالبورك، لكن فقط بشكل مؤقت، حيث سنلتقي في وارسو لاحقا مرة أخرى"

Twitter: @ketab_n

"هلا نقلوني إلى غرفة أخرى على الأقل؟" زجر إيليكو.

"لكننا سنكون مع زملائنا طوال الوقت. لن ننساهم ولا للحظة واحدة!" رفع هاينز صوته في نهاية كلامه.

تحدث عنّا كأننا موتى. وبخلاف الروسي الصغير، فقد تلقى هاينز نصيبا من التصفيق. كما قلت، كان له تأثير سحري علينا.

"هؤلاء الأوربيون ليسوا إلا طغمة من المعاتيه غير القادرين على شيء" أخبرنا الروسي الصغير لاحقا. "لا بد أن يتبنوا موقفا أكثر حدة تجاهنا نحن الروس. بل إنه من الأحسن أن يدوسونا ويطبقون المزيد من العقوبات ضدنا . . . لكن ليس ضدنا نحن، العامة. أقصد هؤلاء القحاب في الحكومة، الوزراء، وزوجاتهم، والعصابة كلها . . . لو لم يمكنهم الاسترخاء في المنتجعات الغربية، ربما يتوقفون عما يفعلونه. أو يقصفون بيوت بعضهم بالقنابل"

كان زفياد متأثرا بكلامه لدرجة أنه تحدث الروسية بنطق صحيح لبرهة (الأمر الذي كان معجزة أرثوذكسية أصيلة!)، وشكره بعمق، واحتضنه على الأقل خمس مرات بالرغم من كونه غير سكران. بوشكوف واحد كان أثقل من كل خطايا الروس. في تلك اللحظة كان زفياد مستعدا لينسى كل أخطاء الروس في حقنا: بداية من صواريخ إسكندر التي بحجم الحيتان التي طارت إلى بيوت الناس ورشقت في

Twitter: @ketab_n

خزاناتهم ونهاية بهستريا العاشر من أغسطس عندما انتظر الناس الدبابات المحتلة في تبيليسي.

وفوق ذلك:

اللاجئون وكل ورق الحمام، وماكينات البنوك الفارغة، والمطار الميت، والجنود الروس النائمون على جسر جوري - متشردون بائسون، عارون ويشعرون بالحر، مراتب، مفارش، ملابس، وكراسٍ منهوبة من المنازل المحلية في كومات عالية فوق دباباتهم، وجثث متناثرة في الميدان الرئيسي: مراسلون وسائقو تاكسي في أغلبهم، وامرأة بفستان وردي وجبهة محطمة.

كان زفياد جاهزا لأن ينسى كرامته ويتنازل عن مشاعر الإهانة فقط ليعبر عن امتنانه تجاه الروسي المحترم. كان الروسي الصغير شخصا محترما بالفعل، وقلقا بشكل حقيقي من منعنا من دخول وطنه. الروسي الكبير بدا قلقا أيضا، فقد ساهم في التظاهرة ضد سياسة تأشيرات الكرملين، لكنه وبخلاف زميله بوشكوف، لم يكن ميالا ناحية نقد الذات. ومتشجعا بفعل شكر زفياد النشوان، انتقد السلطات الجورجية وذكرنا بحقائق دعاية الكرملين.

"ما هذا الهراء المجنون! حثالة أبناء حرام! لقد قتلتم ألفي أوسّيتيّ، وقصفتم تسخنفالي، ودهستم طفلا عمره ثلاث سنوات بالدبابة، واقتدتم النساء والعجائز إلى كنيسة وحرقتوهم أحياء!"

Twitter: @ketab_n

"فارلاموف شوفينيّ" قلت له عندما غادرنا الروس. "الصغير محترم جدا مع ذلك"

"إنه بسوء الثاني" تمتم إيليكو بامتعاض. "أكره مثقفيهم أكثر من أي شيء آخر! إنهم هم من يوصل الضربة القاضية. لو أنهم يحبون روسيا فعلا، كان يجب أن يقتلوا ستالين، ويسمحوا لهتلر بالدخول إلى الكرملين، ثم يكسروا رقبته أيضا ... مع كل الآريين، بالطبع ليس وحدهم. هل تظن أن الآريين كانوا ليتحملوهم لوقت طويل؟ سرعان ما كان أدولف سيتبع جوزيف . ومرة ثانية، فقد فشل الأنجلوساكسونيون"

"رباه!" كان كل ما استطاع زفياد أن يقوله.

فتحت مظلتي، ومشيت إلى الحديقة. لا أزال أشعر بالذنب، لكنني لم يمكنني مواجهة قصيدته في هذه المرة.

لو أنني زازا منذ ثلاث سنوات، كنت لأشعلت سيجارة بالتأكيد. التدخين كان مناسبا جدا لمزاجي.

كانت الأرض مبتلة بالمطر، الأعلام المعلقة من المزاريب بدت كمناشف وسخة. لكن مع ذلك، كان المشهد جيدا، وأحببت الوجود هناك...

Twitter: @ketab_n

دخلت هيلينا من المدخل الرئيسي.

في البداية تجمدت، ثم فكرت أنني بدوت مثيرا للسخرية بمظلتي الحمراء . . . اقتربت مني وتوقفت أمامي مباشرة. ربما كان هذا خيالي المريض، لكنها بدت وكأننا قد فعلنا شيئا خاطئا ونحن الآن مصابون بالإحراج من رفقة بعضنا.

أذكر أنني أخبرت نفسي: "الفتاة لك". أيضا خمنت أنني لا يجب أن أزعج نفسي بمسألة المظلة وأنه علي أن أقول، مباشرة وعلى الفور:

"من الجيد أنك لم تغادري"

كلمات عادية، لكنها قلبية، ودالة . . .

Twitter: @ketab_n

"جلستُ في حجر خاشاتشوريان[١٥] عندما كان عمري ثلاثة أعوام. في عمر الثالثة والعشرين أخذتُ رحلة عبر أحلام باراجانوف[١٦] . . . "

هذه هي بداية النص الذي أحضره من أجل مسابقة السمبليسيسموس. دائما ما أكتب ما أشعر به وأختبره. لا أعيش في الواقع. بيئتي الوجودية هي الحيز الجمالي. عناصر الحلم المصطرعة. عالم الأصوات والصور الدقيق. هذا هو "وطني" الحقيقي . . لهذا أشعر أنني في بيتي في أحلام يقظة كرنفال بيرج . . .

أذكر الجليد. جادة أبوفيان . . . بيرج جوكاسيان، شاب وسيم . . . بكوفيته الصفراء، والبنفسج في يده . . .

"بيرج، من أين حصلت على هذه البنفسجات في منتصف يناير؟"

أذكر حياتي في شظايا موسيقية وصورية.

---

15 أرام إيلليتش خاشاتشوريان: موسيقار سوفييتي أرميني الأصل ولد ١٩٠٣ ومات ١٩٧٤. (مترجم)

16 سيرجي باراجانوف: سينمائي سوفييتي أرميني الأصل أسهم في السينما الروسية ولد ١٩٢٤ ومات ١٩٩٠. (مترجم)

Twitter: @ketab_n

ميلاد كارينا . . .

موت بيرج . . .

زواج نايرا . . .

سيُكتَبُ نصي أيضا بهذه الطريقة الكاليدوسكوبية[17]. مثل كلمات دموع متساقطة كانت مشاعر في وقت ما.

رباه، احفظ لي كارينا.

أرتور ذهب ليمضي الليل في الديسكو . . . أشعر أنه يصبح مسنا أمام عيني. ظللت أراقب هذا الأمر طيلة العشرين عاما الماضية . . .

نعم، إنه يصبح أكبر وأكبر ولكن ليس للدرجة التي يتوقف عندها عن ارتياد الديسكوهات. لا يرقص، فقط يقف ويشاهد الآخرين . . . بالرغم من أننا دائما معا، يبدو أننا نتجنب بعضنا . . . نتحدث عن كل شيء بخلاف الشيء المهم ... وهذا مرهق للغاية . . . أشعر أحيانا بالحاجة الملحة لأخبره في وجهه: "انزع عنك ذلك القناع، يا أرتور! . . . اهدأ، لا أحد يريد منك أي شيء"

17 الكاليدوسكوب: أسطوانة بها ألواح مرايا متوازية ومتناظرة وتوضع بها شظايا ملونة أو خرز وقصاصات ورقية وبالنظر فيها ترى أشكال هندسية ملونة متناظرة. (مترجم)

Twitter: @ketab_n

لدي حلم متكرر: بيرج في التابوت، شموع حمراء مضاءة في الغرفة، وجهي مدهون بالبياض . . . المرآة مغطاة بقماش عليه ورود خضراء، وهو ما لا يناسب الموقف . . . أنزعها وأنظر في المرآة، لكنني لست منعكسة فيها.

لقد أصبتُ أرتور بالضيق من أحلامي. لا بد أنه لجأ إلى الديسكو ليرتاح مني. . . . يريد أن تبتلعه الحياة . . لقد فاض به الحد من ألواني، أسلوبي، وشجني . . .

يا لرقاعة نساء هذه الأيام. وكأن الشيطان قد مسهن . . . لقد قفزن على الرجال مثل كلبات بريات في موسم التزاوج. لست متأكدة حتى إن كان أرتور قد نال حظّه مع إحداهن. لا أريد فقط أن أبحث عنه في المستشفيات.

مع ذلك، وبشكل غريب، لا يمكنني أن أتوقف عن الشعور بأن تلك السطور ستنشر . . . وكأنني لا أكتب لنفسي فقط. وبالتالي، لستُ صريحة بشكل مطلق . . أنا أتظاهر نوعا ما، رغما عن نفسي . . .

اليوم زرنا القلعة القديمة. لا حياة على الإطلاق، فقط رائحة المتحف، رائحة الخراب البائتة . . . السياح يدمرون كل شيء . . . لا أثر للتاريخ الحقيقي، كل شيء زائف، مدّعى. خالفتُ مبادئي

Twitter: @ketab_n

وتمت معاقبتي (أعرف أنني أكره المتاحف أليس كذلك؟). الرائحة النتنة سببت لي صداعا عنيفا . . . بيرج اعتاد أن يخبرني أنني أسبب الصداع النصفي لنفسي . . .

سمعتُ قراءة شعرية. استمتعت بالشاعرة الفنلندية. عندما انتهت من القراءة، طيرت طائرة ورقية إلى الجمهور . . مبتذل، لكنها لمحة مليئة بالحياة. . .

قرأ الروس خطابا مساندا للجورجيين. أيدي الروس والجورجيين ملطخة بالدم، بعد الاضطرابات العميقة بسبب حرب الشهر الماضي والقنابل. شيء مضحك.

رأسي وبطني يؤلمانني. الدورة الشهرية في عمر ٤٦ . . معجزة. لن يتم نشر هذا. لهذا أذكره.

Twitter: @ketab_n

١٢ - في السرير مع هيلينا

تلك الليلة التي غادر في الجميع مالبورك في العاشرة مساءً، ليصلوا إلى روسيا عند الفجر. بعد ساعة بالضبط كانت هناك طرقة على بابي.

"هل يمكنني الدخول؟" سألتني هيلينا.

كانت معها وسادة كبيرة تمسكها على صدرها، وكانت تلبس حذاءً رياضيا أبيض.

قالت: "أنا وحيدة في الطابق الذي أسكنه، الأمر يثير الأعصاب"

فكرت، ماذا عن ماسيك؟ أين هو؟ هل تركته في الغرفة؟ هل تعاركا مرة أخرى؟ هل سيضربني حتى الموت؟ هل هي بهذه التلقائية لدرجة أنها لا تعبأ إن كانت تلعب بالنار؟

Twitter: @ketab_n

بدا أنها سمعت أسئلتي.

قالت: "ماسيك ذهب إلى كالينينجراد، لكنني ظللت هنا"

"وتركك تفعلين ذلك؟" كنت على وشك قول هذا عاليا.

جلست هيلينا على المدفأة، كانت لا تزال ممسكة بالوسادة.

كان كل شيء على ما يرام. كان ماسيك في طريقه إلى روسيا، وكان زفياد في غرفة أخرى منحت له ("الفندق خال عمليا. هل تريد غرفة منفصلة")، بينما كانت هيلينا وحيدة وقد قررت زيارتي. . . يمكننا حتى أن نمارس الجنس الليلة. عندما تأتي إلى غرفتك امرأة في الليل وتخبرك أنها خائفة من البقاء وحيدة، فإن ذلك يعتبر وعدا. أليست هذه هي الحال في الأفلام؟ والروايات والأوبرات التي لم يغنيها عمّي، وفي الحياة أيضا.

لم أحلم أن يحدث هذا لي. لم أفكر أبدا أن فتاة أنا مجنون بها قد تدخل غرفتي ممسكة بوسادة، في منتصف الليل . . .

من ستحمل وسادتها الخاصة في جورجيا؟ عليك أن تقوم بالكثير من (لنشرب الشاي معا) و(لا تقلقي الأمر عادي) قبل أن تغويهم إلى السرير، وتضيع وقتا ثمينا في العلاج النفسي والكذب فقط لتشعر أنك

Twitter: @ketab_n

مستهلكٌ أخلاقيا وتنتهي في حوالي ثانية ونصف (أو ثانيتين على أقصى تقدير) لو كنت محظوظا.

على النقيض من هيلينا التي أتت بإرادتها، بوسادتها، وجلست على المدفأة (لم تكن لتذهب مباشرة إلى السرير أليس كذلك؟) ثم . . .

ثم . . . لا شيء.

"لماذا؟" سألت. عمليا لم أكن مهتما بسبب عدم مرافقتها لزوجها إلى كالينينجراد. لكن كان علي أن أقول شيئا.

كنت متأكدا تماما أننا سنمارس الجنس. كنت واثقا من هذا الاحتمال حتى أنني فكرت أنه من الأحسن ألا نقول أي شيء. يمكنني أن أظل مبتسما برقة، ثم أقترب منها بهدوء وبلا تسرع، وأقبلها.

مع ذلك، لم أكن أريد أن أضيع كل هذا. لم أكن واثقا إن كانت لا تخبئ شيئا أو خدعة: افترض أن ماسيك المسكين لم يسافر، وهو جالس الآن في غرفته رقم مائة وشيء ما، مستجمعا قواه ليقتلها؟ لم تكن لدي أية فكرة عن مشاكلهما العائلية!

صدقني، هذا ما فكرت فيه وقتها ولا أزال غاضبا من نفسي بسبب ذلك، بدلا من الاستمتاع باللحظة السعيدة، كنت متجمدا من القلق وجاهزا للتراجع!

Twitter: @ketab_n

"كان علي أن أذهب معه، صح؟" ضحكت. "كنت ستنام أنت حينها بهدوء"

"أوه، لا، أنا سعيد . . . حقا سعيد"

منطقيا، بعد تلك الكلمات كان علي أن أقترب منها لأقبلها. بحة صوتي المفاجئة وتلك الوقفة قبلها كانتا دليلا أكيدا، لكنني خفت أن أسرّع الوقع الطبيعي للأحداث وانتهيت إلى عدم المخاطرة.

قالت: "أريد أن أدخن، لكنني لن أفعل لأنك لا تفعل"

بالطبع رجوتها أن تفعل، قائلا إنها إن لم تفعل فسأدخن سيجارة بنفسي، لكنها كانت عنيدة.

"لماذا قلتِ هذا إذن؟" أصررت.

"ليس لأنني أردتُ أن أسمع رجاءك" قالت بما يشبه الجفاف. ثم رمت الوسادة إلى السرير وأضافت بطريقتها المعتادة، بشكل مشاكس وشرير: "لو أنني أردت عراكا، كنت ذهبت إلى كالينينجراد يا زازا"

هذا الزازا كان يقترب من لحظة الجنس بالتأكيد.

لو أنني لم أكن قد شهدت الأزمة بينها وبين ماسيك، أو بالأحرى مشهد ما بعد الأزمة (هيلينا الدامعة والبولندي السكران)، كانت أغوتني فكرة أنها عاهرة (آسف، هيلينا!): زوج كممسحة

Twitter: @ketab_n

الأرجل، تعارك معها على مشكلة صغيرة، ولم ترافقه في الرحلة باحثة عن معالج جنسي. ماذا كان هناك لها لتفعله غير هذا؟ يمكنها أن تمرح قليلا ثم تعود إلى زوجها لاحقا.

المشكلة كانت أن ماسيك لم يكن ذلك النوع من مماسح الأرجل، ولا مشهد ما بعد العراك كان علامة على أزمة يمكن نسيانها بسهولة.

مع ذلك، قد أكون مخطئا.

ما أذكره جيدا، كان إثارتي بسبب احتمال الجنس، وسعادتي أنها، ببشرتها الناعمة الغامقة، وقدميها المنحوتتين، وعينيها السوداوين، وشفتيها الحمراوين، والغمازات في خديها، وبنطالها الخفيف، وقميصها الأبيض، كانت في غرفتي تجلس على المدفأة، منتظرة أن أقدم على الحركة التالية.

كانت لدي أمنية واحدة وقتها، أن يظل إيليكو وزفياد بعيدان عن بابي.

لا بد أنه كان الخوف الدفين من أن يتم غزو خصوصيتي، لا بد أن ذلك ما دفعني إلى الخطوة التالية. اقتربت منها (ولم أفاجأ فقط ولكن أصبت بالخوف فعلا عندما رأيت عينيها تتسعان) وقلت بكل إخلاص، بل وبحس فكاهي طفيف:

Twitter: @ketab_n

"ربما أفسد كل شيء بقول أنني سعيد بوجودك. لا بد أنك خمنت أنني وقعت في غرامك"

عكست عينا هيلينا خوفا مماثلا لخوفي. وبعد اعترافي، وضعت يدها في شعري (بل وشدته قليلا) ونظرت إلي بشكل جانبي وكأنها اكتشفت شيئا جديدا ومثيرا للاهتمام في وجهي وسألت:

"هل تقع في غرام الجميع بنفس السرعة؟"

من الجيد أنها ابتسمت وإلا لم أكن لأجترئ على تقبيلها.

"لا، على الإطلاق" قلت آخذا وجهها بين يدي.

تلك اليد التي تلمس شعري طمأنتني كثيرا . . .

بدت كلماتي غبية والنبرة كانت بائسة وطبقا لقواعد هذا الفن لم تكن لتريد تقبيلي.

أظنها لم تفعل.

تلامست شفتانا. لم تفتح فمها ولكنها أغمضت عينيها، الأمر الذي رأيت فيه علامة جيدة. كانت شفتاها طرية ورطبة وفكرت أن أدفع بلساني بينهما.

Twitter: @ketab_n

كانت الرغبة في لمس صدرها تقتلني لكنني لم أفعل ذلك. لم أجرؤ على إعطاء يدي حرية كبيرة في بداية الأمر.

وقفنا هكذا، ساكنين ومنتظرين، لبرهة. ثم استدارت هيلينا.

"انتظر، انتظر، دعنا لا نكون بهذه الجدية" قالت.

أردت تقبيلها ثانية، لكنها وضعت يديها على صدري ودفعتني.

"انتظر! أريد أن أتكلم."

لو لم أكن خائفا، كنت بالتأكيد أبديت بعض العناد بإمساك وجهها وسحبها إلي. ولو أنها قاومت، كنت سأحتال قليلا كما هي العادات. لكنني كنت لفعلت ذلك فقط لو أنني لم أبال بفقدانها. كنت خائفا – لا أزال، مثلما أتذكر تلك اللحظات – من الإقدام على خطأ فادح.

وبغرابة شديدة، لم أكن مثارا تماما عندما كنت أقبلها. بمصطلحات الطب المباشرة، لم أكن منتصبا، الأمر الذي أصابني بالخوف أكثر من أي شيء آخر. كان ذلك يعني أنني عصبي جدا، ما يعني بدوره أنني كنت أواجه فشلا كاملا لو أننا مارسنا الجنس (كان ذلك سيحدث أليس كذلك؟)

Twitter: @ketab_n

لماذا لم يقف؟ ومشغولا وضائقا بسبب السؤال، جلست على السرير ونظرت إلى وسادتها.

سألتها: "هل جلبتها من اليونان؟"

كان نبضي يتسارع، وهكذا بدا صوتي مبحويا أكثر من المعتاد.

"لا" ضحكت هيلينا. "لكن كان علي أن أجلب شيئًا من غرفتي، صح؟"

ثم جلست على سرير زفياد الخالي، وربعت قدميها بطريقة بوذا ونظرت حولها.

"ليست سيئة"

"الضفادع سيئة" قلت ذلك وأخبرتها حكاية الليلة الماضية.

كان مثالا كلاسيكيا على التصعيد: لو أننا لسنا نمارس الجنس(الذي كنت راغبا فيه بشدة)، يمكنني على الأقل أن أتحدث عنه.

أحد أصدقائي، مدمن جنس، قال لي أنك يجب أن تأتي على ذكر الجنس من آن لآخر مع المرأة التي ترغبها. بهذا الشكل تعتاد على الفكرة. "يجب أن تقول الكلمات الصحيحة" كان يقول لي. "الأورجازم، الجنس الشرجي والفموي ... المصطلحات ستقوم بالمهمة" على أي

Twitter: @ketab_n

حال، أشك أنه كان لحكايتي أدنى تأثير على هيلينا، فصرير ميلينا المشابه لصوت الدلافين كان ليجعل أكثر المنحرفين يتراجعون.

"يا للبشاعة" ضحكت هيلينا. "الجيد أنها لم توقظني وإلا كنت قتلتها"

"ليس الصراخ سيئا في حد ذاته إن فكرت في الأمر" أردت أن أبتعد عن ميلينا وأقترب من أشياء متعلقة بالجنس بشكل عام.

"نعم، لكن البعض يدعون ذلك فقط، صح؟" جارتني هيلينا. "الحاجة إلى الصراخ يجب أن تكون طبيعية" ضحكت وتوردت وجنتاها، مما أدهشني، بدت محرجة.

"بعض الرجال يصرخون أيضا" قلت لها.

"في اليونان يتحدثون ويتحدثون ويتحدثون من دون توقف"

"أثناء الجنس؟" كنت مندهشا بحق.

"نعم، وفي العادة، يكونون منفعلين جدا ولا يتوقفون، عشرة كلمات في الثانية . . . ستدهشك الأشياء التي يقولونها!"

أصابتني الغيرة في الحال. تخيلت جيشا من الأشباح اليونانية، سمر، وسيمين، يتحدثون بانفعال أثناء الجنس. آلمني قلبي لمنظرهم. هل كانت تشير إلى تجربتها الشخصية؟

Twitter: @ketab_n

كنت على وشك أن أسألها: هل نمت مع الكثير منهم؟ ألا يكفيك ماسيك واحد؟ ماذا بحق الجحيم؟

فكرت أيضا في هذه المزحة : وهل يتحدث البولنديون أيضا؟ لكن لم أتفوه بتلك الحماقة أيضا. معتوه تماما من يذكر امرأة بزوجها.

في تلك اللحظة تحققت أسوأ مخاوفي: أحدهم طرق الباب.

فكرت أنه ماسيك. لقد كانت تكذب.

"هل هي زوجتك؟" همست هيلينا.

"أية زوجة؟" هززت كتفي.

كان إيليكو.

"هل أنت مستيقظ؟" سألني، ولكن بمجرد رؤية هيلينا تراجع. "أوويس!"

"هالو" حيته ملوحة بيدها.

"هالو" تغنّى بالرد.

أعطيت ظهري لهيلينا وقلت لإيليكو من خلف أسناني:

"اذهب، أنا في المرحلة الأخيرة"

Twitter: @ketab_n

فشلت محاولتي: بعدة خطوات كان في منتصف الغرفة. وخاطب هيلينا بإنجليزيته الخشنة التي تشبه الألمانية:

"أوكي، أنت إذا جورجية أيضا بما أنك لم تذهبين إلى روسيا"

"في الحقيقة أردت الذهاب، لكن هاينز نسي أمري" أجابت ضاحكة.

قالت هاينز، وليس زوجي. كانت لا تريد الإتيان على ذكر ماسيك.

"أوكيه، أوكيه" أومأ إيليكو مثل لعبة بزنبرك. لم يعرف ما الذي عليه قوله. ولا ساعدناه نحن في ذلك. كانت أول مرة أواجه فيها شخصا بهذه السخافة. لم يفهم أبدا أنه غير مرغوب به. والأدهى، أنه متجاهلا وجودي تماما، استند على السرير وبدأ في انتقاد المنظمين:

"لقد تركونا هنا وكأننا حثالة. وبدلا عن هذا كان يجب أن يؤدبوا الروس! لا يزالون يعيشون بعقدة خسارة حربين"

"أقصدُ ألمانيا وليس نحن ... ليس لديهم الشجاعة ليعارضوهم . . . أما نحن، فلا يمكننا خوض الحروب الكبيرة"

"لكنكم خضتم واحدة، أليس كذلك؟"

Twitter: @ketab_n

جفل إيليكو قائلا "لا، كيف يمكننا ذلك؟ لقد أتوا إلينا بدباباتهم"

وكأن رجائي من خلف أسناني لم كن كافيا، فقد بدأ الآن في وصف حرب أغسطس. في النهاية، عندما ظننته قد انتهى، بيّن كم أنه شخص سخيف وقاصر، فقد ربّت على بطنه ونبح قائلا:

"لماذا نحن جالسون في هذه الزنزانة النتنة؟ دعونا ننزل إلى البار لنشرب بيرة أو اثنتين؟ الضفادع لا تحب شاربي البيرة"

"بار؟ لا أشعر بالحاجة إلى ذلك" أظنني قلت ذلك صارخا. "كما أنه لا يوجد بار هنا"

"إنه ليس مجرد بار، إنه معبدٌ للكيتش" ثم قال لهيلينا: "لماذا لا نذهب؟ هل نحن موتى أم ماذا؟

مخاطرا بإهانة هيلينا كنت على وشك أن أقول له بالجورجية: "اغرب من هنا أيها الوغد الغبي! نحن على وشك ممارسة الجنس. ألا تشعر أنك غير مرغوب فيك؟" لكنني أدركت في التو أن التحدث بلغة مجهولة من حضروها سيكون وقحا للغاية. ربما تمت معاقبتي لثقتي الزائدة. لذا، نظرت إليها بتعبير متألم، مصحوب بتلويحة مسكينة.

"هلا ذهبنا؟" نهض إيليكو واقفا.

Twitter: @ketab_n

"هل تريدين ذلك؟" سألتُ هيلينا.

"لست متأكدة" قالت هيلينا "لكن هيا بنا"

لم تكن تنظر إلى إيليكو، ولكن إلي أنا، وكأنها تنتظر قرارا حاسما. ماذا فعلتُ؟ لا شيء. ما حدث أنني وافقتهما، متجاهلا رغباتي، التي ربما توافقت مع رغبات هيلينا.

أخذتها إلى الأسفل وكأنني أقتادها إلى الجحيم.

وكان جحيما! لقد ذكرني بكانتين مدرستي. كانت هناك قوالب شيكولاتة وسلاطات في ثلاجات زجاجية (من نوع المتجر السوفييتي). والتليفزيون كان مثبتا إلى الحائط وكان يذيع كرة القدم التي كان يشاهدها النادل السمين الذهبي (شعره ولحيته كانا أشقرين) وزفياد السكران.

كم كان الشاعر الجورجي والكانتين خارجين عن السياق في الاتحاد الأوربي!

لم أكن أنا ولا إيليكو فرحين برؤية زفياد جالسا لا يفعل شيئا: حيانا ملوحا بيده. لم نستطع التظاهر بأننا لم نلاحظ.

"من هي؟" نظر زفياد إلى هيلينا، التي، وكأنها تفهم الجورجية، مدت يدها مصافحة وابتسمت:

Twitter: @ketab_n

"أنا هيلينا"

قررت أنه الوقت المناسب لكي أحافظ عليها وسألت بتوتر:

"هل تريدين شيئا؟"

أصر زفياد: "من تكون؟"

"لا" هزت هيلينا رأسها.

"هل نجرب السلاطات؟" سأل إيليكو.

ما عنى أنه لم يكن جائعا. لو كان جائعا، كان سيكره أن يدفع (يجب أن يتضور جوعا حتى لا يشعر بالأسف لإنفاقه النقود). في العادة، كان يحث الآخرين على طلب الطعام ثم، يقول بلطف: "هل يمكن أن أشاركك بقضمة؟" بطريقة المهرجين والشحاذين.

"لستُ جائعا" قلت بسادية.

جلسنا. كان زفياد ينظر إلى هيلينا بعينين زجاجيتين، متسائلا من تكون تلك المرأة الجالسة أمامه.

"هيلينا يونانية" وضحت لهم. "لكنها بقيت هنا لتساندنا"

"هل فعلت؟" عبر زفياد عن دهشته ثم رفع يده بعلامة نصر تشرتشل "أخيل!"

Twitter: @ketab_n

ترجمت كلماتي إلى هيلينا.

"تضامن!" صاح إيليكو بالبولندية.

ضحكنا كلنا إلا زفياد.

كان إيليكو هو مَن وجد موضوعا للحوار.

"لماذا لا تفعل الواجب الذي وكلك به هاينز؟ لماذا لست تكتب؟" سألني

قال زفياد: "أنا لا أستطيع الكتابة إلا حين أكون مهزوما تماما ومفشوخا"

همس لي إيليكو: "لا تترجم ذلك"

"يجب أن أكون مفشوخا فعلا لأكتب أي شيء" استمر زفياد في نواحه. "لا يمكنني أن أكتب كلمة إلا إذا كنت مهزوما. يجب أن أشعر بالسوء، والغدر من الجميع لأكتب قصيدة. لا يمكنني أن أكتب بناء على أوامر أحدهم"

"ماذا يقول؟" سألتني هيلينا.

"يقول أنه لا يستطيع الكتابة وهو بخير. يجب أن يشعر بالسوء لكي يكتب"

Twitter: @ketab_n

" وهل هو بخير الآن؟ " كان سؤالا جيدا.

" هل تكتبين؟ " استدار إيليكو إلى هيلينا ولطم فخذها.

نعم، لطمه بخفه، ولكن ذلك أصابني بالجنون.

النذل يغازلها! فكرت في ذلك ونظرت إلى هيلينا.

برباطة جأش، أجابت أنها ليست كاتبة، وسحبت علبة السجائر من جيبها.

اجتاحتني في التو موجة جديدة من الرعب، متخيلا أنني أخسرها. في الواقع، لم أفعل شيئا لأكسبها. فجأة بدأت في الشك في اهتمامها بي بينما أفكر أنها ولأنها وحيدة، فقد كانت تبحث عن رجل (رجل لليلة واحدة من أجل الثأر) وأنني إن لم أنتبه، فسيأخذ إيليكو البشع مكاني.

نعم، هذا الإيليكو الذي كان أسرعنا في إشعال سيجارتها بقداحته.

بل إنني فكرت أنه من الأفضل أن أنهض وأخبرها: " هيا بنا يا هيلينا "

Twitter: @ketab_n

لكن ماذا لو قالت لا أو أنها أحبت الجلوس هناك، أو الأسوأ من ذلك، أن تجعلني أشعر أنني لست مرغوبا؟ هل سيكون علي أن أنتحر؟ هل سيكون علي أن أضرب كلا من إيليكو وزفياد؟

كنت مرعوبا. لم أعرفها بما يكفي وتلك القبلة لم تكن مليئة بالشغف الكافي لتمنحني الثقة. ملامسة الشفاه تلك كانت أضعف من أن تبني أي شيء بيننا. وهكذا كنت معلقا في الهواء.

لهذا هبطت معنوياتي، شعرت بالإحباط والتوتر.

هيلينا لم تبد بمعنويات مرتفعة أيضا. إيليكو عوى عن لياقة الكتاب الأجانب وهيلينا تثاءبت مرتين. عندما تثاءبت غطت فمها وأغمضت عينيها نصف إغماضة.

'سأعود بعد قليل' همهمت وكأنها تحدث نفسها ولا تحدثني وخرجت.

وقفت بتردد.

تبعناها بنظراتنا.

ونطق زفياد بكلمات رهيبة:

'سأضاجعها'

وماذا فعلتُ؟

Twitter: @ketab_n

همست: "لقد تأخرت يا صاحبي، لقد ضاجعتها بالفعل"

لسبب ما ظننت أنني بهذا سيمكنني حمايتها.

"شاطر!" ربت إيليكو على كتفي.

إعجاب، شك، حسد: كل ذلك يمكن الشعور به من تربيته.

"ماذا عن تمريرها لنا؟" سأل زفياد راجيا.

"لا ليس بعد" ابتسمت بطريقة منفرة، كما أظن، وسمعت كم بكى ملاكي الحارس خلف كتفي الأيمن.

كان قد مر بعض الوقت منذ غادرت هيلينا عندما سأل إيليكو:

"ماذا حدث للفتاة؟"

"لا أعرف" نظرتُ إلى الباب. كنت متأكدا أنها كانت في الحمام، لكن لأنها لم تكن ستعود، نهضتُ على قدمي مصمما على أن أجدها.

"لا تعطيه لها في الحمام يا ولد. سيجعلك الأنذال تدفع غرامة" صاح زفياد ورائي.

لم تكن هيلينا في أي مكان. ولا كان هناك حمام. فقط القاعة.

لقد كانت أذكى منا. وتسللت هاربة.

Twitter: @ketab_n

من دون مبالغة: لقد بكيت تقريبا.

لم أعد إلى الكانتين. واندفعت إلى غرفتي ظانا أنها قد تكون منتظرة أمام بابي أو عند مرآة الممر.

كانت فقط وسادتها هي من انتظرني. كانت على سريري، مع تجاعيد الفراش حيث جلست هيلينا. لم أمسكها ولا دفنت وجهي الباكي فيها. رميتها على السرير الثاني، ونزعت ملابسي ودخلت تحت الأغطية. وأدركت فورا أنني لن أستطيع النوم.

بالمصادفة، لم تكن الضفادع تنق ولو أن ميلينا كانت تصرخ فإن ذلك حدث في مكان ما بعيد عني، على متن قطار متجه إلى روسيا. غرفتها مثل كافة أرجاء الفندق غطست في صمت القبور. كئيبة وحزينة.

كان إدراكي مفاجئا ومنذرا: لو أنني تصالحت مع الصمت سأخسر إلى الأبد الفتاة التي أتت إلى غرفتي مع وسادتها منذ ساعة. النوم كان بمثابة محوها من حياتي. لو أنني نمت، سيكون اليوم التالي أسوأ: سأرى الكراهية أو عدم المبالاة في عيني هيلينا. سأرى موت الاهتمام بي في نظرتها. وبلا شك، كان هذا ليجعل من إقامتي هنا مستحيلة تماما، سأقع في غرامها من طرف واحد وأبدأ بالقيام بأخطاء لا تغتفر.

Twitter: @ketab_n

فكرت أنها ستذهب إلى ماسيك. اندفعت ناهضا وكأن البرق ضربني، وارتديت ملابسي في ثوان مثل جندي في التدريب، وأمسكت الوسادة، وانطلقت.

المرأة من الليلة السابقة التي ظننتها تشبه هيلينا خرجت من ١٠٢ إلى ١٠٤ أو من ١٠٤ إلى ١٠٦ . . . .

ركضت بطول الممر ولكن بخلاف الليلة الماضية، لم أكن فقط أنصت للأصوات خلف الأبواب، بل كنت أطرقها.

"هيلينا!" ناديت في البداية عند ١٠٢، ثم ١٠٦.

صدر صوت عجوز من إحدى الغرف وعمليا انفتح باب الغرفة ١٠٤ في نفس الوقت.

كانت هيلينا ترتدي تي شيرت رجالي أبيض طويل (بالأحرى لزوجها). كانت حافية وتبدو نعسانة.

"لقد أحضرت لك الوسادة" أخبرتها بسعادة.

فتحت الباب على مصراعيه، واستدارت، وانسلت إلى سريرها. اعتبرتُ أنها تركتْ الباب مفتوحا كدعوة لي بالدخول، فتبعتها إلى الداخل. وضعتُ الوسادة على السرير الفارغ (سرير ماسيك السابق) وجلست.

Twitter: @ketab_n

كانت هيلينا مستلقية في سريرها ولكنني أظن أنها لم تكن تحت الغطاء. لست متأكدا لأن الغرفة كانت معتمة ولم أستطع رؤية شيء. مدت يدها، ووجدت ركبتي، ونقرت عليها وقالت بصوت دائخ مبحوح:

"استلقِ"

نهضتُ، وببطء وهدوء نزعت ملابسي، وخطوتُ إلى سريرها.

أنّت هيلينا ولكن لم تعترض عندما زحفت إلى جوارها– بل وأفسحت لي مكانا– ووضعتُ يدي على جنبها.

اعترضت بصوت ضعيف: "ممم"

ضغطت جسدي بجسدها، ملتصقا بظهرها وردفيها المدورين، وقبلتها أسفل أذنها.

لم أعرف إن كانت نائمة أم لا. لم يبد أنني أضايقها، لكنها لم تكن لتستسلم. كان نومها غريبا، فهي لم تطاوعني بالكامل، ولكنها كانت عنيدة. لكن وجودي هناك، في سريرها، جعلني لا أعير أنينها المعترض اهتماما، ودسست يدي تحت قميصها. في البداية لمست بطنها المشدود، ثم ربتّ على ثدييها المدورين الذين كانا مائلين إلى اليسار قليلا. في اللحظة التي لمس كفي فيها حلمتيها، شعرت بنفسي

Twitter: @ketab_n

أنتصب. ضغطت نفسي أكثر على ظهرها وفخذيها وردفيها. كنت على وشك أن أشد سروالها الداخلي، وأدير رأسها، وأدفع بلساني في فمها وأمسك ثديها، لكن هيلينا ابتعدت فجأة، وتقلبت وخبأت رأسها تحت إبطي.

قالت: "لنغفو قليلا"

كانت عيناها مغمضتين.

حاولت تقبيلها على شفتيها.

لكنها دفعت رأسها إلى أسفل واحتضنتني.

تمتمت: "أرجوك"

كنت محتارا تماما: كانت تحتضنني ولكن رفضت تقبيلي.

جربت استراتيجيات متنوعة، لكن كلما أصررت، كلما قاومت أكثر. في النهاية، تكورتُ مثل الجنين في مكان ما بين خصري وإبطي، وغفت في نوم عميق.

تنفسها الدافئ دغدغ خصري بشكل ممتع، وأحيانا لمستني أنفها.

تلك الليلة كنت ذاهلا: كانت ملكي، لكنها لم تكن ملكي.

لم أعرف إن كان من المفترض أن أكون سعيدا.

Twitter: @ketab_n

١٣- كالينينجراد

ربما يجب أن يُستدعى كراوس بعد قتل الضحية الرابعة؟ أم هل من الأفضل أن يكتشف كراوس نفسه الضحية الرابعة؟ ماذا لو تذكر حكايات مراد وذهب ليبحث في المقاطعة "الحمراء"؟

وماذا لو رقدت العاهرة برقبة مذبوحة في واجهة المتجر؟ لطخات الدم على الزجاج (بصمات أكف)، وكرسي مقلوب . . . ساق في جورب مقطوع . . . نعم. الساق فقط في مجال الرؤية وليس الجسد كله. الرابعة يمكن تسميتها ماريينّا. عاهرة في الثالثة والعشرين . . . هل تحتاج للقب عائلة؟ منصورروفا؟ ماريينّا منصورروفا؟ لست متأكد.

نحن في كالينينجراد. لقد أخذت ملاحظات من أجل الكتاب التالي. الفندق في الضواحي، مطل على بحيرة. بيئة هادئة، رعوية. لم أر أية عاهرات. تحدثت مع حارس البوابة الذي أخبرني أنهن سيأتين بعد الحادية عشر مساء ويطلبن غرفتي. سعرهن ١٠٠ دولار،

Twitter: @ketab_n

لكن إن ساومتهن قد ينخفض السعر. أنتظر الحادية عشر مساء. في فرانكفورت فقط لم أجد بنات. لم أضيع الفرصة في المدن الأخرى. بل إنني وجدتهن في تلك البلدة البولندية النائية. لدي آمال عريضة بخصوص موسكو. لا يمكنني أن أدعي عدم رضاي عن بروكسل أو باريس: البنات كنّ لطيفات حقا. أحببت بروكسل بالنسبة لـ "التواريخ". فقد ارتعبت عندما رأتني أكتب في دفتري الصغير. ظنتني من الشرطة. وبذلت جهدا في إقناعها بالعكس، بل إنني أخبرتها عن كراوس. خافت أن أسبب لها النحس بسبب روايتي وتُقتَل. كانت لطيفة حقا. فكرت أن أظل "كاتبا" وأظهر بعض العظمة، لكن جلدها كان أبيض لدرجة لا تقاوم. وثديين صغيرين وصلبين. المدهش أن لديها ابن. الخطوط على بطنها أظهرت هذا، وليس ثدياها. أنا منهكٌ للغاية ولا أستطيع سماع حكاياتهن الكئيبة. يا لها من سيَر بائسة. يمكنهن أن يكن في الثالثة والعشرين وقد مررن بالجحيم نفسهَ. يجب أن يلاحظ كراوس ذلك. أرخص العاهرات وأرفعهن مستوى يجب أن يروين حكاياتهن. في الوقت ذاته، فإن أتعسهن هي من ستقتل ... هذه هي النقطة المحورية في رواياتي. لقد أنفقت ١٧٠٠ دولارا على العاهرات في هذه الرحلة. في بولندا نمت مع اثنتين منهن، ولكنهما كانتا أقل الحكاءات إثارة للاهتمام. فقط نعم ولا، ولا شيء غير ذلك. أصابتاني بالجنون. سأقتلهما أولا. وأحظى بثأري. ماذا لو اكتشفهما كراوس أولا؟

Twitter: @ketab_n

لقد وُعدتُ بخدمة المرافقات في موسكو. عارضات فقط، لكن لسن أقل مَن ١٠٠٠ دولار للواحدة. هل علي المخاطرة؟ هل سيخبرنني بأي جديد؟ هل سيقتلهن ولدي المجنون؟

حتى الآن لم أجد عاهرات قزمات. أشعر بالفضول فقد سمعت عنهن الكثير. قيل لي أن أبحث عنهن في باريس، لكنني وجدت أحجاما صغيرة وقصارا فقط، وليس قزمات. ليس الأمر ذاته. هل يمكنني أن أجعل من العاهرات القزمات أكسسوارات لولدي؟ أن ينتمين لعصابته مثلا. لست متأكدا بعد. ليست لدي خطط واضحة بهذا الخصوص. سأقرر فقط بعد أن أقابل الشخصيات الحقيقية.

يجب أن يزور كراوس العاهرات ولا يلمسهن. يجب أن يحافظ على مسافة. ولكي يوقع بالرجل يمكنه – لو أن هذا ليس كوميديا – أن يرتدي ثياب امرأة. دعه يحاول أن يكون مكانهن. ويجب أن يراه فينوجرادوف في ثياب أنثى. قد تضفي تلك المرحلة بعض الإثارة إلى جو الرواية الرصين.

رأسي مشغولة بالعاهرات فقط. لا يمكنني الكتابة من أجل المسابقة. أشك أن بإمكاني إنتاج أي شيء، فأنا لا أريد أن أشعر بذل وقلق الانتظار مع الآخرين. ليكتبوا بسلام ويحصلوا على جوائزهم.

Twitter: @ketab_n

في الساعة الرابعة سيأخذونا إلى قبر كانط. سأذهب. واثق تماما أنني لن أمر بفتاة في قبر كانط.

الجورجيون منعوا من دخول روسيا. المساكين عالقون في بولندا. أتمنى أن يعطوهم مصروف المدينتين.

أنتظر الحادية عشرة! لا تخذلوني أيها الروس!

Twitter: @ketab_n

١٤ - موسكو

أختي العزيزة جانيت

لو كانت الظروف مختلفة كنت ندمت على وجودي في موسكو وليس في سانبطرسبرج المغطاة بعبقرية دوستويفسكي الشيطانية الملائكية. كنت لأختار سانبطرسبرج. على أية حال، في هذه اللحظة، ليس لدي لا الوقت ولا الطاقة (مضحك!) لأشكو أن أحلامي الثقافية لم تتحقق ... أنا في فينوس جروتّو، ولا أحاول الخروج. بالعكس، أشعر أنني أتعافى بعد أزمات باريس العقيمة، بعد سلوكك غير المسئول الغريب الذي أدهشني وربما أدهش الأسقف! رباه! من ألزمك بإعادة كتابة رسائل أمي المسكينة؟ لا نهاية لتلك الأزمة بين الأختين "المحظوظة" و"التعيسة" (آسفة جانيت، لكن هذه هي الحقيقة). استمري في الكتابة ولكن دعيني أعيش! أريد أن أنسى كل تلك القمامة: الأحذية، الفساتين، الحقائب بل وحتى

Twitter: @ketab_n

الأثاث (رباه، يا له من جنون!)، كل هذه المظاهر الكاذبة، بما فيها هنري وأمثاله (هل أنت مندهشة؟). أريد أن أنهي تلك المهزلة البائسة! أنا بخير، يا جانيت. أشعر أنني طهرت نفسي من باريس تماما. في بولندا، عرض علي ولدٌ الحب (أرجوك لا تذهبي إلى بولندا باحثة عن مغامرة مشابهة!). أسميه ولدا لكن ولتَكوني مرتاحة فهو مجرد لقب، وليست حالة بيدوفيليا، فعمره ٣٢ عاما. لكن بما أنه يرغب فيّ كما قد يرغب شاب له جسد قد استيقظ لتوه، أشير إليه كولد، لن أذكر اسمه (الذي أجده جذابا أيضا). أسميه ولدا بسبب حميّته، وشغفه البدائي، وليس بسبب شخصيته . . .

أوه، جانيت، لو أنك رأيت فقط الاهتمام الذي يبديه بتفحص جسدي العجوز (لا، لستُ أشعر بأدنى عار من قول هذا!) كيف أنه يريدني مرتين على الأقل يوميا . . . وكيف أنني لا أريد له أن يرغب في جسد عجوز. أرتعد من فكرة أنني أتعامل مع محبّ للعجائز (كدت أن أكتب محب للجثث!). ماذا إذن لو كنت أنا نفسي موضوع اهتمام محب للعجائز؟ شغف الولد مرضيّ فأنا أكبره بـ٢٥ عاما. أكره أن أقول أنني واقعة في غرام شخص مريض. من جهة أخرى، لا أريد أن أعقّد الأشياء. أريد فقط أن أكون سعيدة، يا جانيت. أستحق ذلك. لا أريد دراما أخرى في حياتي.

Twitter: @ketab_n

اليوم أخبرني: "لنذهب إلى ضريح لينين" (ليس جثة لينين بل لينين نفسه). سألته (متذكرة روايات أنطونين كوكلوشه) إن كان سيأخذني هناك أيضا. بالطبع لم تكن لديه فكرة عما أتحدث عنه (فهو لا يتحدث الفرنسية: نتواصل بواسطة غرائزنا) وأجاب بإنجليزيتك:
"لا يوجد شيء غير لينين يمكن رؤيته في موسكو"

لا أعرف إن كانت تلك دعابة أم لا. لا أعرف مزاحه من جده. ولا أعرف ما الذي يريده. وأنا بالطبع أحب البقاء في هذا الظلام، هذه الحيرة الإنجيلية، هذه الفوضى المنطقية، وسوء التفاهم هذا.

اكتشفت كم هو مبهج أن تشاركين حياتك مع شخص لا يتحدث.

بل إنني الآن في حالة من الحيرة الإلهية فوق الطبيعية: جالسة هنا غير واثقة من إن كان سيطلب الجنس، أم سيأخذني إلى الضريح أم إلى العشاء. من الجيد ألا تعرفين . . . .

جانيت كم أشفق عليك وكم أحبك . . .

أتمنى أن يكملني الله بعقلٍ كافٍ لكي لا أرسل لك هذه الرسالة.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

١٥ – وارســو

أخذونا إلى وارسو في حافلة صغيرة. كان من المفترض أن نجتمع مع الكتاب السبعة وتسعين العائدين من موسكو.

ما الذي حصلت عليه الليلة الماضية؟

١ـ الجلوس بجانب هيلينا لخمس ساعات.

٢ـ ساقا هيلينا الممددتان على المقعد الفارغ، وهي تحدق في ركبتيها النحيفتين عن قرب (عن قرب جدا)

٣ـ فرصة أن أضع رأسي على كتف هيلينا وحالة ممتعة (بسبب الفرصة) ومعذّبة (بسبب المقاعد) من النوم الضحل:

٤ـ مصادقة هيلينا، وإخبارها بحكايتي(نتفٌ منها، لا يمكنني أن أبقى صامتا!)، انطباعات الحرب التي جرت منذ ثلاثة أشهر، مرحلة القصف (إيلين وأنا وجوازات سفرنا).

Twitter: @ketab_n

٥ـ شيء ما يشبه اعترافا بالحب؛ وصف الملابس التي كانت ترتديها("هذا ما كنت ترتدينه عندما رأيتك أول مرة")

٦ـ ولا قبلة واحدة.

٧ـ الإمساك بيدي بعضنا.

٨ـ نظرة إيليكو المليئة بالإعجاب، والشك، والحسد.

٩ـ كلمات هيلينا (١): "لا أصدق أن الوقوع في الحب بهذه السرعة، ستنساني بمجرد عودتك إلى تبيليسي"

١٠ـ غيظي من إدراكي باستحالة إقناعها بالعكس.

١١ـ عرضٌ لجاذبيتي الشخصية: السخرية من الذات، وصف غريب لمائة كاتب، وحسي بالدعابة.

١٢ـ ضحكات هيلينا الصامتة، صفعها لركبتي عندما تضحك.

١٣ـ وصفٌ لطيف لليلة الماضية

١٤ـ كلمات هيلينا (٢) "شكرا لأنك لم تتصارع معي"

١٥ـ كلمات هيلينا (٣) قالت ضاحكة: "كنت سأنتحر لو استيقظت حبلى، لا أذكر شيئا من الليلة الماضية"

١٦ـ كلمات هيلينا (٤) قالت بجدية: "أكره النوم وحدي. النوم وحيدة بعد العشرين جريمة"

١٧ـ خوفي وغيرتي (بعد سماع تلك الكلمات)

١٨ـ تجنب ذكر ماسيك بعناد.

Twitter: @ketab_n

١٩ـ حكايات هيلينا القصيرة التافهة والمحببة: "أحب البحر"، "لا أطيق نوفمبر"، إلخ.

٢٠ـ حكاية موت أبي هيلينا.

٢١ـ آي بود هيلينا: سماعة في أذنها اليسرى وسماعة في أذني اليمنى. الموسيقى: لا أذكر . . . شوستاكوفيتش الذي اشترته في بروكسل؟ كئيب حد الموت.

٢٢ـ كلمات هيلينا (٥) "أنا فتاة طيبة لمكوثي معك، ألست كذلك؟" ملحوظة: ليس هنا، بل معك.

٢٣ـ إشارات حسية أرسلتُها.

٢٤ـ مراقبة هيلينا (بينما هي غافية)، الوقوع في حب تفاصيلها: شفتيها، وأنفها.

٢٥ـ همس زفياد: "لا تقع في الحب يا صاح"

٢٦ـ تقبيل جبين هيلينا.

٢٧ـ الوصول إلى القرار الأخير: "هذا هو، لقد وقعت في الحب"

٢٨ـ قرب هيلينا الجسدي عندما تلامس جسدانا.

٢٩ـ التفكير في عودة ماسيك ("ماذا ستفعل؟ ماذا سيفعل؟ ماذا سأفعل؟")

٣٠ـ فقدان راحة البال.

٣١ـ خوف الوصول إلى وارسو

٣٢ـ مراقبتها تفرك عينيها، مواؤها: "أنا جائعة"

Twitter: @ketab_n

٣٣ـ حمل حقيبتها.

المجموعة الرئيسية لعصابة إكسبريس الأدب كانت ستصل بعد يومين، ما يعني أنني كان بحوزتي يومين كاملين، بسلام ومن غير ماسيك(التعبير المفضل لدى أمي).

بخلاف مالبورك، أخذونا في وارسو إلى فندق واسع، وحديث، ومضاء جيدا.

كان الليل قد هبط بالفعل. وكان هناك نصب طويل، من حقبة ستالين، ذو بروزات متعددة، أمام الفندق، يلمع مثل صاروخ ضخم. المقاعد في القاعة كان يشغلها جيش من العاهرات المبالغات في ارتداء الملابس. لم أر هذا العدد من الساقطات في حياتي. بدون مثل طيور ملونة مثيرة.

أثناء وجودي في الحافلة بدأت في القلق من احتمال عدم مكوث هيلينا في الفندق. كان من الأرجح أنها وماسيك لديهما مكان خاص في وارسو أيضا. حسنا، لم ترافقه إلى موسكو، ولكن لماذا قد تبقى في فندق لو أن لديها بيتا؟ بسببي؟ يمكنها أن تأخذني إلى بيتها، أم أن هذه أمانيّ؟ لم تكن لتهينه بهذه الدرجة.

Twitter: @ketab_n

كل همومي كانت بلا أي أساس. لم تتردد لثانية (اتضح أنه لا بيت في وارسو)، وضعت حقائبها على العربة (بمساعدتي)، ودفعتها بمهارة إلى الاستقبال. بعد أن عرفت رقم غرفتها استدارت إلي:

"هل ستنام؟"

سألتها متفاجئا: "لا، لماذا قد أفعل؟، هلا ذهبنا لنتمشى؟"

"يمكننا ذلك" هزت كتفيها.

أصررت على حمل حقائبها إلى الأعلى (كان علي أن أعرف غرفتها) بالرغم من أنها لم تعارضني حقا: حملتُ حقائبنا إلى الدور العاشر وتعرّقتُ في مشهد رائع.

قبل أن تفتح الباب نظرت إلي بعيون لامعة:

"في كل مرة أفتح باب غرفة فندق، أفكر أن شيئا استثنائيا ينتظرني بالداخل. أحب الدخول إلى غرف الفنادق!"

ماذا توقعت أن تراه؟ نفس الأشياء التي تجدها في أي فندق بأربعة نجوم: سرير كبير (مصمم ليتسع لاثنين)، ثلاجة مغلقة (؟) بها بعض الزجاجات، والمكسرات، والمقرمشات، والشيكولاتات. وكرسي بلا فائدة، وقطع من الصابون الملفوفة بعناية في الورق . . .

"سأتصل بك" قلت هذا والتقطت حقائبي.

Twitter: @ketab_n

"نعم" أومأت.

متى يجب أن أعود؟ بعد ١٥ دقيقة؟ نصف ساعة؟ ٤٠ دقيقة؟ أم بعد ساعة؟ هل كان يجب أن أقبلها قبل أن أغادر؟ مع إيلين السابقة اعتدتُ التحديد. لا أطيق اتخاذ القرارات.

كم أشعر بالهدوء عندما تعطيني النساء تعلميات محددة: "ستعود إلي بعد ٤٠ دقيقة، لن تقبلني لأنك متعرق (أو "لا مشكلة في العرق\أحبك كما أنت")، يمكننا أن نجد مقهى، ونشرب شيئا، ونقبل بعضنا في طريق العودة. التطورات محتملة، بكلمات أخرى، لو أردتَ، وتحت ظروف مواتية، يمكنك أن تأخذني قبل أن نعود إلى الفندق: في ركن معتم/ حمام المقهى. الحماس وعدم الصبر مسموح. لو أن الطقس بالخارج سيئ، سأكون لك/ لن أكون لك. لن أتركك تفكّر وتخمّن في أية ظروف: سأكون مباشرة: "اليوم أنا لك"، أو "ليس اليوم، لكن غدا يمكنك أخذي. لن أغير رأيي حتى الغد، اذهب الآن ونم جيدا!"

أنا واثق أنه في يوم ما سيتم اختراع النساء الآليات. يمكنك أن تشحنهن بالليل بوصلهن بالكهرباء ببساطة. لا يمتلكن أرواحا، فقط لهن قلب ميكانيكي سيخزن معلوماتك: اسمك وسيرتك. يمكنك أن تأمر: "يجب أن تحبي هذا الشخص، يجب أن تكوني وفية له، وتساندينه وتمدحينه، وتجادلينه مرة في العام، وتتجاهلين مغازلته

Twitter: @ketab_n

للنساء"، من جهة أخرى، لماذا يجب أن تتجاهل مغازلتك للأخريات إن كان يمكنك أن تطفئها؟ بمجرد شدّ القابس أو إزالة البطارية عندما تحتاج إلى ذلك ... يمكن أن تسمى تلك الآلية ب "الحلم الذكوري ٠٠١" أو حتى اسما أبسط "البظر-العبد ٢١٧٧"

لأتحدث بصراحة، في ذلك الوقت تمنيت أن أكون آليا لا يشعر، قد يسمى "القضيب الأسيان ٢٠٠٨" أو "لا يفعل شيئا ٢١". لم أشعر بهذا القلق من قبل، ولا حتى خلال الحرب. أن توصّل قابسي لأشحن كان أفضل كثيرا.

باختصار، غادرت من دون تقبيلها أو الاتفاق على وقت معين. لا أعرف إن كانت منفعلة ولكنها كانت تتحرك بشكل متوتر. ظننت أنها لن ترتاح حتى تفتح حقائبها وترص أشياءها وتحول الغرفة لغرفة خاصة بها. وهكذا، قانعا بـ "نعم" ذهبت لأبحث عن غرفتي.

لقد وقعت في الحب، لقد فعلت. لا أريد أن أبقى في غرفتي. أريد أن أكون معها، فكرت في هذا بينما أدخل إلى المصعد وأشعر بأنني أكثر بؤسا من قبل.

بمجرد أن دخلت تحت الماء، تذكرت هيلينا في الليلة الماضية، راقدة بقربي. احتفظت يداي بذكرى جسدها ... وكأنني لا أزال ألمس ثدييها.

Twitter: @ketab_n

أثارني ذلك بشكل لا يحتمل. ولم أستطع تجاهل الواقع. كنت مرعوبا بحق: لو أن هيلينا لمستني فقط، سأقذف، مثل مراهق. بل إنني فكرت في تذكر أسلوب أونان[18] لتهدئة نفسي. لكن الاستمناء بينما تنتظرك فتاة رائعة على بعد ثلاثة أدوار هو جريمة جنائية وكبيرة من الكبائر. بدأت في تجفيف نفسي جيدا، الرجل الجاف هو أكثر تحصنا من الغواية من الرجل المبتل.

كان علي أن أشغل نفسي بأي شيء، فقررت أن أتصل بتبيليسي، مدينتي الأكثر لا جنسية في العالم.

لم أتوقع (كالعادة) أن أسمع أي شيء جيد من أمي، لكنني لم أتوقع هذا الخبر قطعا:

"لقد ضربوا أبوك في المظاهرة"

بشكل تلقائي، وبالنظر إلى تلك الأيام، فقد كنت مندهشا من نبرة أمي أكثر من دهشتي من الخبر نفسه. فقد قالت ما قالته بفخر. لم ألمح لا الخوف ولا القلق. فقد بدا صوتها فخورا بل ومؤنبا أيضا (أبوك ضُرِبَ في المظاهرة من أجل المستقبل بينما لا تبالي أنت بأي

18 أونان شخصية توراتية، وهو الابن الثاني ليهودا بن يعقوب، وفي التوراة لم يستمن أونان ولكنه قذف منيه على الأرض بدلا من قذفه في أرملة أخيه لتحظى بولد فقتله اللهَ عقابا له. (المترجم)

Twitter: @ketab_n

شيء") لا يمكنها أن تغفر لي عدم اهتمامي بالسياسة، بينما أبي لا يمكنه أن يتصالح مع عمره. فهو ساخط من واقع أنه لا يستطيع الغناء كما اعتاد أن يفعل، وأن أصدقاءه العجائز لا يحصلون على نفس الدخل الذي كانوا يحصلون عليه، وأن حياته الجنسية بعيدة كل البعد عما كانت عليه، وهكذا يذهب إلى كل أنواع المظاهرات. يرتدي صليبا ذهبيا ضخما حول رقبته ("إنه هدية من البابا، يا ولدي") وخاتم بياقوتة كبيرة على إصبعه، وهاتفة المحمول في حزامه ويذهب إلى المظاهرات مع أصحابه العجائز. . . . وهؤلاء الرجال يلبسون قمصانا بيضاء تظهر ياقاتها المفتوحة شعر صدورهم الرمادي، البعض لديه فتاق، والبعض ذهب إلى موسكو من أجل تشخيص مميت بالسرطان ولكن ها هم بعد سنوات عديدة، لا يزالون أحياء، فهم رائعون، وهم رجال أشداء. صحيح، أن عظامهم نحفت، ولكن لو أنهم أصغر سنا، كانوا ليعيثوا فسادا، ويخربوا المدينة ويفجروا الشوارع النائمة.

الآن أشعر بالغضب بسبب ذلك (لأنني عدت إلى تبيليسي وكل شيء يدفعني إلى الجنون)، لكن عندما أخبرتني أمي بهذا الخبر، كدتُ أن أصاب بأزمة قلبية.

أم أنني أكذب الآن أيضا؟

Twitter: @ketab_n

" كانوا واقفين عند مياه لاجيدزه[19] عندما هاجمتهم قوات مكافحة الشغب من الشارع الأعلى" قالت أمي ذلك. "ريزو بانتسولايا تم طحنه على واجهة متجر وانكسر فخذه. ذراع أبيك متورمة . . نظارات أوتار فاداتشكوريا محطمة. زوجته منهارة! "

وسط الأنين واللهاث استطاع الشباب أن يصلوا إلى الأوبرا، حيث شتموا الشرطة جنبا بجنب مع الفتيان ذوي العشرين عاما . ثم أخذوا ريزو بانتسولايا وفخذه المكسور إلى المستشفى في سيارة سوسو سيرادزه.

موجة أدرينالين معتبرة، صح؟

بدا أن أبي كان الأكثر حظا، فقد تم ضربه بالهراوة مرة واحدة. وآملة بأن تؤمن بأن لها زوجا بطلا، قالت أمي أنه قد ضُرِب، ولكن من الذي قد أعطاه شرف أن يصبح بطلا؟ ريزو بانتسولايا، المدير السابق لورشة الحدادة، الذي كان بطل اليوم الذي لا يبارى!

سألتها: "كيف حاله الآن وماذا يفعل؟ "

"زار ريزو ووصل البيت الآن فقط . . . ألم تشاهد الأخبار؟ "

" ماذا؟ "

---

19 مياه لاجيدزه هي مشروب من الصودا وبعض العصائر المخلوطة، وهي مشروب شعبي جورجي. (مترجم)

Twitter: @ketab_n

"ماذا إيه؟!!"

"لا أعرف، لا أشاهد التليفزيون، إنه ممنوع هنا"

"ما حدث كان عارا، القشة التي قصمت . . . . "

"بالله عليكِ، من يريد أن يعرف ذلك؟"

قد أكون شخصا مريعا لكن عندما تخيلت أبي وأصدقاءه يهربون من شرطة الشغب، وبدلا من أن أشعر بجرح كرامتي، أصبحتُ سعيدا. لا بد أن ذلك لم يكن مهذبا لكنني لم أستطع التوقف عن الضحك. لقد تولد لدي انطباع بأنني أستمع إلى شيء حدث لشخص غريب عني تماما، شخص بعيد جدا، بل ناءٍ، لقد كانوا تقريبا أشخاصا خياليين.

ذكرتني أمي بالعودة المحتومة إلى تبيليسي. في البداية طمأنتني، ثم جعلتني أضحك، ثم في النهاية أصابتني بالاكتئاب.

كان علي أن أقاوم السم وأستمتع بالجنة. فقد قررتُ أن أتجاهل ريزو بانتسولايا المضروب وأهرع إلى هيلينا.

كانت قد مرت ٤٠ دقيقة.

فكرت أنني كان لا بد أن أحلق، قد أخدش بشرتها بذقني غير الحليقة.

Twitter: @ketab_n

يجب أن أعترف أنني شعرتُ بثقة أكثر من ذي قبل.

في البداية طرقت، ثم سمعت صوتَ هيلينا (تماما كما لحقتُ بالمشهد الأخير للأزمة بينها وبين ماسيك)، لو أن الأمر كان معكوسا وأنني سمعتها قبل أن أطرق الباب، لم أكن لأطرقه. كنت لذهبت إلى غرفتي ومنحتها وقتا لتهدأ. التوقيت كان خاطئا: لقد وصلت لألحق بصراخها في الهاتف.

نعم، كنت أقف على الجانب الآخر من الباب، بينما تتعارك هيلينا بالداخل. لم أكن متأكدا بأي لغة (شككتُ أنها اليونانية)، لكنها كانت تتعارك بالتأكيد. قررت أن أمشي على أطراف أناملي وأغادر. وخمنت أنني في التوقيت والمكان الخاطئين. فقد كان شيء هام للغاية يحدث في هاتفها.

لكنني على أية حال، لم أكن لأتراجع عن طرقة الباب التي قمت بها، فتجمدت عند الباب، منتظرا قدري.

توقفت هيلينا عن الحديث وأتت إلى الباب، ممسكة بهاتفها. كانت قد تحممت، كان شعرها الأسود لامعا ومبتلا (أول مرة أرى شعرها سائبا)، كان وجهها شاحبا، بتكشيرة غاضبة وعميقة. بدت كمصاصة دماء جميلة.

Twitter: @ketab_n

وكأنني أيقظتها من النوم، كانت غاضبة ودائخة. نظرت إلي وكأنني شبح أو مخلوق فضائي.

كنت مندهشا للحظة.

"ماذا هناك؟" أمكنني قول هذا.

بدا كأن صوتي قد أعادها إلى الواقع.

أخبرتني: "لا يمكنني أن آتيك الآن، أنا على الهاتف" ونظرت إلى هاتفها المحمول.

"أوكيه، لا مشكلة". ابتسمت.

ابتسمت هي الأخرى ولكن ليس بالطريقة التي أحبها، ليس كما كانت تبتسم في مالبروك. هذه المرة كانت ابتسامة رسمية باردة. أغلقت الباب وقالت: "آسفة"

توقيت خاطئ تماما، أدركت هذا تماما في تلك اللحظة.

عرفتُ أنها كانت تحدث ماسيك. وسببته بصمت، هامسا بكلام شائن بالكاد عكس كراهيتي الشديدة له.

أذكر أنني كنت أرجح بين احتمالات أخرى، يمكنني أن أطرق ثانية، أدق بصخب على الباب، بل وأجعلها تغلق الخط. ربما تمنت

Twitter: @ketab_n

سرا أن أفعل هذا. ربما كان مقدورا لي أن أكون الشخص الأعلى صوتا في هذا اليوم. رباه، كم احتجت لإيلين السابقة الحكيمة في تلك اللحظة لكي تنصحني: "لا تتسلل هاربا، اجعلها تفتح الباب. يجب أن تدرك أنك حساس، أن المسألة ليست مسألة جنس فقط. يجب أن تحررها من ذلك البولندي، وتساعدها على اتخاذ القرار. يجب أن تندفع إلى حياتها، لا تتردد، ألا ترى أنها حائرة؟ لا تعرف ماذا تريد" أو ربما كانت إيلين أكثر عقلانية: "أية علاقة لكل هذا بك؟ غادر حالا! هل أنت واثق أن المسألة ليست مسألة جنس فقط؟ كيف يمكنك أن تحب شخصا تعرفه بالكاد؟ إنه مجرد افتتان عابر لأنك ترى أنها أجمل كثيرا من مدام روجيه ودانوتا، لهذا تظن أنك تحبها. في الحقيقة، هو مجرد وهم. إياك أن تتدخل بينها وبين البولندي، إنهما زوج وزوجة ويمكنهما الاعتناء بمشاكلهما الخاصة. من أنت لتقف في طريقهما؟"

حسنا، لم يكن لي دخل بهذا. ولو أنني أشعر بالقلق، فإن هيلينا هي من أخافه وليس ماسيك. كنت مرعوبا من أن تصرخ في وجهي وتصفع الباب. وتكون مباشرة وصارمة، بخلاف الآسفة الرقيقة التي كانتها. ماذا لو كانت هي وليس إيلين الخيالية من أخبرني بأن أغرب بعيدا؟ يمكنها ذلك، أنا واثق أنها يمكنها ذلك إن أرادت.

على الأقل كنت متأكدا وقتها.

Twitter: @ketab_n

هكذا، قررتُ أن أتجاهل (للمرة الألف) مصلحتي، وحاولت أن أطرد هيلينا وزوجها العجوز من بالي. وذهبت لأرى إيليكو. لم أرد أن أكون وحيدا.

كان إيليكو وزفياد يخططان للتمشية في المدينة.

سألت إيليكو: "لماذا لم تخبرني؟"

"لقد بعت روحت لتلك المرأة" أجابتني نبرته المعتادة المرشوشة بخليط من الود والنفور.

سألني زفياد: "أليست متزوجة؟"

"أعتقد أنهما منفصلان"

أذكر عدم رغبتي في مناقشة أمر هيلينا. ربما كانا سيقومان بتعليق بذيء يكون القشة التي قصمت ظهر البعير. وربما كنت لأصبح ساخطا، كنت غاضبا بالفعل من نفسي ومن اعترافات الليلة الماضية . . . أظنهما أحسا أن الجنس فقط ليس ما جذبني إلى تلك الفتاة. وبعكس الليلة الماضية، كانا متحفظين أثناء سؤالهما عنها.

لاحظتُ أيضا أنهما كانا ودودين مع بعضهما أكثر من أي وقت مضى. في السابق لم يكونا ليفكرا في التمشية ومشاهدة المدينة من دوني، لكنهما الآن لم يخبراني حتى. لقد تمت إعادة توزيعنا، وليس

Twitter: @ketab_n

فقط بشكل جسدي (مثلما حدث في الحافلة الصغيرة) ، ولكن نفسيا أيضا: كانت لدي شريكة جديدة، بينما كان لهما بعضهما. كانا كأختين عانستين، ابتسما إلي بشكل غريب (منافق، بلمحة كراهية)، وتجاهلا رغباتي تماما (مثلا، أردت أن أرى الجزء القديم من المدينة، بينما فضلا أن يجلسا في مقهى قريب) وبدا أنهما يقومان بمزاح سريّ عنّي، ولكن بشكل غير ملحوظ، لهذا لم أكن متأكدا. كان مجرد حدس.

باختصار كانا يحسدانني.

أخبرني زفياد: "لقد تم فض مظاهرة بالقوة في تبيليسي"

استرجعت سؤال أمي: "هل رأيتها على التليفزيون؟"

"لا ، كلمت عائلتي"

قال إيليكو متحمسا "جيد!، لو كنت في مكان شرطة الشغب، كنت لأضربهم علقة ساخنة يوميا، وأضعهم في براميل مليئة بالخراء، وأدحرجهم في الشوارع، مثلما فعل العثمانيون"

"لقد ضربوا أبي"

قلت قاصدا أن أجعله يشعر بالإحراج.

"تبا لهم! هل حدث هذا حقا؟"

"لا أصدق ذلك!" تضرج وجه إيليكو خجلا.

Twitter: @ketab_n

بذلت مجهودا لأطمئنهما، ولكنني نجحت في صناعة شق في تحالفهما. أخبار أبي جعلت زفياد يأخذ صفي ولو مؤقتا، لأنني سرعان ما اكتشفت أن رابطتهما أقوى مما تخيلت. فقد نما لعلمي أن إيليكو قد ترجم نص زفياد إلى الألمانية.

"من يدري، قد يكون النص الفائز". قهقه وقال: "لو حدث، سيكون قد ضمن النشر. وعندما يحصل على جائزة نوبل، سيلقي بواحد أو اثنين بالمائة باتجاهي. فهو ليس شخصا رخيصا"

سألني زفياد: "هل كتبت أي شيء؟"

ماذا يمكنني أن أكتب؟ ومتى؟

قلت بصراحة: "لا أستطيع"

"أزمة؟" أراد إيليكو أن يعرف الأمر.

"طفولية"

"جيد!". قال ضاحكا.

"لا تقلق، ستكتب". تثاءب زفياد ونظر إلى إيليكو، "لديه بعض الوقت، أليس كذلك؟"

كانا يناقشان أمري وكأنني تلميذ كسول ولا أمل في استطاعتي على فعل شيء. في هذه اللحظة لم يكونا عانستين، كانا معلمّين متطفلين، يبديان الاهتمام ولكنهما شريران في الحقيقة.

Twitter: @ketab_n

قلتُ لهما: "سأكتب في هجائكما، وفقا للتقاليد فهي تكتب في الليل، أليس كذلك؟"

"نعم، بسهولة" كان إيليكو مرحا بشكل غريب.

لم يمكننا إيجاد مقهى واحد. كانت هناك بنوك فقط ومبان تشبه البنوك في الحي الذي كان فيه فندقنا. ولم نرد أن نذهب بعيدا. كان الليل يهبط وكل ما يمكننا رؤيته هو بولنديين سكارى.

"أين ذهبوا ليسكروا؟" تساءل زفياد. "لا بد من وجود مكان هنا. لا يمكن أن يكونوا قد سكروا في البنوك."

قلت بندم كاذب فقط لأضايق زفياد: "إنها ليلة سكر كبيرة، أليس اليوم هو الجمعة؟ الاتحاد الأوربي سينسطل الليلة. لكننا فقط لا نعرف أين بالتحديد"

فح إيليكو: "إنه الاثنين بالنسبة لنا"

وقال زفياد بنبرة مشابهة: "لا، إنه أربعاء!، أكره أيام الأربعاء أكثر من أي شيء، لا هنا ولا هناك . . . ."

"نعم، الأربعاء موت إكلينيكي" وافقه إيليكو بوجه جاد.

Twitter: @ketab_n

على أية حال، فقد انتهى أربعاؤنا سريعا. عدنا إلى الفندق لنجد عددا أكبر من العاهرات الملونات في القاعة. منذ ساعتين كان عددهم أقل. حدقنا بإعجاب.

قال إيليكو: "سيكون المكان مزدحما بحلول منتصف الليل"

كان بعضهن مخيفا فعلا، وقررنا أنهم رجال يرتدون ثياب النساء.

"يجب أن تنظر إلى رقابهن" شرح لنا إيليكو "تفاحة آدم ستخون تنكرهن"

لم يكن قبيحات في المجمل. بعضهن كن جذابات للغاية. واستطعت تخيل فرحة كاتب الروايات البوليسية إلدار أليف عندما يدخل الفندق.

قلت: "إنها جنّة أليف"

ابتسم إيليكو ابتسامة واسعة وقال: "هلا عبثنا؟"

بدت كلماته تلك مثل الكلمات التي يستخدمها عندما يكون جائعا. لاحظت مرة ثانية كيف كان ممزقا بين بخله الطبيعي وبين الرغبة.

سأل إيليكو زفياد: "اسألهن كم هو السعر"

Twitter: @ketab_n

"كيف يمكنني ذلك؟ أنا لا أتحدث بلغتهن" أصبح زفياد غاضبا.

اقترح إيليكو: "لو أنه رقم من ثلاثة خانات، يمكننا أن نبدأ في الصوم"

كان شبقا. لا بد أنه كان شبقا، وإلا لماذا أصر بكل هذا العناد. كان جسده وليس عقله ما دفعه للفعل. كان على استعداد لأن ينفق اليوروهات المطبقة، التي تم توفيرها بألم، على العاهرات فقط ليختبر بعض النصر الذي اختبره الجرادة الصربي. كان عليه أن يبدل إرميل بعاهرة.

بعضهن بدا مغويا جدا وكانت عفتي قد طالت لدرجة أنني أيضا بدأت بالتفكير في الحصول على تعويض فيسيولوجي.

هيلينا كانت بعيدة جدا، على هاتفها، بينما كانت تلك النساء هنا، ملموسات ومن لحم ودم (كان يمكننا لمسهن إن أردنا)، يجذبننا مثل المغناطيس. وبمجرد أن أحسسن باهتمامنا، بدأن بالتحديق فينا. تلويحة دالة واحدة كانت كافية لهن ليتجمعن حولنا مثل النسور.

أتذكر أنني فكرت: لو أنني أخذت إحداهن، فسأخسر هيلينا. وكما قد يفعل بطل تراجيديا إغريقية قديمة، شعرت بالهلع من غضب أفروديت. العبث والدعارة سيقصيان الفوز بهيلينا آليا من الاحتمالات.

Twitter: @ketab_n

لم تكن مسألة مال، فأنا لم أكن بخيلا قط. ولا كانت مسألة أمراض جنسية. كل ما أردته كان أن أظل وفيا لهيلينا (أو لاختياري بالأحرى). فودعت زفياد وإيليكو الحائرين سريعا وذهبتُ إلى غرفتي. كنت واثقا من أن هيلينا ستزورني الليلة.

فكرتُ أنني قد أحاول أن أكتب، لكن في اللحظة التي نظرت فيها إلى الورقة، حاصرني خوفي المعتاد. لقد مرت ستة أشهر منذ آخر مرة كتبت فيها ما يشبه القصة القصيرة، وحتى تلك كانت مسوّدة. ليست فقط فكرة إعادة كتابتها ، بل ومجرد فكرة قراءتها كانت ترسل موجات من الرعب في عمودي الفقري. بدا أن كل طاقتي قد استهكلت في الحرب، ثم إيلين، وأخيرا هيلينا. العضو (أو الأعضاء) المسئولة عن الكتابة كانت مشغولة بدبابات الروس، والهيلينتين السابقة والحالية.

هاينز، قدمي! لم أستطع الكتابة. نقطة. يمكنهم أن ينشروا زفياد في المجلات الألمانية. فهو شاعر جيد واستحق الفوز بالمسابقة . . . كنت مستعدا لأن أدعو له بالتوفيق.

لم أكتب كلمة واحدة تلك الليلة. ودخلت السرير، راقدا بانتظار هيلينا.

كان الأمر على مايرام بشكل أو بآخر حتى استيقظت. كان أصعب الأشياء هو الانتظار في نومي. وأصبح الأمر أسوأ عشرة مرات

Twitter: @ketab_n

بإدراكي أن هيلينا لن تأتي ثانية. أظنني ظللت أستيقظ كل خمس دقائق، وأنظر إلى الباب، ثم أغوص في النوم من جديد. أدنى صوت أتى من الممر شدّني من نومي السيء. بدا أنني عالق بهيلينا. حلمتُ بأشياء متعلقة بها ولكن مرتبطة ببعضها بشكل غير منطقي تماما (التربيت على هيلينا، هيلينا في المقابر، هيلينا في تبيليسي، في البيت الذي أجرته مع إيلين، هيلينا عند بابي، هيلينا مرتدية حذاء الركض الأخضر الخاص بإيلين)، كان نوما محموما، وكأنني كنت مصابا بالبرد. كنت منفعلا، ولكن بطريقة غير معتادة. كنت أعاني من فيروس هيلينا.

قررت أن أذهب إلى غرفتها عدة مرات في تلك اليقظة القريبة من الغيبوبة، ولكن بمجرد أن استيقظت تماما، غيرت رأيي. أحيانا رأيت أن هناك أشياءً تمنعني من ذلك ("مرت بيوم سيء. لو أنها أرادت رؤيتي كانت ستأتي من نفسها") في أوقات أخرى كانت تلك الأشياء مثيرة للسخرية ("لو أنني صعدت سأجد إيليكو في سريرها. سأضطر لقتله وستجن أمي")

ولم أرها حتى على الإفطار. قابلت إيليكو الغاضب الذي أمضى ليلته بخلاف ما خطط له مبدئيا. كان تعبيره يظهر كم كان آسفا على المال الضائع.

Twitter: @ketab_n

"مؤخرا نصحني أحدهم بتجربة القزمات" أخبرني. "مديرو السرك يمارسون الجنس معهن بشكل منتظم. سيدهشك عدد العائلات التي تحطمت بسبب ذلك ... فكما يبدو فهن خبيرات في المص... . تعرف من أخبرني؟ أليف! اثنان أو ثلاثة أشخاص مشتركون في هذا. قال لي أن قريبه اعتاد أن يحملهن على السلالم ليظن الجيران أنهن أطفال. هل تتخيل ذلك؟ أليس متهورا كلاسيكيا؟ سأقرأ كل كتبه ... "

لم أستطع أن أفهم ما يرمي إليه. بل إنني سألته كيف فكر في القزمات أصلا.

قال لي بهمس تآمري: "أمس اخترت أقصرهن، بذراعين ورجلين قصيرتين، لكنها كانت بلا فائدة. خشبة. لقد خدعني سوتيانها. تدفع للسوتيان وتكتشف ثدي مسطح ... قالت إنها تفهم في السحر الأسود، تافهة بشكل مدهش ... لماذا ضيعت مالي؟ فقد استمنيت على أي حال . . . "

لم أطق هراءه أكثر من ذلك. لو أنه لم يتوقف، لبصقتُ في شايه (لماذا لا يمكنني أن أكون صادما ولو لمرة واحدة؟). وبدا عليه أنه فطن إلى أنني أحضر لهجمة إرهابية وسألني باهتمام ودود، مثل محلل نفسي خبير:

Twitter: @ketab_n

"مزاجك سيء؟"

أومأت (لو كان عمري ثمانية وليس ثمانية وعشرين لكنت بكيت)

"هل وقعت في حبها؟" استطرد تحقيقه الودّي.

"لا أعرف بعد" كذبت.

"بل تعرف" ضحك. "لا يمكنك خداعي، يا ولد. إنهم أمثالي من يتوافقون مع أمثالها، بينما أنت تقليدي نوعا. هل تعرف كيف تحادث امرأة غير جورجية؟ ما تريده هو شابه من حي فاخر بعد تبيليسي، بمؤخرة صغيرة وعائلة كبيرة"

أصبحت غاضبا: "أنت لا تعرفني إطلاقا"

أصبح هو أيضا غاضبا: "ولا أنت تعرف"

بمنتصف النهار كنت قد استنفدت صبري وذهبتُ إلى غرفة هيلينا، ولكن قوبلت بعاملة النظافة التي كانت تغير الملاءات والمناشف. فجأة فكرتُ في أنها قد غادرت، ليس إلى الخارج مؤقتا وستعود، ولكن اختفت إلى الأبد. ربما كان قد تعاركت مع زوجها ثانية – للمرة الأخيرة– واندفعت خارجة. قررتُ أن أسأل العاملة، لكنها لم تتحدث كلمة إنجليزية واحدة. المسكينة ابتسمت وأومأت فقط. ولم تسمح لي بالدخول إلى الغرفة لأرى إن كانت حقائب هيلينا

Twitter: @ketab_n

لا تزال هناك. لم أهدأ إلا عند الاستقبال عندما أخبروني أن أحدهم طلب هيلينا وأنها لم تغادر.

تلقائيا، اتضحت حقيقة أنني لا أعرف اسمها الثاني عند الاستقبال.

كنت مغرما بشخص بلا اسم.

"إنها يونانية، بشعر أسود، وهي زميلتي" هكذا أخبرتُ موظف الاستقبال.

اختفاء هيلينا غير النهائي شجعني قليلا. ولكنها لم تظهر عند الواحدة بعد الظهر، ولا عند الواحدة والنصف ولا الثانية. ثم ذهبنا إلى المدينة القديمة.

في الفندق قابلتنا مجموعة من البنات الجورجيات اللاتي يدرسن في وارسو.

"سمعنا أنك هنا وجئنا فورا لنراك" أخبرن زفياد.

يمكننا القول أنهن كن معجباته.

ربما لا يجب أن أكتب هذا ولكنني لم أر قط أناسا بهذا الشكل الغريب من قبل. أو ربما، كنت مكتئبا وقتها ورأيت الأشياء بألوان قاتمة. البنات (تسع بنات) كن جيدات لو أنك خططت لأن تكون

Twitter: @ketab_n

صديقهن فقط، لكن المشكلة كانت أنهن لا يشبهن البشر، بل شابهن أشياء. ربما كان ذلك انطباعي على خلفية أشكال البولنديات (لو كنت قد رأيت تلك البنات في جورجيا، كنت فكرت بشكل مختلف)، لكن ما رأيناه في ذلك اليوم كان بعيدا كل البعد عن حدود الجسم الأنثوية. كانت معنا الفتاة المدفأة، والفتاة المكواة، والفتاة الغسالة، والفتاة المكنسة، والفتاة الحوض، والفتاة بورترية بريجنييف[20]، والفتاة التمثال الرأسي لعالم مجهول، والفتاة مجفف الشعر.

تصرفن كأشياء أيضا. كل أسئلتهن كانت عن السياسيين الجورجيين والمشاهير الذين يظهرون على التليفزيون بشكل منتظم. وبخصوص هذا فقد ذكرن أسماء وأشرن إلى أحداث لم أسمع بها من قبل ("هل تزوجت ن؟" "هل وفى خ بوعده بالاعتصام في كهف؟" "هل عمد البابا ٦٠٠ رضيعا في يوم واحد؟") ولم أعرف أين درسن ولا أين يعملن بالتحديد. كانت إجاباتهن غامضة، وشعرت بأن هناك شيء مريب في ترددهن في الإجابة. الفتاة المدفأة كانت الأكثر انطلاقا (والأكثر نشاطا):

"هناك كنيسة أرثوذكسية روسية هنا وهناك يلتقي معظمنا نحن الجورجيين"

20 ليونيد بريجنيف، سكرتير عام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بالاتحاد السوفييتي بين الأعوام ١٩٦٤ و ١٩٨٢. (مترجم)

Twitter: @ketab_n

كن يعرفن شعر زفياد بفضل الإنترنت ولكنني كنت مجهولا بالنسبة لهن. لكن مع ذلك، كن جريئات في الحديث معي وقهقهن كثيرا بل وغازلنني بشكل ساخر(؟)

لم أشك في أن واحدة أو اثنتين كن مفتونات بزفياد، الذي كان يشعر بالإطراء (كان ذلك واضحا كالشمس) لأن سرب الفتيات الأشياء المعجبات قابله في وارسو. وقام ببعثرة العبارات المبتذلة بوجه عبقري مجرب ومتعب بل جاهد في أن يبهر ليس فقط هاتين الاثنتين بل وبقيتهن أيضا.

كنت تلك المرة الأولى التي أراه مرتفع المعنويات بهذه الطريقة. فإلى تلك اللحظة، لو أنه لم يكن يشرب الخمر، فقد كان مشاهدا حذرا. والآن وقد أحاطته معجبات من بلده الأم، فقد استعاد ثقته، بشكل طبيعي(بدون الكحول) وشعر بالسعادة.

عندما أخبرته أن البنات كن يشبهن الأغراض المنزلية، شعر بإهانة شديدة وغضب مني.

قال: "إنهن عظيمات، مجنونات بالشعر ويمكنهن بسهولة أن يذبحن أعدائي"

أخيرا، كان الشاعر الجورجي الحقيقي يتحدث من خلاله.

Twitter: @ketab_n

همس لي إيليكو: "هل يضاجع أيا منهن؟"

هززت كتفي. "ليست لدي فكرة، ولا أظن ذلك، ربما قبلات على أقصى تقدير"

"نعم، سيضايقهن قليلا، يبكيهن قليلا، يعاني قليلا، ثم يكتب قصيدة" ضحك ضحكة شريرة بطريقة ميفيستوفيليس"[21].

انهار تحالفهن أمام عيني هاتين.

لو أن هناك كاتبًا حقيقيًا ومشهورًا في مكاني، كان سيصف مشهد لقاء هذه الفتيات بنكهة الدموع والجمل الوطنية الكاذبة قائلا: "آنساتنا قد طردن من الواقع الجورجي المر إلى بلاد بعيدة ليعملن ويتعلمن. ويكددن باسم وطنهن، ويساعدن عائلاتهن المحرومة اقتصاديا، ويساندن ذويهن المتقدمين في العمر ماديا."

كنت مباشرا مع زفياد:

"لن تتخلص منهن لبعض الوقت. أنا ذاهب"

نظر إلي بتعبير مشدوه ولكنه لم يقل شيئا. تمشيت في شوارع وارسو القديمة، ونظرت إلى العمارات المطلية بالأحمر والأصفر، بل واكتشفت تمثالا لرأس البابا يوحنا بولس الثاني. لم أعرف ماذا بعد

---

21 ميفيستوفيليس هو الشخصية الرئيسية في مسرحية فاوست للشاعر الألماني جوته. (مترجم)

Twitter: @ketab_n

يمكن أن أفعله في هذه المدينة وعدت إلى الفندق. من دون ان أذهب إلى غرفة هيلينا، جلست في الحمام، حزينا، بورقة وقلم، ومحاولة أخرى للكتابة.

كتبت مرتين، وشطبت مرتين الكلمة الافتتاحية: "الروس قصفونا في أغسطس . . . ." ثم استسلمت.

Twitter: @ketab_n

لم أصدق: كان لديها وشمان على مؤخرتها، كلاهما توقيع. سألتها عما كانا. ضحكت ... قالت: "إنها حكاية طويلة". ما يمكن أن تكون؟ أحدهم قد ترك توقيعه على مؤخرتها إلى الأبد! أصررتُ أن تقول لي. كانت تضحك ولكنني شعرت أنها قلقة، بل وضائقة بالندبة الحمقاء الباقية إلى الأبد. أرفضُ أن أفهم لماذا لم تتخلص منها. كما شككت، فقط كانا لرجلين. أحدهما كان حبيبها السابق. قالت إنهما ظنا أنهما لن يفترقا إلى الأبد. كان لديه توقيعها، وقد حصلا على الوشمين في الوقت ذاته (!). ولكنها رفضت تماما أن تتحدث عن التوقيع الآخر، فتركتها كما يحلو لها. ربما قد وضع هناك بالقوة، كيف سأعرف؟ أم أنه مرتبط بصدمة نفسية؟ لم أصرر، وأشفقت عليها. كم هو مريع! ماذا ستشعر إن حملت حياتك العاطفية على مؤخرتك؟ ماضيك على مؤخرتك، إلى الأبد! لا يمكنك أن تخفي أحباءك السابقين، وكل حبيب جديد سيعرف من كنت معه في يوم من الأيام. ماذا لو أنك لا تريد أن تعترف بكل شيء؟ ماذا لو كنت تريد إخفاء هويتك؟ مضطر لتشرح لوقت طويل، وتشعر بالذنب والبؤس ... أليس من الأفضل أن تبتر هذه المؤخرة الثرثارة؟ لماذا تحتاج إلى مؤخرة لا تحفظ الأسرار؟ كنت لأحرقت جلدي أو خضت

Twitter: @ketab_n

عملية تجميلية. ولكن ما أظنه هو أنها فخورة بالأسماء. أو أنها تريد أن تري الآخرين أي رجال كانت معهم. ولكن من كانا على أي حال؟ أغنياء؟ هل كانا بورخس ونيل أرمسترونج؟

لا، لم يكن ذلك من صنع خيالي. كانت محرجة. كانت مثيرة للعطف. ولكي لا أجعلها تشعر بالوحدة في هذا السياق، كتبت على ذراعي بحروف كبيرة: ميلينا. بقلم حبر شيني طبعا.

...

Twitter: @ketab_n

وصل إكسبريس الأدب في المساء. اتصل إيليكو بغرفتي.

قال: "لقد وصلوا، رودي يرتدي قميصا روسيا"

ثم انتقل إلى الجزء الذي أثار اهتمامي حقا:

"زوج فتاتك أتى أيضا. قابلته في المصعد" نبتره وصوت أنفاسه جعلاني أفكر أنه انتظر رد فعلي بنوع من المتعة السادية السرية.

"حقا؟ حسنا" عانيت لكي لا يظهر الإحباط في صوتي. "أتمنى ألا يسلمني للشرطة في وطنه"

قال إيليكو: "مستحيل، ليس هذا هو أسلوب البولنديين في الثأر"

وبسماعي الأخبار، وجدت أنه من الصعب أن أبقى في غرفتي. أكره الأشياء علي كان يحدث لي: لقد وقعت في حب غريبة مراوغة. لم أكن قد جربت حظا عاثرا كهذا أو شعرت بهذه الحيرة منذ أن أنهيت دراستي. مع إيلين مثلا، كل شيء كان بسيطا ومباشرا. كيف انتهى حالي، أنا، المغفل البالغ، إلى أن أشعر كهارب من المدرسة؟ لم يكن يجب أن أسمح لنفسي أن تقع في ذلك الفخ الذي وضعته بنفسي. كان عليّ أن أخرج منه بينما يمكنني ذلك. كان يجب أن أبتعد عن هيلينا.

Twitter: @ketab_n

النوم معا سبب ذلك.

كان رأسي مليئا بالأسئلة:

هل سيمارسا الحب؟

هل سأضطر إلى رؤيتهما يجلسان جنبا إلى جنب؟

هل يجب أن أتصالح مع فشلي التام؟

هل سأنسى مالبورك؟

هل علي أن أمحو ذكرى رحلة الحافلة الصغيرة التي أمضيناها معا من مالبروك إلى وارسو؟

وقائمة الثلاثة وثلاثين بندا أيضا؟

اندفعت إلى الخارج. كنت أكره غرفتي، وملابسي، ودفتر الكتابة، وحقائبي.

قررتُ أن أشرب. أشرب، وأدخن، وأهاجم معجبي زفياد الذين يشبهون الأغراض المنزلية. كان علي أن أسلي نفسي بشكل أو بآخر، أليس كذلك؟

ذهبتُ إلى مطعم الفندق ووجدت الشيشاني راؤول ألداموف يشرب نبيذا أحمر.

Twitter: @ketab_n

سألني: "هل تريد بعضا منه؟"

"القليل" قلت ذلك بإطراقة وجلست إلى طاولته.

"هل استمتعتم بدوننا؟"

سألته بدوري: "هل فعلتم؟"

"نحن .... نحن كنا معاقبين. ومنحطين. قالوا أن الكتاب الذين يحترمون أنفسهم لم يكونوا ليقبلوا بالمشاركة في جولة معتوهة كتلك"

"رباه!"

"نعم، السلطات فقط استقبلتنا بشكل متمدن، لكن زملاءنا رجمونا"

"شعروا بالغيرة ربما"

"لا، نظريا كانوا على حق. على الكاتب أن يبقى في البيت، يرتدي نعليه، ويجلس إلى الكمبيوتر، ويضرب أزار لوحة المفاتيح. ماذا يفعل على قطار؟ لشهر كامل؟ هل هو سائح عادي؟

"هل قالوا أي شيء عنا؟"

Twitter: @ketab_n

"الجورجيين؟ لا! لم يبالوا بشيء" ضحك. "بوشكوف قرأ رسالته الاعتراضية في إحدى الأمسيات الأدبية وهذا كل ما حدث. . . كان هناك تصفيق مع ذلك. ما يشبه تصفيق اجتماع الحزب الشيوعي. لهذا فقد أحضرنا لكم صوت التصفيق"

كان شخصا جيدا. ضحك على كلمات نفسه. لم يكن في نيتي أن أمضي الليلة كلها في الشرب والحديث إليه. من جهة أخرى، لم تكن لدي خطط أخرى. ولا فكرة عما ماذا أريد فعله في الساعتين أو الثلاث ساعات القادمة قبل أن أنام. وقتها يمكنني أن أنام على الأقل (كنت مرعوبا من التفكير في اليوم التالي). جلسنا هناك، نرشف النبيذ ونتحدث لبعضنا البعض. أو بالأحرى، كنت أستمع فقد كان يتحدث هو معظم الوقت. عندما وصلت، كان سكران بالفعل.

من آن لآخر نظرت إلى الباب، كنت متأكدا أن ماسيك سيدخل. ألم يشرب حد الغياب عن الوعي في مطعم مدريد عندما حاولت أنا وهيلينا حمله إلى غرفته.

"ما الذي تنظر إليه؟ هل تتوقع وصول أحدهم؟" سألني راؤول.

أنكرت بشدة أي شيء من هذا النوع (لسبب ما كنت واثقا أنه سيشعر بالإهانة لو كنت كذلك). لاحقا، عندما أصبحت ثملا قليلا وشجاعا بما يكفي، سألته مباشرة:

Twitter: @ketab_n

"أنت مسلم، كيف تشرب النبيذ؟"

"أنا لست مسلما، أنا أدعي ذلك" قال بضحكة خافتة. "هل أبدو كمسلم حقيقي؟ لو لم أكن مدعيا، ولدي قرض بنكي بـ ٢٠٠٠٠ دولار.... اسمع ... لو لم أضطر لدفع ٦٠٠ دولار شهريا، كنت لأصبحت مسلما عاديا، بل لانتميت إلى حزب الله! القرض يبقيني في الحدود مثلما تفعل زوجتي، أطفالي، والسيارة ... مرسيديس عمرها ٥ سنوات، بالمناسبة ... وإلا لكنت أصبحت أصوليا ... أشعر بذلك في روحي! هذه كلمتي لك! كنت لآمنت أنني لو قتلت الرئيس الروسي، أو حسنا، رئيس الوزراء، سأذهب إلى الجنة حيث سيكون لدي جيش من العذراوات لممارسة الجنس! كيف يبدو لك ذلك؟ ها؟ لكنني مربوط بالقرض يا زازا، هل تفهمني؟ زفياد كان محقا، النبيذ هو مجرد حلقة في تلك السلسلة"

تمنيت لو لم أكن سألته. فجأة شعرتُ بالرعب من احتمال قضاء الليلة مع هذا الهاذر. كما أنني لم أكن واثقا تماما من جديته. من آن لآخر ضحك على كلامه، لكنه أحيانا تحدث بوجه ساخط، ولم أعرف كيف أرد. هل كان من المفترض أن أضحك أم أغضب مثله؟ في النهاية، استعنت بتأثير المرآة: لو ضحك، أضحك. لو كشر، أكشر، لأن الشيء الوحيد القادر على تحيطم ودنا في هذه اللحظات كان عدم التوافق. كان على ردود أفعالي أن تحاكي تعبيرات وجهه

Twitter: @ketab_n

تماما في الزمن والطبيعة، وإلا كنا تعاركنا. نعم كان هذا أكيدا. ومهما هذر عن قرضه البنكي، كنت لا أزال متشككا في ليبراليته الزائدة وإنسانيته. نعم، أعترف أنني عبدٌ للأنماط والمفاهيم الخاطئة. أرفض أن أؤمن بليبرالية شمال القوقاز. فأنا مريض بشكل مستعصٍ بشكوكية جنوب القوقاز.

الآن أحاول أن أستعيد عواطفي في ذلك الوقت ولا أتفق مع نفسي الماضية. لا أعتذر الآن. بأمانة، لقد غيرت رأيي.

على الأقل عن راؤول.

"هل قرأت قصة بوريسوف؟" فجأة بدأت بالهمهمة (في الواقع، كان يهمس حين كان يتحدث عن اغتيال الرئيس الروسي).

"نعم" أومأت برأسي.

"و؟ أليس قطعة من الخراء؟ أستطيع أن أكتب ستة منها في اليوم. "أمي كانت امرأة لطيفة، أبي سقط من الشجرة" ما هذا بحق الجحيم؟ هل يسخر منا؟ لكن لا، إنه ليس بهذه البساطة. ألا ترى ما الذي كان يهدف إليه؟ قل شيئا . . . . "

كم كنت متعبا من الاستماع لتلك التفاهات! في البداية دانوتا كانت تهذي عن حبكة بوريسوف، والآن هو.

Twitter: @ketab_n

"كم مرة حاربتم منذ أن انهار الاتحاد السوفييتي؟" رفع صوته.

"لست متأكدا، ثلاث أو أربع مرات" تمتمت.

"خضنا حربين. والبلغاريون؟"

"ليست لدي فكرة"

"ولا مرة واحدة!"

"صح"

"بالضبط! لكن ابن الحرام في النيويوركر بسبب قصته عن الحرب العالمية الثانية. وأنتم خضتم حربا منذ شهر . . ."

"ثلاثة"

"غير مهم. لديكم حرب! أتعرف ما كان بوريسوف سيفعله لو كان في مكانك؟ كان سكيتب عن الأولى، الثانية، الثالثة ثم الأخيرة"

"ما يدريك أنني لا أفعل هذا بنفسي؟"

"لو أنك تفعل، أريد أن أرى النيويوركر هنا!" ضرب الطاولة بقبضته. "أعطني مترجما جيدا، أعطني عرضا مادحا!"

"هل علي أن أكتب عن المشاكل الإقليمية؟" تظاهرت بالغضب (في الحقيقة فقد جعلتني "أعطني" أضحك)

Twitter: @ketab_n

"افعل ذلك!" وشخر على كلامه الخاص. ثم قرع كأسه بكأسي. "لنشرب نخب حروبكم الأربعة! إنه موضوع رائع"

"نخب حربيكم!" ابتسمت. "ما يجعلها ستة، ست نوفيلات . . . القوقاز الملفوف بالنارِ. رائع!"

"والجنس في الفردوس كخاتمة"

لا أذكر كيف أمكنني الهروب من راؤول السكران.

لا حاجة لقول أنني لم أجرب حتى الذهاب إلى غرفة هيلينا. عدتُ إلى غرفتي وسقطتُ على السرير: ضائقا بحالي، وسكران، ومهجورا. يمكنني أن أقولها ثانية: لو لم أكن ٢٨ لكنت بكيت. هذا ما فعلته بعد حفلة تخرجي. كنت مغرما بزميلتي في الفصل لكنها كانت ستتزوج من شخص أحمق. وقد كبت مشاعري طوال اليوم، وشربت، ومرحت ولكن بمجرد أن دخلتُ غرفتي، دفنت وجهي في الوسادة وبكيت بمرارة. كنت على وشك الاختناق ولكن لم أستطع ولم أرد أن أرفع رأسي. بدا الأمر وكأنني كنت أبدّل تلك الفتاة بعوائي المكتوم.

Twitter: @ketab_n

لم أبكِ في وارسو. كان هناك أنانيّ في الثامنة والعشرين في سريره في فندق بوارَسو وليس مازوخي في السابعة عشر. وقد عرفتُ أنني يجب أن أبدأ بكراهية هيلينا.

لو لم أفعل، كيف سأشفى من حبي لها؟

حدث شيئان في تلك الليلة.

أولا، اتصل زفياد ليسأل إن كان لدي واقيا ذكريا. كان ينتظر إنجا (الفتاة مجفف الشعر أو ربما الفتاة التمثال الرأسي لعالم مجهول). أخبرته أنني آسف فأنا لا أملك واحدا وحذرته أنه من الممنوع النوم مع المعجبات، ولكنه إن فعل فسيختبئ منها في الصباح التالي وستلعنه.

أخبرني زفياد: "تلك البنات من أوربا، ولسن من إحدى قرانا"

ثم كانت هناك طرقة على الباب.

كنت واثقا أنها هيلينا.

كان ماسيك.

سألني: "هل أيقظتك؟"

فكرت أن هيلينا أخبرته بكل شيء وأنه هنا لكي يضربني.

Twitter: @ketab_n

"آسف، يبدو أنني أقلق نومك بشكل منتظم" ضحك، "أنا بومٌ في العادة، فأنا لا أنام الليل . . . لقد أحضرت هذا لك" وأعطاني قصصي، "إنها مثيرة للاهتمام. أظنني سأترجم "العواميد" يمكننا التحدث عن هذا في وقت لاحق."

لسبب ما غامض، كنت واثقا أنه واعٍ بشيء ما على الأقل، هذا إن لم يكن يعرف كل شيء.

أنا وهيلينا تشاركنا سريرا، ولكنه ما زال يمدح قصتي! يا للعبث! ظلم محض. لقد ظنني هذان الزوجان أحمق تماما. كانا يلعبان بي.

راؤول هذا هو المترجم الجيد الذي أردته

. . .

Twitter: @ketab_n

لم أكن لأحقق هذا في الوطن أبدا: لقد وضعت النيويوركر التي بها قصتي هنا وهناك في كل العربات. في البداية سألت أورسولا، مساعدتي أثناء الجولة، أن تعطي نسخة لعدة "كتاب". وقد مررت طلبي المتواضع بأن يخبروها انطباعاتهم. بعد أسبوع كامل من توزيعها، لا يوجد رد فعل. هل أتطلب الإعجاب؟ حاشا لله! لست عجوزا لأتوقع المديح فقط. أوه، لا! لقد انتظرت تعليقات ودية، طبيعية، احترافية، والاهتمام والنقد من زملائي، الأمر الحيوي لإضفاء جو صحي على الأدب عموما. ولكن ما الذي حصلت عليه هنا؟

الاهتمام صفر. أورسلا تقول لي أن المرء لا يمكنه أن يقول إن أحبوها أم لا ففي الواقع لم يقرأها أحد فعلا! بينما كنت قد وزعت نسخ المجلة منذ ثمانية أيام مضت! ماذا يمكن أن نتوقع من الأطباء، والمهندسين، والرسامين أو الفيزيائيين لو أن "الكتاب" أنفسهم لا يقرأون أعمال زملائهم. كيف نطالب تلاميذ المدارس بالقراءة لو أن الكتاب المحترفين لا يفعلون؟ لقد انقرض الكتاب القارئون وأنا شاهد حي على النتيجة المحزنة.

Twitter: @ketab_n

الناس هنا يسمون أنفسهم كتابا ولكنهم يظهرون لا مبالاتهم تجاه، كما يمكن أن أقترح بتواضع، زميلهم الأكثر نجاحا بنسبة ضئيلة. لو أن قصتي ليست مثيرة للاهتمام، لماذا نشرتها النيويوركر؟ ألا يريدون أن يعرفوا المزيد عن الآليات الإبداعية الراهنة فيما يسمونه مجالهم؟ وليس عليهم أن يذهبوا بعيدا، بل في الجوار القريب، في بلغاريا.

هل مللنا بعضنا إلى هذا الحد؟

أولئك "الزملاء" الذين استملوا نسخ المجلة ولم يبدوا أية ردة فعل، قد أضفتهم تلقائيا إلى "قائمتي السوداء" (ليس بي صبر على الكتاب الأمين) لكنني مستعد لمنح فرصة أخرى لأولئك الذين قد يظهرون بعض الاهتمام بقدر شريكهم، وبعض الاهتمام تجاه نجاح أو فشل زميلهم. فقد فشلت أول مجموعة من المختارين لتكشف عن محترف حقيقي، سأنتظر أحدا آخر. لنر من سيدفعه نهر العناية على الساحل. . . .

نسخ النيويوركر في عربات وكبائن متعددة. وأنا وأورسولا نراقب عن بعد، منتظرين أن تأكل السمكة الذهبية المتسائلة المحترفة: الطعم.

هل سيقرؤنا أحد في أوربا؟

أرجوك لا توبخني من أجل هذه اللعبة. يجب أن أمرح قليلا في السيرك، أليس كذلك؟

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

١٦- بـرلـين

ودع ركاب إكسبريس الأدب بعضهم في برلين. شككت في أنهم سيطلون قطارنا بألوان مختلفة، وستمحى كل الكتابات التي تربطه بالأدب، ثم يتم إرساله ليعمل في الأنفاق. لقد كنتُ واعيا تماما أنني طالما كنت في تلك الرحلة فإنه سيكون من المستحيل تماما أن أنسى هيلينا أو أتوقف عن محبتي لها. وقد فهمت أيضا أنني لن أهدأ إلا عندما تصبح رؤية هيلينا مستحيلة. لقد كنت لا أزال مهووسا بها، وظللت أبحث عنها في كل مكان. لو أن كل شيء سار وفق التطور الطبيعي فإنني وخلال ثلاثة أسابيع (أو شهر على أقصى تقدير) من وصولي إلى بلدي، سأخرجها من رأسي. كانت خبرتي الخاصة هي ما جعلني واثقا. الأسبوع الأول سيكون الأصعب، وسيجعلني شتاء تبيليسي أفكر في الانتحار. لكن لو أنني استطعت أن أحيا عبر تلك الفترة الصعبة، قد أستجمع قواي لكتابة قصص جديدة. باختصار،

Twitter: @ketab_n

لو أن حساباتي كانت صحيحة، ستكون جورجيا مستعدة لاستقبال لعازر[٢٢] جديد بنهاية سبتمبر أو حوالي السنة الجديدة. حتى لو كان هذا اللعازر هو أنا. حتى ولو على مستوى محليّ جدا.

لم يحدث شيء يستحق الذكر قبل مغادرتنا برلين. أمضيت النهار بأكمله راقدا في السرير مشاهدا التليفزيون. لم تظهر هيلينا. ولا زوجها ظهر. أيضا اكتشفت أن زفياد لم ينل حظه مع معجبته إنجا. أخبرني أنها لاعبته ولكنها لم تذهب أبعد من ذلك. كما يبدو، فإنهما قد تشاداّ عند إشارة المرور أمام فندقنا: فقد شدها ناحيته، بينما وقفت هي ثابتة في حارة الدراجات. دعاها زفياد إلى غرفته، مفكرا أنها قطعت كل تلك المسافة وتحتاج خطوة واحدة. ولكن عندما يئس من رجائه لها، أخبرها بخليط من الاحتقار والسخرية: "أنا كنت فرصتك الوحيدة في دخول التاريخ يا معتوهة"

لا عجب أنهما افترقا في التو واللحظة؟

عائلة الليتواني فايتاس، أربعة أطفال شقر وزوجة طولها مترين، وصلت من فيلنيوس. ظاهريا لم تبد ميلينا أي توتر، لكنني كنت واثقا أنها تموج بالغضب. كانت البشرة حول فمها مليئة ببقع حمراء. كان طولها هو نصف طول الزوجة ولون بشرتها مقارنة ببياض البقية،

---

22 لعازر هو الشخص الذي أعاده المسيح إلى الحياة في الكتاب المقدس. (مترجم)

Twitter: @ketab_n

كان أصفر آسيويا. بالنسبة لي بدت شقراء دائما، لكنني غيرت رأيي عندما رأيت بياض عائلة فايتاس. احتضن وقبل أطفاله بنوع من الشغف الحيواني. وأثناء ذلك، وكأنما بمصادفة شريرة، لم يكن لدى ميلينا ما تفعله. وهكذا وقفت هناك، مراقبة العائلة السعيدة تلتقي من جديد. "هذا ما كان يجب أن يصبح عليه الأمر، هل توقعت شيئا مختلفا يا ميلينا؟ هذا هو الطبيعي فقط أليس كذلك؟ سأقترح اجتماعا للعمل مع هاينز ورودي" لا بد أنها فكرت في هذا في الوقت نفسه.

على العكس من ذلك، فقد كانت مدام روجيه سعيدة حقا، فلم يأت أحد من روسيا البيضاء ليرى ميكي ماوس خاصتها (سيصلون لاحقا، عندما يحصل على الجنسية الفرنسية). كانا يقبلان بعضهما بلا توقف. لم تكن من يمكنك أن تلقبها بالشابة، ولكنها أمضت معظم الوقت على ركبتي كائنها العضلاتي.

مقارنة بي، بدا الجميع أكثر حظا، بما فيهم مدام روجيه ذات المائة عام.

لاحقا في تلك الليلة نظم إيليكو معرضا للأشياء التي سرقها من الفنادق المختلفة. لقد قدم تنويعة رائعة: برنس حمام (٣)، نعلان للاستخدام مرة واحدة (٢ زوج)، هاتف (١)، ملاعق، ملف جلدي (يحمل علامة فندق ماريتيم)، كتاب مقدس ألماني ("ترجمة لوثر،

Twitter: @ketab_n

كانت في الدرج")، نسخة من موديلياني ("تذكرني بحبيبتي السابقة، نفس الثديين، ونفس البشرة الحمراء") ومصباح كهربائي واحد.

"ثمنها ٣٠٠ يورو على الأقل" قال. "كل ما أحتاجه الآن هو تليفزيون، وزوجة، ومنصب سفير جورجيا"

سألت إن كان له مكان في برلين يسميه بيتا، حيث يمكنه أن يترك كل هذا.

"نعم، في كرويتسبرج، ٤٠ مترا مربعا. أشاركه مع شتيفان، هو في تايلاند الآن. جاف مثلي تماما" قهقه.

واضح أن شتيفان مثل إيليكو تماما، تخصص في جمع الأشياء من الفنادق. يمكنني أن أتخيل مكانهما بجلاء: من كل بستان زهرة، مزدحم بالأشياء التي تستخدم لمرة واحدة.

كان ذلك المعرض الباقي في ذاكرتي، آخر انطباعاتي عن وارسو. لم أر هيلينا في أي مكان، لا في القاعة ولا في الممرات، ولا المصاعد ولا الشوارع ولا عند إشارة مرور زفياد وإجنا، ولا في محطة القطار.

غادرنا إلى برلين ولم تكن لدي فكرة عن مكانها.

حتى ذلك الوقت، كانت رحلات القطار صامتة ودائخة نوعا ما، لكن آخر مسافة قطعناها في رحلتنا كانت حيوية بشكل غريب.

Twitter: @ketab_n

في الطريق من لشبونة إلى مدريد بدأ الجميع بالكتابة وكأنما باتفاق وشيء مشابه حدث الآن. ولكن بدلا من كتابة انطباعاتهم بصمت، فقد أخرجوا اللاب توب وبدأوا بقراءة نصوصهم، وتحريرها وتغييرها بصخب. تقريبا حاول الجميع أن يقدم كتاباته بصوت عال. وفي المقابل مني، فقد أخذوا اقتراح هاينز بجدية تامة، وأعاروا اهتماما جادا للإعلان الذي قامت به ميلينا وإرميل عن مسابقة برلين. إرميل ظهرت في كابينتنا لتعطي زفياد ترجمته الألمانية من أجل التدقيق اللغوي. الصياغة النهائية المصححة يجب أن تُسلّم بعد ساعتين.

أخبرتني بجدية: "لم نحصل على نصك"

"لم يكتب شيئا. أصابعه كانت متورمة" أجاب إيليكو عني، كان لا يزال يغازلها.

"آسفة لسماع ذلك" تمتمت إرميل ببرود. لا بد أنها فكرت أنه من غير المبرر ألا يبدي كاتب اهتماما بمسابقة أدبية مهمة كتلك.

اعتذرت (غير متأكد إن كان يجب أن أشعر بالأسف للأمر) وشعرت في التو بكراهية كل المشتركين في المسابقة.

Twitter: @ketab_n

ركّز إيليكو وزفياد في التصحيح. ولا حاجة للقول، أن إيليكو هو من كان يصحح، بينما نظر زفياد إلى الكلمات التي لم تبد مألوفة له بوجه يظهر البراعة. لم يبد النص المطبوع كقصيدة على الإطلاق، كان واسعا جدا، أشبه بالنثر منه بالشعر، لا بد أنه كتب قصة.

"لا إنها مذكرات حرب" اتسعت ابتسامته. "يوم كامل. من النهار وحتى الليل"

"حربنا؟" سألته.

ضحك إيليكو "لا حرب البور[٢٣]"

فكرت: نعم، لكن هذا هو موضوعي، أليس كذلك؟

"أعتقد أنه أضاف شيئًا من عنده" غمز لي زفياد. "استغل الفرصة بما أنني لن أفهم بأية حال"

لم ينكر إيليكو أو يقر بالاتهام. استمر في القراءة، محركا شفتيه، ومتابعا السطور بقلمه.

لا أعرف ماذا دهاني، لكن رغبة في تخريب عملهم كانت أقوى من تحكمي فيها (لا بد أنني كنت أشعر بالغيرة لأنني خارج الآلية

---

23 حرب البور: حرب البور الأولى دارت بين البريطانيين والمنحدرين عن الهولنديين الأوائل الذين استعمروا جنوب أفريقيا في ١٨٨٠. (مترجم)

Twitter: @ketab_n

الأدبية التي تجري أمامي). لذا، قلت أنني سأكتب عن حربنا ولكنني سأصف الأحداث بطريقة تجعل من المستحيل عمليا على القارئ ربطها بالواقع. خططت أن أكتب نسختي أنا من الحرب عندما نكون نحن المنتصرين . . . سأصف عرض النصر في ميدان الأبطال، منهيا قصتي برقصة حرب على مستوى الأمة: الأمة الظافرة ترقص مع حكومتها المنتصرة.

"لماذا لم تكتبها؟ تبدو رائعة" أعجبت زفياد فكرتي.

"لا" همهم إيليكو من دون أن يرفع رأسه من الورقة. "لن يقدروها، هنا هم مهتمون بالوقائع وليس بتلفيقات خيالك"

اعترضت: "سيقدرونها جيدا، لقد كتبوا الكثير عن العقد المتجذرة في انتصاراتهم وحروبهم الخاسرة . . . "

لا أعرف لماذا كنت أدافع عن قصتي التي لم تكتب بعد بحبكة قمت بصياغتها في التو واللحظة. لم أفكر حقا في أي شيء قريب من هذا. حسنا، لقد أردت دائما أن أكتب رثاءً معكوسا، ولكن ليس على حساب تلك الحرب. أظن أن السبب كان أبسط كثيرا: كنت أحسد أولئك التسعة وتسعين كاتبا المشغولين بتصحيح وتحرير نصوصهم. في ذلك اليوم كان الجميع كاتبا. أنا فقط لم أكن مشتركا.

Twitter: @ketab_n

في قبالتنا، كان الأرمينيان، أناييت، وزيتونتسيان جالسين في مواجهة بعضهما. كان لديها جهاز آبل أبيض مفتوح في حجرها وكانت تحدق في الشاشة، بينما كان يحدثها زميلها بطريقته المميزة الدرامية والجادة. وأثناء حديثه الأرميني، فقد استخدم السيد زيتونتسيان كلمة أو كلمتين من الفرنسية أو بدا صوتها كالفرنسية (على الأقل لأذنيّ)، مثل مدام، أو باردون. يبدو أنه كان يعلق على نص أناييت أو يعبر عن رأيه تجاهه. سمعته يذكر اسم زميلنا البلغاري بوريسوف وبعد فقرة قصيرة بالأرمينية، قال أيضا "نيويوركر". لم يكن لدي شك في أنهما يناقشان البلغاري، ويقدحان في قصته، ويستخدمان كلمة السياسة، وحربنا، بنفس التواتر الذي استخدمتهما به الكرواتية دانوتا والشيشاني راؤول قبلهما.

نصف العربة كان مشغولا بالتصحيح، بينما كان النصف الآخر يحاول أن يجد من يهتم بنصوصهم. كان الكتاب يقرأون للكتاب. من كان يستمع منذ دقيقة، أصبح كاتبا الآن. كان الكتاب يتحولون إلى قراء والقراء إلى كتاب. المنصتون كانوا متململين أثناء الإنصات ويريدون أن يحظوا بفرصة أن يقرأوا ويتصرفوا ككتاب. وفي هذا السياق، كان من المؤلم بشكل خاص مشاهدة مبارزة الإلقاء بين الشاعرين الفنلندي والأسباني، والتي اكتسبت طابعا يائسا. أحدهم يقرأ مقطعه أولا ثم يقرأ الآخر، لكن الجزء الهزلي كان أن أيا منهما لم

Twitter: @ketab_n

يستمع إلى الآخر: أطلقا المجاملات مثل الرجال الآليين، وأصبحا طبيعيين فقط عندما كان دورهما في القراءة. منذ شهر، في الطريق من لشبونة إلى مدريد أصابتهم كلهم آفة الكتابة، ولكن الآن فهو فيروس القراءة. ربما كانت هذه ممارسة اعتيادية لهم (الكتاب يقرأون نصوصهم لبعضهم البعض، ما الغريب في هذا؟)، ولكن بالنسبة لي كان الأمر هزليا ومثيرا للشفقة. لقد عاش الكتاب حيواتهم الطبيعية المطابقة لأسلوب عيشهم الأدبي: لقد عرضوا على زملائهم أكثر المقاطع إدهاشا، ودلالة، ورعبا، وروعة، وحداثة، وغرابة، وأصالة، المقاطع الأعمق، وغير المتوقعة، والطريفة، وانتظروا ردود الأفعال ليروا إن كانوا قد أنتجوا شيئا يستحق. هل تكون تلك هي العملية الإبداعية الحقيقية؟ أم محاولة لا واعية، معركة للفوز بقارئ على الأقل في بيئة أدبية مناسبة كهذه (لأنه وفي المساحات غير الأدبية فإن القارئ قد انقرض عمليا)؟ وإن كان أحدهم ضعيفا، فسيؤخرون تحوله إلى كاتب إن لم يكن إلى آخر حياته، فعلى الأقل سيحولونه إلى قارئ مؤقتا، إلى مستمع في القطار . . .

لم يكن هناك إلا الكتاب. دم القارئ الحقيقي نادر. لم يبق أحد للعض. كنا نحن من يعض. كان من المحتمل أن نقفز على سائق القطار (لا بد أنه لم يكن كاتبا) مثل مصاصي دماء جائعين على جسد قارئٍ، مثل البحارة حين يقفزون على امرأة يكتشفونها مصادفة على

Twitter: @ketab_n

متن السفينة. (ماذا؟ هذه الأشياء حدثت بالفعل). كيف يمكن للكاتب أن يُثار (في سياق أدبي خالص بالطبع) إن كان الجميع متشابهين؟ ربما يثيرك شخص أحسن منك كثيرا، لكنك لن تثار من قبل توأمك الأدبي. مستحيل. لقد قدّم القطار تشكيلة من القدرات المتساوية. موهوبون بشكل متساو وعاجزون بشكل متساوٍ. طموحات متشابهة. مخاوف متشابهةً. مواضيع متشابهة. مشاكَل متشابهة. أصالة متشابهة. سوء حظ أدبي متشابه. نعم، لقد كان قطار المنحوسين. الألمان قد جمعوا مائة كاتب منحوس وقادونا إلى الهدف النهائي: في النهاية كان يجب أن نعلن: "أنا لست كاتبا!" كان هذا هو المنطق الوحيد، فبعد إمضاء الوقت مع هذا العدد من المناحيس المشابهين لك، كان من المستحيل أن تصر على أن تكون كاتبا. لقد كان المؤتمر الأقل توجها ناحية الأدب من البقية. ضد أدبيّ وغير إنساني! حتى الاسم، إكسبريس الأدب كان مزحة! لقد ضحكوا علينا! ولهذا يتم أخذنا من مدينة إلى مدينة كأننا عارضو سيرك... بالطبع كنا مثارا للشفقة! مائة (حسنا، تسعة وتسعون فقد أمنت النيويوركر موقعا محددا لبوريسوف) كاتب منتش بنصوصه المشابهة لنصوص الآخرين، مُثار، منفعل، منتحل، وبلا اسم...

واقع أنني كنت راكبا على متن قطار المناحيس اتضح لي في اللحظة التي غادرنا فيها لشبونة متجهين إلى مدريد، لكنني لم يكن

Twitter: @ketab_n

لدي اسم له بعد. وكنت مصابا بالأمل في أن معجزة قد تحدث وتدهشني بكشفها السماوي. لم أملك شيئا يجعلني أشعر بالاختلاف عن زملائي التوائم.

لقد كنا نبحث عن قارئ بشدة. "لاكاتب" عُذريّ. لم نكن لنطيق بعضنا أكثر من ذلك. كنا جميعنا نحاول أن نقتل زميلا في بعضنا البعض بتواريخنا، بإلقائنا العاطفي: ابقَ قارئا، لا تحاول أن تتسلق أعلى من ذلك!

كان علينا أن نفشخ قارئا. كان أساسيا أن نأخذ قارئا ذا مناعة قوية (حر من أي حماسة قرائية-كتابية). كانت تلك هي الطريقة الوحيدة لنستعيد مهنتنا. لست أمزح، لذا لا تضحكوا أرجوكم.

قررتُ أن أهرب من مصنع الكتابة-القراءة ذلك بالاختباء في عربة البوفيه.

"هل ستأكل شيئا؟" سؤال إيليكو التقليدي. لم يحتمل أن أشعر أنا أو زفياد بالجوع في وقت مختلف عنه.

"لا، سأتبول فقط" أجبته واتجهت إلى العربة السابعة.

كان الجميع مصابا بنفس الحمى الأدبية: تصحيح، تنقيح، قراءة، تحرير. . . .

Twitter: @ketab_n

معجزة أدبية خالصة انتظرتني في نهاية العربة.

كانت هيلينا واقفة عند حمام العربة الثامنة. كانت تدخن.

بدت وكأنها تتجلى في القطار فقط.

عندما رأتني، أطرقت، وهزت رأسها، وابتسمت، ونقرت جبهتها عدة مرات بقبضتها.

لم أبتسم. كنت غاضبا.

"أين اختفيت؟ لا يمكنك أن تفعلي هذا بي ... ألا ترين حالتي؟"

عاركتها كزوجها. لكن بشغف وعاطفة ... مثل زوج شغوف عطوف.

من الواضح أنها لم تتوقع هجومي الحماسي وحدقت بي لبرهة. مندهشة وباسمة.

ذهبتُ إلى شفتيها.

أمسكت هيلينا ذراعي ودفعتني باتجاه الحمام. لم ترد أن يرونا من العربة الثامنة.

Twitter: @ketab_n

"أين كنت؟ هل تصالحت مع ماسيك؟" استطردت بنفس النبرة. "ماذا يحدَث بينكما؟ لا أَفهم . . . لا يمكنك أن تفعلي هذا بي. أرجوكِ اشرحي لي."

توقفت عن الاهتمام بما قد تظنه فيّ. قلت كل ما جاء على بالي. غطت فمي بيدها وزمجرت كحيوان صغير:

"ششششش!"

أنا واثق من أنها اتخذت قرارها في تلك اللحظة. قرار سريع. فتحت باب الحمام، ودفعتني، وتبعتني إلى الداخل.

عرفتُ أنني يجب أن أحافظ على تلك الاندفاعة. احتضنتها وقبلت رقبتها.

"لا، انتظر" قالت من دون أن تفتح عينيها. لم تكن لتغلقهما إن لم تردني.

"أحبك . . . أرجوكِ . . . أحبك" همهمت.

سألتني: "ماذا؟ ما هذا؟"

عن غير عمد، تحدثت بالجورجية.

"إنه الحب . . . إنه الحب" كانت تلك ترجمتي لكلماتي.

Twitter: @ketab_n

نزعت قميصها. لم تقاوم. لم أضع وقتي مع سوتيانها، فقط شددته إلى الأسفل. لمست ثديها بكفي، لعقت حلماتها. كنت متخبطا في عجالتي لألمس كل ما يمكنني لمسه.

"قبلني" همست لي.

أين؟ الشفتان أم مكان آخر. هكذا فكرت.

كانت تقصد شفتيها. قبلتني بنفسها.

كنت أقبلها . . . أقبل هيلينا.

"ششش! لا تئنّ"

لم أكن واعيا بأنيني، لم أسمع نفسي أئن.

توقفت عن تقبيلها. ثم احتضنتها.

"لا تهربي مني، أرجوك"

دسست يدي تحت جينزها، ممسكا بإليتيها القويتين المدهشتين الساخنتين المنحوتتين.

ضغطت هيلينا عانتها علي. ظننتُ أن بنطالي سيتمزق.

عرفتُ أن عليّ أن أسرع.

حللت أزرار جينزها وشددته لأسفل. لم تقاوم هذه المرة أيضا.

"هنا؟" كان هذا كل ما سألته.

Twitter: @ketab_n

نظرت حولي. رفعتها على الحوض. شددت الجينز حتى أصبحت ساقٌ واحدة حرة، كان متدليا من ساقها اليسرى، شدت قدمها اليمنى مع حذاء الركض نازعة أياه ونزعت قميصها. رفعت ذراعيها عاليا. ممسكة بالسقف من أجل التوازن. المرآة المستطيلة المثبتة فوق الحوض عكست ظهرها المنحني، وفخذيها المشدودين.

"بسرعة، بسرعة" همستْ بصوت مبحوح.

شدت قميصي من بنطالي وتحسست صدري وبطني بكفيها.

وماذا الذي استقبلتها به؟ خصر عريض وكرش، متدل، مرتاح. لم يكن هناك وقت لأشعر بالإحراج على أية حال: جسمها الجذاب بشكل صادم كان يحاول أن يمتزج بجسمي البعيد كل البعد عن أن يكون مثاليا. يمكنني الاعتذار عن خصري لاحقا...

حللت أزرار البنطال، وشددته إلى الأسفل ووقتها فقط تذكرت أنني ليس معي واقٍ ذكريّ.

وقد فهمت هيلينا ذلك. ولحظيا، أبدى وجهها غضبا وخوفا، خوف الجدات الحذرات: غريب تام، هذه أول مرة لك معه، أنت على وشك الإصابة بالكلاميديا، والفطريات، والأيدز، والله يعلم ماذا أيضا. لكن كان الوقت متأخرا لكي نتوقف. لم نستطع. وقبل أن

Twitter: @ketab_n

يكون للرهابات اليد العليا، وقبل أن تصفعنا إلهة العقلانية والجدات الحذرات، وتعيدنا إلى عقلنا، دخلنا بعضنا.

لم أسحب كيلوتها للأسفل (مدركا أن هذا سيأخذ وقتا)، فقد دفعته جانبا وحاولت أن أجد وضعا مريحا.

هيلينا أيضا حاولت أن تجد وضع جلوس مريح. ثنت ساقها اليمنى (وجينزها متدل من اليسرى) وضغطت يديها على الحائط للتوازن. ارتفع ثدياها وعرفتُ أنني لو لم أسرع، فسأقذف من دون أن أدخلها.

وقفتُ على أطراف أصابعي (كان الحوض عاليا جدا) وفجأة – من دون أية صعوبة – وجدت نفسي في الحرارة المميتة التي تخافها الجدات كثيرا.

هيلينا عضت ركبتها بينما حزت الصبر لأربع حركات فقط، في الثالثة قلت: "سأقذف!" وسمعت أنينها الحاد. كنت أعرف أن علي أن أسحبه إلى الخارج. في اللحظة التي رأيت ثدييها المرتفعين، أردت أن أقذف عليهما. هيلينا خمنت كل هذا، وقفزت إلى الأسفل بقوة وأعطت قضيبي شدةً أو اثنتين.

"آسفة" قالت عندما قذفت. "أعرف ما الذي أردتَه، لكنني لا يمكنني الاغتسال حتى نصل إلى برلين"

Twitter: @ketab_n

لست واثقا إن كانت أنتها المكتومة عنت أنها وصلت إلى الأورجازم. ولم أسأل. ساعدنا بعضنا في ارتداء الملابس، وقبلنا بعضنا ثم قهقهنا كزوج من المعاتيه.

"ماذا فعلتِ بي؟" سألتها.

"لو لم أدفعك هنا، كنت ستبدأ بالصراخ" قالت، ورشت الماء على وجهها وساوت شعرها. شعرت أنه من الصعب تصديق أن هذا الجسد كان لي منذ دقيقة فقط. عندما غسلت يديها ، مددت نفسي لأقبل ظهرها.

"سأذهب أولا، اخرج بعد خمس دقائق" كانت مترددة(أخذت نفسا عميقا محاولة أن تبدو طبيعية)، ونظرت لي نظرة جادة، وخرجت.

أذكر أنني خفت من تلك النظرة الجادة. بدت خائفة.

وعندما خرجت فقط أدركت تماما ماذا حدث. الإدراك شدهني. كيف كان يمكنني أن أحلم أنها قد تبعث حلمي في حمام القطار؟ لكن لماذا القلق؟ لماذا أبحث عن المنطق في كل أفعالها؟ أردنا ذلك وفعلناه في الحمام. ألم تكن تلك الحال بالنسبة لي؟ كل أشيائي المهمة تحدث في الحمام؟ أفكر بشكل أحسن هناك.

Twitter: @ketab_n

خرجتُ دائخا تماما وبالقصور الذاتي اتجهت إلى عربة الطعام. وبينما كنت في منتصف العربة الثامنة، مررت بهيلينا. ابتسمت ابتسامة شاحبة ومشت أمامي.

ماسيك كان في عربة البوفيه.

أذكر أنني فكرت: لو بدأ بالحديث عن قصصي، سأموت من الإحراج.

كنت متأكدا أن هيلينا ظاهرة عليّ. في اللحظة التي رآني فيها، كان يجب أن يعرف أنها زوجته من ضاجعتها منذ عشر دقائق. أعتقد أن خطيئتي كانت واضحة. وبإغفال كل شيء، فقد كانت وجنتاي المضرجتان ثرثارتين.

بالفعل بدأ بالحديث عن قصصي.

سألني: "هل أخبرتك أنني قررت ترجمة "العواميد""

كان يقف عند النافذة بكوب من البيرة في يده. كان على ما يرام.

"شخصية الجندي جيدة جدا، توافق مفهومي عن القوقازي" استطرد: "يمكنني تخيل كم هي مدهشة بالجورجية. أرجوك لا تأخذ الموضوع بشكل شخصي، ولكن الترجمة الإنجليزية مريعة. لو أن المرء ليس معتادا على بلدك، فلن يفهم شيئا"

Twitter: @ketab_n

بدا أنه في مزاج يسمح بمناقشة طويلة بينما كنت لا مباليا برأيه في قصتي الغبية. كنت لا أزال أستطيع سماع أنين هيلينا المبحوح في أذني. وكنت غاضبا أنني لست جالسا بجوارها في ذلك الوقت.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

-١٧-

حيت محطة برلين الرئيسية عيوننا بعرض ملون لأعلامنا الوطنية. كانت أولى أفكارنا أن ذلك معنيّ به تشريف إكسبريس الأدب، فقد شككنا في هاينز دائما عند وجود أي بذخ. على أي حال، اكتشفنا أن الأعلام كانت هناك بسبب السياسيين، وليس نحن. فقد كانت برلين تستضيف قمة سياسية. المدينة كانت مليئة بالشرطة. لاحقا، علمت من التليفزيون أن خمسة عشر رئيسا وصلوا، وبينهم رئيس روسيا، الذي كان الإعلام قد انتقده بشكل معتدل. كانت بؤرة نقدهم الحذر هي الحرب الجورجية الروسية منذ ثلاثة أشهر. كل ما استطعت سماعه حولي كان ذكر حربنا. حتى إيليكو بدا فخورا بكونه تحت الإضاءة.

"حان وقتُ بيع قصصكم" أخبرني أنا وزفياد. "لقد سوّقَتْكُم الحرب، ألا ترون؟ من الآن وصاعدا أي شيء من جورجيا سيبيع مثل الحلاوة. وكل ما تحتاجونه هو أن تكتبوا ... لكنكما خجولان

Twitter: @ketab_n

كالعذارى. وأنا أكسل من أن أكتب، لن تعرفا حتى كم أنا مليء بتواريخ لن يحلم بها زملاؤكم"

في عينيه كانت باستطاعتي رؤية انعكاس طموحي وخوفي: كان واضحا أننا يجب أن ننتهز فرصة الواقع الحالي، فجأة أصبحنا مثيرين للاهتمام. وشعرنا أننا يجب ان نتصرف فورا فقد كان هناك طلب ضخم على الدراما الخاصة بنا. كاتب ذكي يمكنه بيع الحرب بأرباح كبيرة.

في الواقع، لقد قررتُ أن أكتب عن الهجوم الروسي بمجرد سقوط القنابل على تبيليسي. كنت واثقا أنني سأعيش لأكتب شيئا عنها. كنت متأكدا من ذلك أثناء سقوط القنبلة على قمة ماخاتا، موقظة إياي وإيلين. رعبي الأساسي كان أن الجنود الروس سيغتصبون أمي وإيلين. نعم، اتضح أن أكبر خوف من الغزو مرتبط بالنساء. إنه شعور مريع، لذا فسأقدر عدم ضحككم علي.

كان إيليكو يتحدث عن الحرب التي تبيع جيدا. بينما كنا نبتسم بسخرية (على أية حال فإن إيليكو كان هزليا، أليس كذلك؟)، لكن في أعماقنا كان مزاجنا سيئا بسبب شعور بالعجز: كيف يمكننا أن نبيع وكيف يمكن انتهاز فرصة وجودنا في ألمانيا من أجل ذلك؟ هل سيدفع بي ماسيك إلى الأدب الأوربي؟ هل سيفوز زفياد بالمسابقة؟ جورجيا كانت حديث العالم، لكن . . .

Twitter: @ketab_n

"من المستحيل أن يفوز روسي بهذه المسابقة" قال زفياد. " ولكن إن حدث ذلك فسأضرب كلا من الروسيين وأنيك رودي أمام هاينز"

لم يكن ليفعل شيئا من هذا القبيل. لقد هدد كثيرا ولم يفعل أي شيء. كنت أخاف من أسلوبه المتفجر حتى عرفته بشكل أفضل.

زفياد كان مرتبا ولديه إصرار، بينما كنت مهووسا بهيلينا. كنت أعلم تماما أن ما حدث بيننا مهما يكن، لم يعن الكثير. قد يبدو هذا غريبا لكن انفعالي بهذا اختفى سريعا (قد أقول أيضا أنه كان معدوما من البداية). وبالرغم من أنني لم أكن مهتاجا مثلما سبق، كنت أبعد ما أكون عن الاسترخاء. أردت فقط أن أحدثها، أن أشرح لها ما شعوري. وانتظرت اللحظة المناسبة، ولكن وكأنها فعلت هذا نكاية بي، كانت مع مترجمي باستمرار. ما أصابني بالغضب هو أنهما بدوا وكأنهما تصالحا. رفضتُ أن أفهم لماذا لم تنه الأزمة. لماذا كانا يتعاركان ثم يتصالحان؟ لماذا لا يمكنهما أن يكرها بعضهما إلى حد الانفصال تماما؟ فشلت في سبر علاقتهما. عندما لا تريد امرأة أن تتبع زوجها وتبقى في مدينة مجهولة (مع رجال مجهولين)، فإن تلك أزمة حقيقية، أليست كذلك؟ ألستُ محقا؟ بشكل نظري، كان من المفترض أن يكون من المستحيل التصالح بعد ذلك. أم أنني مفتش فاشل ولا أرى النقطة المحورية في حبكات حيوات الناس؟

Twitter: @ketab_n

هاينز حجز لنا في "أونتر دين لندين" ، فندق قديم، على الطراز السوفييتي، في فريدريخشتراسّه. اسم الفائز بالمسابقة الأدبية كان من المفترض أن يعلن في القاعة الضخمة في نفس الفندق. لكن الحقيقة المدهشة هي أننا، نحن، ركاب إكسبريس الأدب، كنا آخر سكان ذلك المكان، فقد كان سيهدم بنهاية يناير. طلبي المتواضع هو أن تبحثوا عن الاستعارة المخفية فيما سبق. لا توجد أية استعارة. لو أردتم، يمكنكم أن تبحثوا إن كان الفندق موجودا الآن.

كان الفندق كله مشغولا بالحدث الذي سيجري في اليوم التالي. لم يبال بي أحد. اتصلت بأمي لأسأل عن أبي المضروب، الذي لا يزال غاضبا مني، وكما يبدو، فقد ذكر أحد السياسيين البارزين اسمه في حوار تليفزيوني، كان أبي أحد هؤلاء المثقفين الذين عانوا من شرطة الشغب والسلطات. كنتيجة لذلك، أصبح هذا موضوع الحديث الرئيسي ليس فقط في البيت ولكن في اتحاد الشطرنج أيضا.

خمنت أنني لو تكلمت مع أمي لخمس دقائق أخرى، فسألقي بجواز سفري الجورجي في أحد حمامات أونتر دين لندين وأعيش كمهاجر إلى ألمانيا حتى نهاية عمري.

بعد أن أغلقت الخط، ذهبت في تمشية طويلة في حديقة الحيوان، وظللتُ هناك حتى الغروب. من آن لآخر، كانت تظهر تماثيل لكتاب كلاسيكيين مشهورين من خلف الشجيرات، ما ذكرني أنني لا أمشي

Twitter: @ketab_n

في متنزه عادي، كنت في حديقة الحيوان الفنية: بين أنواع فريدة من الملحنين، والشعراء على وشك الانقراض، والكتاب الرومانسيين المنقرضين تماما.

تولد لدي انطباع أنني وجدت نفسي في مكتبة مدرسة.

أردت البقاء خارج الفندق لأطول وقت ممكن، أردتُ أن تفتقدني هيلينا، أردتها أن تبدأ في البحث عني . . .

يجب أن تتساءل أين اختفيت أنا أيضا، كان هذا المبدأ الذي جعلني أمشي نصف المتنزه (الذي امتد عبر نصف مساحة برلين). رأيت أيضا الرايختاج، وتتبعت الخط الوهمي للجدار الذي لم يعد موجودا، ومشيت عبر بوابة براندنبرج، عائدا إلى الفندق كما يليق بسائح منهك قام بواجبه.

في القاعة قابلت هاينز الذي كان مشغولا بإصدار الأوامر. ذكرتني نبرته بأمي على الفور.

"لماذا لم تقدم نصا للمسابقة؟ ليس هذا عاديا."

"لا يمكنني الكتابة، لست على ما يرام" قلت له بصدق.

احتاج هاينز إجابة قصيرة وواضحة، لكن عذري كان مجردا أكثر من اللازم، غامضا أكثر من اللازم. نظريا، فإن اعترافا كهذا كان يجب

Twitter: @ketab_n

أن تتلوه مناقشة سيكولوجية احترافية قصيرة ("هل لديك أزمة؟" "ألا تحب المكان هنا؟" "هل تجد صعوبة في الكتابة في أي مكان آخر غير وطنك؟"). على أي حال، لم يكن لديه وقت ليقتحمني، ولا كانت لديه النية كما أظن. أراد فقط أن يوبخني، وليس أن يقوم بتحليلي نفسيا.

بسبب عدم إيجادي للكلمات، يمكنني أن أصف حالتي العقلية في ذلك الوقت بالإحباط السلبي. قد يبدو هذا غريبا، لكنني لم أشعر لا بالدهشة ولا بالغيظ عندما أدركتُ أنني كنت سأقضي الليل من دون هيلينا.

ذهبتُ إلى غرفتي، واكتشفت عددا من الزجاجات الصغيرة ونبيذا أحمر في البار الصغير وشربتها واحدة تلو الأخرى. كان إيليكو بالتأكيد سيصاب بأزمة قلبية لو أنه شهد هذا البذخ.

اعتاد أن يقول: "ما أكرهه في الفنادق هو ذلك البار الصغير". "الأسعار تكون عالية في السماء، عصير البرتقال على سبيل المثال. دائما ما أسب تلك الثلاجات قبل أن أفتح حتى باب غرفة الفندق"

كانت خطتي أن أشرب قليلا، أرفع معنوياتي، وأشاهد بعض الأفلام الإباحية. لم ألق بالا لسعرها. في الواقع، شعرت بالملل بعد

Twitter: @ketab_n

خمس دقائق بالضبط، وقد دوخني النبيذ. بكلمات أخرى، نمت قبل أن يتحسن مزاجي على أية حال.

تناولت شرابا أيضا قبل الذهاب إلى قاعة المؤتمرات. في الرابعة مساء.

كان الجميع صاحيا، مرتبا جيدا، ومتحفزا. كنت الوحيد الذي لا فائدة من وجوده. قواعد الفن تفضي لأن يكون زفياد في مكاني. فكرت أنه من الظلم أن أتحول إليه.

كانت القاعة مزدحمة بناس إكسبريس الأدب ووجوه أخرى غير مألوفة، كلها ألمانية.

كان هاينز مرتديا بنطالا أسود وسترة بأكمام مشمرة. كان شعره فوضى خلاقة. قابله زملائي بتصفيق دام عشرة دقائق، هاتفين باسمه ومصفرين بانبهار. بل إنني سمعت بعض الغناء الذي كان من المفترض أن يعبر عن امتنانهم لشهر من التسلية. نظر إلينا وكأننا تلامذته الأشقياء المفضلون. بابتسامة من شفتين مزمومتين("لقد عدتم إلى أساليبكم، يا عفاريت، أليس كذلك؟ ")، ثم هز رأسه بامتعاض. رفع يده عدة مرات ليوقف التشجيع، لكننا لم نطع لأول مرة منذ شهر، صدر عن القاعة هتاف أكثر "هاينز هاينز! " بجينزه الضيق وحلقيه الذهبيين، كان رودي واقفا بجواره على المسرح، مشيرا

Twitter: @ketab_n

بأصبعه إلى الشخص الذي يصيح باسم حبيبه بأعلى صوت. في هذه اللحظة بدا الاثنان كرئيس وسيدته الأولى.

في النهاية استطاع هاينز أن يضع نهاية للتشجيع.

"لقد أجرنا القاعة لنصف ساعة فقط، وإن لم نتوقف عن التصفيق ونبدأ بالعمل، سنضطر لإعلان الفائز في اللوبي"

بالرغم من أن صوته بدا جادا للغاية، فقد ضحكت القاعة. كان ضحكا قصيرا ولكن رعديا. تماما كما أحب هاينز. في الأثناء، دعى محرر السيمبليسيموس إلى المسرح. كان رجلا عجوزا خشنا يشبه الأرنب، محرر مثالي بشعر رمادي مهوش مثالي. ذكرني بالتماثيل التي أغارت علي في المتنزه في اليوم السابق.

وبشكل غير متوقع تماما، اتضح أن للأرنب صوت عميق، وقوي. وكما يبدو فقد قام بالمزاح بالألمانية وضحك هاينز ورودي ضحكا تقديريا صاخبا. ثم حيانا المحرر بإنجليزية حادة (ظننتها ألمانية في البداية)، ومدحنا، ثم انتهى بنواحٍ كاذب تماما: قال إنه كان ليمنح أي شيء ليحصل على فرصة السفر معنا.

Twitter: @ketab_n

ثم أخذ هاينز فرصة الحديث ثانية. طمأننا أن الحقيقة هي أننا كلنا فائزون (خطابية جميع المسابقات المعتادة) ولكن في نهاية خطابه التقديمي الطويل أعلن الفائز الحقيقي:

"راؤول ألداموف (الحديث الصعب)، روسيا"

"تبا!" تمتم زفياد بصوت خافت. كان يجلس بجواري، ووجهه محمر من الغضب. لا بد أن آماله العريضة تحطمت وقتها. ربما لعن إيليكو بسبب إيهامه أن جورجيا كانت على أعلى القوائم وباعت جيدا.

كان الجميع وكل شخص من إكسبريس الأدب واثقا في فوزه أو فوزها. على أية حال، كان التصفيق التالي دالا على عدم وجود ضغائن.

"نود أن نطلب من السيد راؤول ألداموف، الكاتب الشيشاني، أن يتقدم إلى المسرح" كرر هاينز مرارا وتكرارا (بذكره الشيشان، كان يحاول أن يعادل تأثير روسيا التي قالها). لكن راؤول لم يكن في القاعة.

"كما يبدو فهو ليس هنا" استسلم أخيرا. "لكننا سنمرر الأخبار له حتما" أنهى الحديث بلمحة من الامتعاض.

Twitter: @ketab_n

لا بد أنه كان مرتاحا من ألا يحضر الفائز حدثا بتلك الأهمية.

بطول جدار المدخل إلى القاعة كان هناك صف من الطاولات المغطاة بمفارش بيضاء. وعليها كؤوس عالية مليئة بالنبيذ الوردي وصحون عليها شطائر بحجم عملة اليورو المعدنية.

كنت قلقا جدا من إدراكي حقيقة أنني أول من اقترب من الطاولات. من الواضح أنني بدأت أتصرف كشخص كان هو زفياد من وقت ليس طويلا.

ومع آخرين، خرجت هيلينا وماسيك من قاعة المؤتمرات. تبادلت أنا وهيلينا النظرات، ومثل الجواسيس المدربين، نظرنا في الاتجاه المعاكس. شخصيا، لم أقلق من ملاحظة ماسيك شيئا (باعتبار حالتي وقتها) بينما بدت هي مصممة على عدم كشف ما حدث. الذي أثار أعصابي كان أنه وفي كل مرة نظرت إليهما، رأيت بسمته البلهاء الودودة. أردت أن أقابل عيني هيلينا، ولكنني وجدت عينيه. بل إنني فكرت أنهما زوج من المنحرفين. لكونه عجوزا جدا لم يستطع الانتصاب، أخبرته زوجته عني، وهكذا قبل المغادرة سيدعواني إلى غرفتهما لجنس جماعي: بينما أمارس الحب أنا وهيلينا، سيجلس هو بقربنا مراقبا. قد يكون اختلاس النظر هو آخر طريقة لاستعادة رجولته الضعيفة. ربما يقرر أن يشاركنا باستمناء يائس. من يستطيع أن يطمئن لشيء هذه الأيام؟

Twitter: @ketab_n

كان كل من حولي يتحدثون عن الكاتب الشيشاني. حاول زفياد أن يشركني في الحديث ولكنه قوبل بعدم اكتراث مني، فبدأ بثقب دماغ إيليكو. لم يتصالح أبدا مع فكرة أنه لم يكن الفائز. استدرت ناحية الزوجين الذين حازا انتباهي. وتمنيت أن أكون ثملا كتلك الليلة منذ ثلاثة شهور، عندما بحت بكل أسراري لإيلين. تمنيت أن أكون ثملا لدرجة أن أتكلم في نومي، بل والأحسن من ذلك، أن أتكلم مثل زومبي لبق عني وعن هيلينا. تمنيت أن أذهب إلى ماسيك وأخبره كيف وقعت في غرام زوجته، كيف نمنا جنبا إلى جنب في مالبورك، وكيف احتضنا بعضنا في الحافلة الصغيرة في الطريق إلى وارسو، وكيف حاولت بلا طائل ولا أمل أن أطردها من عقلي. أردت أكون قادرا على الحديث مثل رجل آلي: بلا قلب، وبلا خوف أو إحراج. أن أكون قادرا على اعتراف سافر وغافل له، مما قد يدمر علاقته بهيلينا بنفس الطريقة التي محوت بها ارتباطي بإيلين بهذري السكران منذ ثلاثة شهور. أردت لشفتيّ وعقلي أن يفعلا ما يحلو لهما، ويعترفا من دون أية آلام أو بصيرة: لقد نمنا معا، يا مترجمي العزيز! باعترافي الشفاف غير المقبول له، علي أن أدهس ثقته الباقية فيها. الزومبي الطيب، معدوم العقل كان عليه أن يحرر هيلينا من براثن المذئوب البولندي.

كان ماسيك شخصا متحضرا. كنت واثقا أنه لن يضربني. ربما كان سيقهقه. ردة فعله كانت ستثبت لهيلينا مرة أخرى أنه مثالٌ للأب. أب يمكنه أن يسامح، ولكنه ليس زوجا.

Twitter: @ketab_n

كان لون هيلينا سيتحول، كنت واثقا من ذلك. وتصبح شفتاها بنفسجيتين. من جهة أخرى، قد تضحك أيضا. لا أعرفها تماما. شيء واحد أعرفه بثقة: لن ترش النبيذ في وجهي.

أتذكر أنني تراجعت: عرفت نفسي جيدا، خاصة عدم قدرتي على الإمساك بلساني. قررت أن أذهب إلى غرفتي. النبيذ الوردي كان قد أدفأني من الداخل بشكل منذر.

كان الكاتب التشيكي، أتذكر بوضوح تام، هو من قابلته في المصعد. كان حزينا بعمق وكانت عيناه محمرتين.

"لقد أطلقوا النار على الرئيس الروسي" قال لي بإنجليزيته العفاريتي وضحك بغباء قليلا.

ولأنه كان عفريتا، ظننتُ أنني أسأت فهمه. ولعدم حصوله على ردة فعل مني على الخبر، كرر بصوت أعلى وبإنجليزية قريبة من الإنجليزية الحقيقية:

"لقد أطلقوا النار على رئيس روسيا. لقد شاهدت ذلك في الأخبار"

حتى يومنا هذا ليست لدي فكرة عن سبب اقتناعي برؤيتي المغلوطة للأحداث. لماذا لم أستطع الانتظار حتى نشرة الأخبار القادمة

Twitter: @ketab_n

لأتحقق؟ لماذا اندفعت إلى الاستقبال لأسأل عن رقم غرفة راؤول ألداموف؟

التفسير الوحيد كان أنني كنت زومبي حقيقيا حينها. أو أن نبيذ هاينز كانٍ قد سرى في عروقي. لو أنني كنت صاحيا، كيف كنت سأصدق ولو لثانية أن زميلي الشيشاني، راؤول ألداموف، أطلق النار على الرئيس الروسي؟

عشتُ فقط في حبكتي الخيالية.

كنت قد تذكرت الحوار مع راؤول عن الإرهاب، الذي ربطته بغيابه عن حفل الجوائز. ظننت أن الرجل كان زائفا تماما، وأن حديثه عن القروض كان تمويها محسوبا، وأننا لم تكن لدينا أدنى فكرة عمن يكون حقا.

لم أكن في حالة تسمح لي بالشك في الأسئلة التي في رأسي. لم أكن لأشك في شكوكي.

ربما كنت قد تسممت بهيلينا في حياتي أو بالمشروب، لكن كون فائزنا حينها قد أطلق النار على الرئيس الروسي، بدا واقعيا للغاية.

. . .

Twitter: @ketab_n

قصتي "الحديث الصعب" فازت بالمسابقة!

دانوتا وأنابيت وبوشكوف وزازا وإرميل قد غادروا غرفتي منذ قليل. لم أصدق أذنيّ، ظننت أنهم كانوا يسخرون مني. وأنا مصاب بالبرد! لقد تمكنت أخيرا من تخفيض حرارتي إلى ٣٧ مئوية ... أخبروني أن الألمان نادوا علي لمدة ٢٠ دقيقة على المسرح ... يا للإحراج! لكن كيف كان بإمكاني أن أعرف؟ ظننت أنهم علموا بأمر الحمى. إنهم منظمون جدا، لكن فشلوا في التحقق من حالتي؟ ليس خطئي حقا. زازا قال لأنني لم أكن في القاعة فقد ظن أنه أنا. لقد ضحك كثيرا بسببي. قلت له إنني لا يمكنني أن أسقط لهذا العمق، رمي الكعك "كان شيئا متحضرا" جدا بالنسبة لشيشاني. شاهدنا التليفزيون معا. كان الأمر برمته عبثيا ... أولا الجائزة، ثم "الهجوم الإرهابي" ... إرميل وعدت أن تتصل بالطبيب. حسنا. هاينز اتصل ولكنني لست واثقا من أنني فهمته. أظنه قال إنه ينتوي زيارتي. ماذا سأفعل الآن؟ أرتدي ملابسي أم أظل في السرير؟ لا أصدق. حديثي الصعب؟ وأنا الذي لم أرد أن أشارك بها.

Twitter: @ketab_n

أحب ان أتذكر تلك اللحظات ، تلك الدقائق، اليوم كله . . .

لقد تركت التسعة وتسعين خلفي. لا أصدق.

كان لابد أن تحضر الكعكة إلى غرفتي بدلا من ذلك.

. . .

Twitter: @ketab_n

لقد ألقيت الكعكة على الرئيس الروسي من قبل صحفي بلجيكي. اتسخت ذقنه وربطة عنقه الحمراء بالكريمة بينما اندفع إلى الخارج وسط حراسه. تمت إذاعة المشهد مرات ومرات. لكن يا للأشياء التي تصورها خيالي السكران عن راؤول! الآن بما أنني أستعيد تلك الأيام أظن أنني كنت فاقدا لأي حس بالواقع. خاصة تلك الليلة حينما كنت أتحول إلى زفياد.

حكاية الكعكة رمت بظلالها على فوز راؤول.

"أنتم حزينون أنها كانت كريمة وليس دما؟" سأل هاينز ضاحكا "أنتم قوقازيون أليس كذلك؟"

"تظن أن البلجيكي أخذ بثأرنا؟" قهقه إيليكو.

"أكيد. هؤلاء كتاب، فكان لزاما على أحد أن يقوم بالعمل الوسخ، صح؟" نظر هاينز إليّ وإلى زفياد.

"لماذا؟" قال إيليكو. "يمكنهما أن يكونا ضاربين لو اختارا ذلك. لو طُلب منا بطريقة صحيحة، كان بإمكاننا التفكير بشيء مدهش"

"لا" هز هاينز رأسه. "أعرفهما. لدي معلومات كافية عنهما من الدولة مع تأكيد بأنهما ليسا إرهابيين. لمشاكلهم طبيعة مختلفة تماما" غمز ناحية إيليكو الذي كان وجهه محمرا.

Twitter: @ketab_n

لا يزال الأمر يحيرني، ماذا كان يعني بقوله؟ ما نوع المعلومات التي كانت لديه عنا؟

تكلمت مع هيلينا في الصباح. قلت وداعا لناس إكسبريس الأدب بعد الظهر. وأخذتُ طائرة عائدة إلى تبيليسي في المساء.

رأيتُ هيلينا على الإفطار. لم يكن زوجها برفقتها. أتت إلى طاولتي بفنجان القهوة الخاص بها.

كانت رأسي تدور وأشعر بالنعاس. وكنت غاضبا منها.

"فشلتُ في تفريقك عن زوجك" أخبرتها.

أردت لتلك الكلمات أن تبدو جادة، وحادة، وباردة، ولكن لم تكن لدي الشجاعة لذلك. خفت أن يكون ذلك كثيرا باعتبار الظروف. بدلا من ذلك، قيلت الكلمات بابتسامة. كأنها كانت مزحة.

قالت: "كان يجب ألا ننام بجوار بعضنا في مالبورك، لقد سببت لك الحيرة. لم يكن يجب أن أعاملك هكذا. كنت غاضبة من شيء آخر. هل ستسامحني؟"

خططت لثأرها. حبيبها أغضبها وأرادت أن تعاقبه بأن تخونه. تعاقبه بمساعدتي. لكنها لم تكن ببرود المنتقمين. عاد لها عقلها في

Twitter: @ketab_n

الوقت المناسب، وأدركت أنها كانت تتصرف بحماقة. لقد خدعتني ثم تركتني. الآن كانت تنهي كل شيء بالاعتذارات لأن الأمر ليس بيننا. كانت قصة الحب مع ماسيك هي الأمر المهم. الدراما الرئيسية كانت تحدث هناك. الرواية كان يجب أن تكتب عنهما وليس عني. لقد كنت شخصية من الدرجة الثالثة والروايات لا تكتب عن أمثالي. لقد ظننتُ أنني مهمٌ، ولكنني كان يجب أن أبحث فيما يدور خلف بابهما. وفشلت تماما في ذلك. لقد فقدت خيط الحكي الرئيسي.

لقد كانت ناقدة الموسيقا اليونانية تسأل الغفران. ماذا كان يمكن أن أقول؟

ماسيك وصل. كان جاهلا بليلة مالبورك. كان يعرف أن هيلينا تحبه. وكنت مجرد كاتب جورجي غامض.

ودعنا بعضنا على الإفطار في برلين. كان الوداع ودودا. وعدت ماسيك أن أرسل له قصتي بمجرد أن أعود.

عندما غادرت قاعة الطعام، كانت هيلينا تصب لنفسها القهوة من دورق فضي.

رفضت أن أصدق أن هذه هي المرة الأخيرة التي سأرى فيها هيلينا.

Twitter: @ketab_n

حدث شيء غريب في مطار تبيليسي. قابلتني إيلين. لأكون محددا فقد كانت هناك لتقابل ابنة أختها التي كانت على نفس طائرتي. لكنني أحب أن أصدق أنها كانت تستقبلني أيضا. كم ساعة أمضيناها في النقاش حول الرحلة! تخيلت كيف كانت ستعد للقائنا لو إننا لم نزل معا. لكننا الآن حيينا بعضنا مثل معارف. لقد لاحظت أنها كانت سعيدة برؤيتي وكنت سعيدا أنها كانت هناك لتقابل ابنة أختها وليس شخصية جديدة في حياتها.

كانت الشوارع الرئيسية مسدودة بالمتظاهرين. وعلى طول طريق المطار كانت هناك ألواح ضخمة عليها صور من فظائع حرب أغسطس. كان الجو نفسه ثقيل بالسياسة وما بعد الحرب. أكره العودة إلى الوطن كما أكره مغادرته. أفضل أن أكون في المكان الذي تعودت فيه على الراحة.

في اليوم التالي اتصلت بزفياد. افتقدت ناس إكسبريس الأدب. بل إنني حادثت إيليكو عبر السكايب. قال إننا لو جمعنا له المال فسيأتي لزيارتنا.

كانت تلك هي الأيام التي جلست فيها لأكتب تلك الرواية. لم يكن لدي أي شيء آخر أكثر أهمية لأصفه. ورأيت أن هذا النص سيكون وسيلة أكيدة للتحرر من هيلينا.

Twitter: @ketab_n

أنا أكثر حظا في الرواية.

على أية حال فقد غيرت أسماء الشخصيات الرئيسية. سيتعرفون على أنفسهم مع ذلك. أليس لي الحق في الثأر؟ أتمنى ألا يشعروا بالإهانة. سيتفهمون نيتي من دون أية ضغائن.

لا أعرف إن كنت مغرما لا أزال. عندما أحكي عنها، أشعر أنني مغرم. وعندما لا أكتب، أشعر أنني أنساها. لو لم أكتب الأشياء، فإن وجهها، ملامحها، جسمها، وصوتها يختفون.

أخبرت هاينز أنني أكتب رواية عن إكسبريس الأدب. إنه موضوع جيد. وغير محلي على الإطلاق. عن الحب والأدب. أظنه سيكون أصليا. وهل تعرفون ماذا كتب كرد؟

سأعطيكم رده كلمة بكلمة أدناه.

Twitter: @ketab_n

"إنها فكرة عظيمة. الشيء الوحيد هو أننا سنضطر لنشر مجلدات. نصف إكسبريس الأدب يكتب رواية عن رحلتنا. أتلقى الخطابات من زملائك يوميا. الجميع يبدو وقد وقع في غرام قطارنا. على كل حال، يبدو أننا سنحصل على ١٠٠ رواية عن مغامرات إكسبريس الأدب. وأعتقد أنها كلها ستكون بنفس الجودة العالية"

...

Twitter: @ketab_n

اليوم يخبرني أنه كان يتصرف كمعتوه. أخبرته أنه كان معتوها تماما طوال الشهر. ويقول: لا أريدك أن تحبينني! أحب أن أكون الواقع في الحب" هل يهذي أم ماذا؟ لقد تصالحنا لكنني لست واثقة إن كان ذلك هو القرار الصحيح . . .

رباه، الحمد لك لحمايتي من خطأ أحمق. من الجيد أننا نمنا فقط في مالبورك ولم يحدث شيء أكثر! أظنني قد حيرت الشاب . . . لم يفهم ما الذي أردته، وماذا كنت أنوي. ذهبت إلى غرفته . . . يا لي من غبية! من الذي كنت أستهدفه بعقابي؟ رباه، لو كنت ذهبت إلى أبعد من ذلك، كنت لأصبح بائسة تماما الآن . . قابلته مرة أخرى في القطار وخمنت فورا أنه أراد أن يحادثني، لكنني لم أعرف عن ماذا. هل وعدته بشيء؟ ما الذي خطط له بسبب نومنا بجوار بعضنا فقط؟ يا له من ساذج!

فجأة ظننتُ أنه سيجرني إلى الحمام. كان شكله مجنونا تماما. لكن لا، إنه شاب محترم، كانت رهاباتي هي السبب . . . ركضت بعيدا عنه مثل حمقاء. من جهة أخرى، ماذا كان بمقدوره أن يفعل؟ لا شيء! ثم شعرت بالعار حقا. اليوم رأيته على الإفطار واعتذرت عن

Twitter: @ketab_n

مالبورك. لم أشرح أي شيء . . . ماذا كنت سأقول على أي حال؟ ليس له علاقة بالأمر، المسكين . . . ما الذي قصدت أن أجره إليه؟ في يوم ما سأخبر ماسيك كيف خططت لأثأر منه ولكنني غيرت رأيي ولم أمتلك الشجاعة الكافية لأكثر من نومة بريئة مع غريب. هل سيغار من مجرد النوم؟ أم هل سيظن أنها خدعة؟ المضحك في الأمر أنه سيترجم قصة ز؟ بكلمات أخرى، فقد اختار كلانا نفس الشخص. لدينا ذوق واحد. الآن أشعر بالذنب لأنني لاحظت الافتتان في عينيه. سيكون من الرائع أن يكتب ز شيئا عني ثم يترجمه ماسيك. ثم سيخبط السقف من الغضب! ثم حينها سننفصل بالتأكيد.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
١ـ تبليسي	٥
٢ـ الطائرة	١٧
٣ـ لشبونة	٢٧
٤ـ القطار	٤٥
٥ـ مدريد	٦٣
٦ـ تحت ماسيك	٧٩
٧ـ باريس	٩١
٨ـ موتى باريس	١٣٧
٩ـ بروكسل	١٥٩
١٠ـ فرانكفورت	١٧٩
١١ـ مالبورك	٢١٣
١٢ ـ في السرير مع هيلينا	٢٥٥
١٣ـ كالينينجراد	٢٧٧
١٤ ـ موسكو	٢٨١

Twitter: @ketab_n

١٥ ـ وارســـــو ٢٨٥
١٦ـ بـــرلـــين ٣٢٩
١٧ـ ٣٤٩

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الكتب خان للنشر والتوزيع®

١٣ شارع ٢٥٤ – دجلة – المعادى – القاهرة.

تليفون:٢٠٢٢٥١٩٦٥٦٩+ – ٢٠٢٢٥١٧٠٦٧٨+

بريد اليكتروني:info@kotobkhan.com

موقع اليكتروني:www.kotobkhan.com

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

مائة كاتب مدعوون إلى مؤتمر أدبي على متن قطار إكسبريس الأدب الذي يقطع أوربا: غاضبون، حادون،ومهووسون بأنفسهم. يروي لنا كاتب جورجي وقوعه في غرام زوجة مترجمه الخاص الذي قد يفتح له أبوابالشهرة، والأسوأ من هذا أن أدباء إكسبريس الأدب مصممون على كتابة نصوصهم أثناء الرحلة،بين غيظه من الادعاء الأدبي، وفشله في كتابة أي شيء، وعلاقته الملتبسة بزوجة المترجم، ينقل لنا زازا - الكاتب الجورجي- إخفاقاته المتعاقبة والإخفاق الأدبي بشكل عام.

الناشر

لاشا بوجادزه، من مواليد تبيليسي عاصمة جورجيا ١٩٧٧. يكتب للمسرح، ويكتب الرواية، وهو صحافي ومذيع تلفزيوني وإذاعي. نشرت له أربع روايات وعدة مسرحيات، وقد ترجمت أعماله إلى عدة لغات أوربية.

هرمس، شاعر ومترجم مصري، من مواليد الكويت ١٩٨٤. درس الطب في القصر العيني وتخرج عام ٢٠١٠.صدرت له مجموعتان شعريتان: "التغريد بطريقة برايل - ٢٠١٢"، و"كلاشنكوفي الحبيب - ٢٠١٤" ، وصدرت له رواية مترجمة: "لسان القطة - ٢٠١٥". حصل على جائزة أخبار الأدب في الشعر في ٢٠١٥.

ISBN 978-977-6306-70-7
9 789776 306707